محمد عبد الله محمد شلح

التعليم في فلسطين

في عهد الدولة العثمانية

(١٥١٦ ـ ١٩١٧ م)

تقديم

د . أحمد صدقى الدجانى

الناشر
دار الإحياء الثقافى ـ القاهرة

هذا الكتاب

مجموعة أمور شدتنى الى (هذه الرسالة - الكتاب) وجعلتنى أستجيب لكتابة تقديم لها .

الأمر الأول : هو أن موضوعها يتصل بالتعليم فى فلسطين فى حقبة هامة من تاريخ بلادنا تمتد بين عامى ١٥١٥ - ١٩١٧م ، ولا تخفى حيوية موضوع التعليم فى مسار نهضة الشعوب والأمم ويكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة فى هذه المرحلة من تاريخ شعبنا وهو يجاهد لتحرير وطنه وبناء مؤسساته ، وبلورة مناهجه التعليمية وملاحظ اليوم كم تحاول قوى محيطة بنا - وبخاصة قوى الهيمنة - أن تتدخل فى هذه المناهج.

الأمر الثانى : هو أن هذا الموضوع متصل أيضاً بتاريخ الدولة العثمانية التى كانت بلادنا مع أقطار عربية واسلامية أخرى ضمنها بين عامى ١٥١٦و١٩١٧ (الفترة المحددة لهذه الدراسة) ، وتاريخ الدولة العثمانية مطروح بقوة فى أوساطنا العلمية منذ حوالى قرن بهدف الوصول الى قراءة صحيحة له. وتلح الحاجة الى هذه القراءة الصحيحة مع شيوع أحكام على الدولة العثمانية ، وتاريخها لا تطمئن اليها الدراسة العلمية .

الأمر الثالث هو أن صاحب الرسالة ينتمى الى جيل آخر من الدارسين للتاريخ والتربية ، وكم يفرح جيل الشيوخ ، الذى ينتمى اليه كاتب هذا التقديم ، بهذا الجيل الآخر تعبيراً عن نعمة تواصل الأجيال .

الأمر الرابع : هو ان هذا الجهد العلمى يقع فى نطاق الجهاد الذى يخوضه شعبنا لتحرير وطنه ، وهو جانب حيوى من مقاومة هذا الشعب بمعناها الواسع الذى تتكامل فيه أبعادها العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية والمسلحة ، وأروع تجلياته هى انتفاضة الأقصى المباركة .

د . أحمد صدقى الدجانى

التعليم فى فلسطين فى عهد الدولة العثمانية

(١٥١٦ - ١٩١٧م)

اسم الكتاب : التعليم فى فلسطين فى عهد الدولة العثمانية (١٥١٦ - ١٩١٧م)
المؤلف : محمد عبد الله محمد شلح
الطبعة : الأولى
سنة النشر : ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ
الناشر : دار الإحياء الثقافى
٥٦ تقسيم المساحة - المعادى - القاهرة ت / فاكس / ٣٨٠٦٥٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم، وإن الله لهاد الذين ءامنوا إلى صراط مستقيم﴾

[سورة الحج: الآية ٥٤]

﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم، وما يضرونك من شيء، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة، وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾

[سورة النساء: الآية ١١٣]

الإهداء

إلي ذكري والدي رحمه الله

إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها بالصحة والعافية

إلى أخي الدكتور رمضان . . . عسى الله أن يجمعنا قريباً

وإلى من تحملوا معي مشاق المشوار الطويل . . . زوجتي وأولادي

أهدي هذا البحث

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد الصادق الأمين، فبعد أن أعانني البارئ عز وجل على إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود، يطيب لي أن أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى كوكبة من أصحاب الفضل والجميل عليَّ، ممن أفاضوا بحبهم وعطفهم وأسهموا في غرس هذا العمل الذي استوى على سوقه.

وفي البداية أتوجه بالشكر الكبير إلى كلٍ من الأستاذين: الدكتور الفاضل علي سالم النباهين، والدكتور الفاضل محمود خليل أبو دف اللذين تفضلا بقبول الإشراف على هذه الرسالة وأسهما في نضوجها حتى ارتقت بفضل ملاحظاتهما القوية وإرشادهما البناء بعيداً عن الخلل أو المآخذ.

ويطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل من الأستاذ الدكتور/ عامر يوسف الخطيب، والدكتور/ عصام ناجي سيسالم عضوي لجنة المناقشة لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وما بذلاه من جهد ووقت في مراجعتها. وأقدر لهما ملاحظاتهما القيمة، وإرشاداتهما الجديرة بالاهتمام.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى جامعة الأزهر التي منحتني هذه الفرصة الثمينة لإنجاز هذه الرسالة ممثلة برئيسها الفاضل الأستاذ الدكتور رياض حسن الخضري، وعميد الدراسات العليا الفاضل الدكتور عيسى النحال. كما وأتوجه بالشكر الخالص إلي كلية التربية بالجامعة ممثلة بعميدها الأستاذ

الدكتور صلاح الدين أبوناهية، وأعضاء هيئتها التدريسية عامة، وإلي أعضاء قسم أصول التربية بخاصة .

كما وأتقدم كذلك بوافر الشكر للدكتور الفاضل صلاح العاوور الذي أسدى لي العديد من الملحوظات المهمة والنصائح السديدة فى أثناء إعداد خطة الدراسة، وشجعني على المضي قدماً في خوض غمار هذا البحث.

كما وأثمن غالياً جهود كلٍ من: الدكتور محمد المندي رئيس مركز فلسطين للدراسات والبحوث، و العاملين فيه كافة. والدكتور الفاضل عبد الله القطشان والأستاذ القدير عبد اللطيف أبوهاشم الذين لم يتوانوا لحظة واحدة في تذليل الكثير من الصعاب وتوفير العديد من المراجع الخاصة بهذه الدراسة من الداخل والخارج حتى خروجها إلي النور.

وأخيراً أتوجه بالشكر إلي كل من ساعدني من قريب أو بعيد فى أثناء القيام بإعداد هذه الرسالة.

الباحث

محمد عبد الله شلح

تقديم

بقلم د . أحمد صدقى الدجانى

مجموعــة أمــور شدتنى الى هذه الرسالة وجعلتنى أستجيب لكتابة تقديم لها بناء على دعوة كريمة من أخى د . رفعت سيد أحمد .

الأمر الأول هو أن موضوعها يتصل بالتعليم فى فلسطين فى حقبة هامة من تاريخ بلادنا تمتد بين عامى ١٥١٥ – ١٩١٧م ، ولا تخفى حيوية موضوع التعليم فى مسار نهضة الشعوب والأمم ، ويكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة فى هذه المرحلة من تاريخ شعبنا وهو يجاهد لتحرير وطنه ، وبناء مؤسساته ، وبلورة مناهجه التعليمية ، ونلاحظ اليوم كم تحاول قوى محيطة بنا – وبخاصة قوى الهيمنة – أن تتدخل فى هذه المناهج .

الأمر الثانى هو أن هذا الموضوع متصل أيضاً بتاريخ الدولة العثمانية التى كانت بلادنا مــع أقطــار عربية واسلامية أخرى ضمنها بين عامى ١٥١٦و١٩١٧ (الفترة المحددة لهذه الدراسة) ، وتاريخ الدولة العثمانية مطروح بقوة فى أوساطنا العلمية منذ حوالى قرن بهدف الوصول الى قراءة صحيحة له . وتلح الحاجة الى هذه القراءة الصحيحة مع شيوع أحكام على الدولة العثمانية ، وتاريخها لا تطمئن اليها الدراسة العلمية ، وقد كان مــن أســباب هــذا الشيوع إدخال هذه الأحكام فى مناهج التعليم فى بلادنا إبان التسلط الاســتعمارى ، فــتاريخ الدولــة العثمانية فى هذه المناهج يُختزل فى أنه " فترة تأخر وجمــود شاع فيها التسلط والاستبداد وبدت الدولة فيها رجلاً مريضاً " ، ولافت أن من ارتقى فى الثقافة من أبناء أمتنا – وبخاصة من تخصص فى التاريخ – كان ينتهى الى رفــض هذه الأحكام ويستشعر الحاجة الى قراءة صحيحة للتاريخ العثمانى ، حتى باتت شائعة الدعوة الى إعادة كتابته أو بتعبير آخر الى رؤية علمية معاصرة لهذا التاريخ .

الأمر الثالث هو أن صاحب الرسالة ينتمى الى جيل آخر من الدارسين للتاريخ والتربية ، وكــم يفرح جيل الشيوخ ، الذى ينتمى اليه كاتب هذا التقديم ، بهذا الجيل الآخر تعبيراً عن نعمة تواصل الأجيال .

الأمر الرابع هو ان هذا الجهد العلمى يقع فى نطاق الجهاد الذى يخوضه شعبنا لتحرير وطــنه ، وهــو جانــب حيوى من مقاومة هذا الشعب بمعناها الواسع الذى تتكامل فيه

أبعادهــا العلمــية والثقافــية والسياسية والاقتصادية والمسلحة ، وأروع تجلياته هى انتفاضة الأقصى المباركة ٠ ويتجلى هذا الأمر فى الآيتين الكريمتين فى الصفحة الأولى مــن الرســالة ، وفــى الإهداء الى ذكرى الوالد رحمه الله والأم الغالية والأخ المجاهد والزوجة والأولاد ٠

لقــد اخــتار الأستاذ محمد عبد الله محمد شلح موضوعاً يحبه ويستشعر حيويته ، ولذا فإنــه أعطــاه جهــداً كبيراً وتجلى هذا الجهد بداية فى تحديد مشكلة الدراسة وأهدافها وحدودها ومنهجها وأهميتها ، ثم فى الإحاطة بالدراسات السابقة فى الموضوع ، ثم فى وضع مخططها الذى ضم ستة فصول وحرص الباحث الكريم على الرجوع الى العديد من الكتــب والرســائل الجامعــية والدوريات والموسوعات والمعاجم فكانت قائمة مصادر الدراسة ومراجعها حافلة ٠

جاءت الرسالة بفضل هذا الجهد غنية فى موضوعها الذى جمع بين التاريخ والتربية أو التاريخ التربوى على حد تعبير كاتبها ، وعلى الرغم من ان موضوع التعليم فى فلسطين جرى تناوله فى كتب كثيرة من قبل ، إلا أن هذا الكتاب بفضل جهد مؤلفه نجح فى تقديم فكرة واضحة عن التعليم فى فلسطين فى عهد الدولة العثمانية ، تضمن إضافات تستحق التحــية سواء فى حديثه عن التعليم العربى الإسلامى المزود بالجداول والقوائم أو فى حديثه عن التعليم الأجنبى ٠

يُحمــد للمؤلــف أنه حرص على تعريف كل مصطلح جديد ورد فى الدراسة فحين يمر بمصــطلح " الطورانية " مثلاً يضع فى الهامش شرحاً وتحديداً دقيقاً له ، وكذلك الشأن مع عديد من المصطلحات الآخرى ، ويُحمد للمؤلف أيضاً أنه طرح أحكاماً تتعلق بالدولة العثمانــية تعــبر عــن قناعاته ، وهى تتيح للقارىء أن يتفاعل معها بغض النظر عن موافقته أو مخالفته لها ٠

بقــى أن أهنىء صاحب هذا الكتاب على جهده الذى حاز بموجبه درجة الماجستير مع مرتبة الشرف الأولى ، وأن أرجو له مستقبلاً زاهراً فى العمل ٠

مدخل

لقد بحثت هذه الدراسة في حقبة مهمة في تاريخ التربية العربية الفلسطينية وهي، التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية (١٥١٦ – ١٩١٧ م)، حيث وجد الباحث تبايناً واضحاً بين الباحثين حول هذا الموضوع فمنهم من أصدر أحكاماً مسبقة على الدولة العثمانية والتعليم في عهدها ووصفه بالجهل والتخلف، ومنهم من رأى عكس ذلك، ومن هذا المنطلق هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية، وتحديد العوامل التي أثرت على التعليم في تلك الفترة، وبيان المراحل التي مر بها التعليم أيضاً في تلك الفترة، والكشف عن أهداف التعليم الأجنبي في فلسطين، وحجمه وأهدافه وموقف الدولة العثمانية منه.

ولقد حاول الباحث من خلال هذه الدراسة أن يكشف النقاب عن واقع التعليم في فلسطين في العهد العثماني، وأن يثبت أن الدولة العثمانية كدولة خلافة إسلامية لم تحرم أحداً من حقه في التعليم، ولكن ذلك كان خاضعاً لأوضاع الدولة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بمعنى أن هناك مراحل قوة وضعف أسهمت في تطور التعليم.

وتوصل الباحث إلي أن الاتهامات التي وجهت للدولة العثمانية جاءت أصلاً على ألسنة الإنجليز بعد انسحاب العثمانيين من فلسطين ووقوعها تحت الانتداب البريطاني، وذلك لإعطاء مبرر لانتدابهم وإظهار الدولة

العثمانـــية على أنها مستعمرة وغير حضارية، وللأسف تبنى كثير من الباحثين العرب هذه المواقف دون دراسة أو تحليل أو حتى دليل.

وقـــد توصل الباحث إلي أن التعليم في فلسطين في العهد العثماني كان إلزامـــياً ومجانـــياً، وأن البـــنات أخذن حقهن في التعليم مثل الذكور، وأن التعليم كان قوياً، فقد وجد سلماً تعليمياً ومدة الدراسة كانت ١٢ سنة مقسمة إلى مراحل، وهناك مناهج دراسية متنوعة حسب كل مرحلة، وهناك إدارة قوية للتعليم وفلسفة واضحة وأن التعليم كان متوفراً في المدن والقرى، وقد أورد الباحـــث أعداد المدارس التي وجدت على مدي تلك الفترة وتبين أنها أكبر بكثير من الإحصائيات التي أوردتها الدراسات السابقة مما يدلل على قـــوة التعلـــيم وانتشاره، هذا بالإضافة إلي وجود التعليم الأجنبي (المسيحي واليهودي) والذي تناوله الباحث بالتفصيل.

وبالـــرغم من أن الدولة العثمانية سمحت بإقامة المئات من المدارس لتلك الطوائـــف فإنها لم تكن راضية عن التعليم الأجنبي ، لأنه انتشر في ظروف صـــعبة مـــرت فـــيها الدولة العثمانية، وقد ميز الباحث بين التعليم المسيحي والـــيهودي حيث أفاد الفلسطينيون من المدارس المسيحية وتعلموا منها بعكس المدارس اليهودية التي كانت خاصة باليهود، وخلص الباحث إلي نتيجة مهمة وهـــي أن التعلـــيم كان متوفراً للجميع كل حسب رغبته وقدرته وطموحاته، لذلـــك رأى الباحث أن تلك الفترة كانت ثرية من الناحية العلمية فأوحى بعمل دراسة حول العلماء في تلك الفترة، وعن التعليم الأجنبي لكل طائفة على حدة وأهدافـــه المتـــنوعة. ودراسة عن التعليم الصهيوني، وبالرغم من أن ذلك قد يكون شاقاً جداً فإنّه سيؤدي إلي نتائج إيجابية تهم تاريخ التربية.

المؤلف

الفصل الأول
خلفية الدراسة

- المقدمة
- مشكلة الدراسة
- أهداف الدراسة
- أهمية الدراسة
- حدود الدراسة
- منهج الدراسة
- مصطلحات الدراسة
- الدراسات السابقة

المقدمة:

تعتـــبر أرض فلســطين أرضاً مباركة وذلك مصداقاً لقوله تعالى﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا، إنه هو السميع العليم ﴾([1]) وكانت دائماً محط أنظار العالم منذ فجــر الــتاريخ، وما زالت حتى يومنا هذا تمثل بؤرة الصراع الكوني، وســتبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وسيظل أهلها في رباطٍ إلى يوم القيامة. وهذا ما أكده النبي صلي الله عليه وسلم في حديثه لمعـــاذ بـــن جبل عندما قال له: "يا معاذ: إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشـــام مـــن بعدي من العريش إلى الفرات، رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة، فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس، فهو في جهاد إلى يوم القيامة"([2]).

وقـــد تعـــددت مـــراحل الـــتاريخ التي مرت بها فلسطين، وتنوعت الأمم والأجـــناس التـــي استعمرتها وطمعت فيها عبر آلاف السنين، إلا أنها عاشت أيضـــاً فترات كبيرة من العزة والكرامة بدءًا من عهد الخلافة الراشدة وانتهاءً بالخلافـــة العثمانـــية، والحلقة المهمة هنا هي فترة الخلافة العثمانية التي يراد دراســـتها والتركيز على جانب مهم فيها وهو جانب التعليم، حيث جاء اهتمام الباحث بدراسة واقع التعليم في فلسطين في العهد العثماني لوجود تباين كبير في آراء الباحثين والمؤرخين في هذا الموضوع فبعضهم رأى أن "من طبيعة

---

[1] - سورة الإسراء [آية رقم ١]

٢ - مجـــير الديـــن الحنبلـــي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط ٢، ج١، الأردن، مكتبة المحتسب، ١٩٧٣م، ص٢٢٨

الأشـياء أن تتخلف الثقافة العربية في عهد السيطرة التركية، وأن من أهداف الحكومـة العثمانية كان إهمال المواطن العربي، وجره إلى التأخر والتدهور المادي والمعنوي حتى لا يتطلع إلى الاستقلال"[1] وبعضهم قال: على الرغم مـن اعترافـنا بوجاهة بعض الانتقادات التي تدين بعض جوانب نظام التعليم التـي فـي فلسطين فإننا نرى في الوقت نفسه بعض الجوانب الإيجابية التي تلقـي الضـوء على جانب هام من التعليم التركي في فلسطين[2] ولقد ذهب بعـض الباحثين إلى أن مصدر تلك الاتهامات للدولة العثمانية كان على ألسنة المسـؤولين والكُـتاب الإنجليز بعد انسحاب العثمانيين من فلسطين ووقوعها تحت الانتداب البريطاني، كي يظهروا أن الدولة العثمانية دولة مستعمِرة غير حضـارية وكدولـة مـتخلفة لم تعمل على تطوير أجهزتها الإدارية لمواكبة العصـر، وأن غايـتهم في ذلك توسيع الفجوة بين العرب والعثمانيين وكسب ولاء العرب إلى جانبهم [3].

وبالـرغم مـن هذه الآراء فإن ما يهمنا أن لا تبني الانتقادات على أساس الحكـم المسـبق علـى الأحـداث التاريخـية، لأن ذلـك يتنافى مع النظرة الموضـوعية لتقييم الأحداث كما كانت في الماضي، ومن هذا المنطلق يرتكز الباحـث أولاً على الرأي القائل بأن " أوضاع التعليم في فلسطين كانت جزءًا

---

١ – سعد مرسي أحمد، وسعيد إسماعيل على: تاريخ التربية والتعليم، عين شمس، ١٩٨٠، ص١٤٢

٢ – عبد الله القطشان: التعليم العربي في فلسطين إبان الحكم التركي والبريطاني ١٥١٦ – ١٩٤٨ ، عمان، منشورات دار الكرمل، صامد، ١٩٨٧، ص١٧

٣ – محمـد حسـين العمايـرة: "رؤيـة جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين خلال العهد العثماني"، صامد الاقتصادي، السنة التاسعة عشر، ع ١٠٩ ، دار الكرمل للنشر، عمان، أيلول ١٩٩٧م، ص ص ٢٢٨، ٢٢٩

من الأوضاع العامة للدولة العثمانية ككل([1]) وهذا يعني أن التعليم في القدس لا يختلف عن التعليم في استنبول حتى لو كان هناك ضعف أو تأخر في التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية، إذ لم تكن الدولة العثمانية تقصد فلسطين بذلك الضعف ، لأن مستوى التعليم في الدولة كلها مستوى واحد.

وهنا تجدر الإشارة أيضاً إلى أن الدولة العثمانية كانت دولة حرب وجهاد، وكان من أولي أولوياتها حماية الدولة وحدودها وحماية الإسلام([2]) ٠ وفي الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تتوسع حدودها لم تشعر أنها ضعيفة أو بحاجة إلى تطوير جوانب الحياة فيها، ولكن عندما بدأت الدولة العثمانية تتعرض لهزائم عسكرية بدأت تتجه لمواكبة التطور والتقدم وخاصة فى جانب التعليم، لذلك فلا يعقل أن يذهب بعض الباحثين إلى القول أن التعليم في فلسطين في العهد العثماني كان متخلفاً بشكل عام ([3]) لأن البعض الآخر كان يرى غير ذلك إلى حد القول بأنه "قلما كنت تجد في العهد العثماني قرية في فلسطين بدون مدرسة([4]).

لذلك وجد الباحث أن معظم تلك الأحكام لم تستند إلى حقائق علمية واضحة بقدر ما كانت أسيرة العديد من التناقضات، بل هي أحكام مسبقة وبالتالي غير موضوعية، فكانت مبررات الباحث واضحة في البحث

---

١ - علي سالم النباهين: تاريخ الفكر التربوي من العصور القديمة إلى العصور الحديثة، غزة، مطبعة منصور، ١٩٩٦، ص٤٢٣

٢ - محمد حسين العمايرة: " رؤية جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين خلال العهد العثماني"، مرجع سابق، ص٢٣١

٣ - محمد عرابي نخلة: تطور المجتمع في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٤٨، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٢م، ص٣٢٩

٤ - مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٣، دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١، ص٥٤

عن حقيقة واقع التعليم في فلسطين في العهد العثماني، وهذه الحقيقة ستسهم في إعادة صياغة تاريخ فلسطين التربوي في فترة مهمة جداً.

مشكلة الدراسة:

في ضوء ما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما واقع نظام التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية خلال الفترة (١٥١٦-١٩١٧م)؟

وينبثق عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما واقع التعليم عند مجيء العثمانيين إلى فلسطين ؟
٢. ما العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أثرت في السياسة التعليمية في فلسطين في العهد العثماني ؟
٣. ما أهم الملامح الرئيسة للتعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية ؟
٤. ما المراحل التعليمية التي مر بها التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية ؟
٥. ما أنواع التعليم الذي كان موجوداً في فلسطين عهد الدولة العثمانية ؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. التعرف إلى واقع التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية.

٢. الكشف عن العوامل التي أثرت على الحياة التعليمية في عهد الدولة العثمانية.
٣. توضيح مراحل تطور التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية.
٤. الكشف عن أهداف التعليم الأجنبي في فلسطين في العهد العثماني.

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال ما يلي:

١. ربما كانت هذه الدراسة الأولى حسب علم الباحث لتطور التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية خلال الفترة من (١٥١٦ – ١٩١٧م).
٢. يتوقع الباحث أن تكون هذه الدراسة ذات فائدة كبيرة للباحثين في تاريخ التربية والتعليم والباحثين في فلسطين بخاصة، في تاريخ التربية بعامة.

حدود الدراسة:

تتناول هذه الدراسة المؤسسات التعليمية الحكومية (الرسمية) العربية والأجنبية في فلسطين في إطار حدودها الجغرافية في عهد الدولة العثمانية في الفترة (١٥١٦– ١٩١٧م).

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في هذه الدراسة منهج "البحث التاريخي الوصفي التحليلي " القائم على دراسة الأحداث الماضية وفهمها وتفسيرها وتحليلها والربط بينها والاستنتاج([1])، ولا يمكن للباحث التاريخي أن يفهم الماضي إلا إذا مر بمرحلتين أساسيتين هما: مرحلة النقد ومرحلة التحليل، ويسبق هاتين المرحلتين جمع المادة والمعلومات التاريخية من مصادرها([2]) لذلك قام الباحث بدراسة واقع التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية، من خلال المصادر الأولية والثانوية التي تمكن من توفيرها، وتفسيرها وتحليلها وربطها بالعوامل المؤثرة عليه خلال تلك الفترة والخروج بنتائج ملموسة حول مراحل تطور التعليم ونقاط القوة والضعف التي مر بها، وبالتالي إصدار حكم على ذلك الواقع ووضع توصيات مهمة للباحثين.

مصطلحات الدراسة:

- **بلاد الشام:** هي تلك المنطقة الجغرافية التي ضمت سوريا ولبنان وفلسطين والأردن وامتدت من سلسلة جبال طورس في الشمال والي شبه جزيرة سيناء في الجنوب، ومن الحدود العراقية السورية في الشرق إلى ساحل البحر المتوسط في الغرب، وقد ظل هذا المصطلح يطلق على المنطقة المذكورة حتى أواخر القرن التاسع عشر، وبعد إعادة تنظيم الولايات العثمانية (١٨٦٤ – ١٨٦٧

---

١ – إحسان الأغا: البحث التربوي [عناصره، مناهجه، أدواته]، غزة، مطبعة المقداد، ١٩٩٧، ص٧٦ – ٨٠

٢ – صلاح العاورر: مناهج البحث التاريخي، رفح، مكتبة ايهاب، ١٩٩٧، ص١٥

م) بـــدأ مصطلح سوريا (ولاية سورية) يطلق على منطقة سوريا الجغرافــية وحتى الاحتلال المصري، انقسمت بلاد الشام إدارياً إلى أربـــع أيالات، وهي حلب وطرابلس ودمشق وصيدا، وبعد خروج المصـــريين مـــنها، حلّـــت ايالة طرابلس بدورها وضمت إلى ايالة صيدا، التي أصبحت بيروت مركزها، وبعد ثلاث سنوات حلت ايالة صـــيدا بدورها وضمت إلى ولاية دمشق التي أطلق عليها منذ ذلك الحيـــن تســـمية (ولاية سوريا) وفي عام ١٨٨٨م تم توطيد المنطقة الســـاحلية الممتدة من طرابلس حتى عكا في ولاية جديدة سميت ب (ولايـــة بيروت) وعند نهاية القرن التاسع عشر، كانت هناك ثلاث ولايات هي حلب وسوريا وبيروت، ومتصرفيتا جبل لبنان والقدس ([1]).

➢ **فلسطين:** تشـــكل فلســـطين جزءً طبيعياً من بلاد الشام، وهي تؤلـــف جزأها الجنوبي الغربي، فلو ألقينا نظرة على خريطة الوطن العربـــي نجد أنها تحتل قلب هذا الوطن الكبير، وأنها تشكل جسراً يصـــل آســـيا بأفريقـــيا وتصـــل البحر المتوسط بالسهول الداخلية وصحاري الجزيرة العربية([2]) وفي العهد العثماني أصبحت فلسطين تعـــرف بســـوريا الجنوبـــية، وتقســـم داخلياً إلى ثلاث متصرفيات

١- عـــبد الـــرءوف سنو: النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية ١٨٧٧-١٨٨١م [بلاد الشام – الحجاز –كردستان–ألبانيا]، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص٥٣

٢ – أحمد الربايعة: "الصناعة في فلسطين في العصور الحديثة"، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام– فلسطين، مج٢، الجامعة الأردنية، عمان ، ١٩٨٣، ص١٥٨

(متصرفية القدس المستقلة) التي أصبحت تتبع الباب العالي في الأستانة منذ سنة ١٨٧٤م وذلك لمكانتها الدينية (متصرفية مرادفها بالتركية سنجق). ومتصرفية عكا ومتصرفية نابلس وقد ألحقت هاتان الأخيرتان بولاية الشام حتى عام ١٨٨٣م حين جرى آخر تقسيم إداري فألحقتا بولاية بيروت([1]) وفلسطين التي نود أن نقف عند صورتها، هي فلسطين الحالية بحدودها الجغرافية التي انبثقت إثر الحرب العالمية الأولى عن اتفاقية سايكس بيكو، أي فلسطين التي أخذها الاستعمار البريطاني من جسم بلاد الشام بعد الاتفاق بينه وبين الاستعمار الفرنسي في ١٩٢٠/١٢/٢٣م ([2]) وفلسطين هذه تقع في الغرب من قارة آسيا بين خطي عرض ٢٠َ ٢٩ْ، ١٥َ ٣٣ْ شمالاً وبين خطي طول ١٥َ ٣٤ْ، ٤٠َ ٣٥ْ شرقي غرينتش، وهي القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام، ويحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، على ساحل طوله ٢٢٤ كيلو متراً، ومن الشرق سوريا ويبلغ طول الحدود بين القطرين ٧٠ كيلو متراً، والأردن على حدود طولها نحو ٣٦٠ كم، ومن الشمال لبنان على حدود طولها ٧٩ كم ومن الجنوب سيناء وخليج العقبة، ويبلغ طول الحدود المصرية الفلسطينية بين رأس طابا على خليج العقبة ورفح على البحر

---

١ - بيان الحوت: فلسطين [القضية، الشعب، الحضارة]، بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٩١، ص١٠٣

٢ - هاشم ياغي: "فلسطين في كتب الجغرافيين العرب"، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام-فلسطين، مج٢، الجامعة الأردنية، عمان ، ١٩٨٣، ص٥٥١ .

الأبـيض المتوسـط نحو ٢٤٠كم، وطول الساحل الفلسطيني الواقع على خليج العقبة عشرة كيلو مترات ونصف الكيلو متر([1]).

- **العثمانـيون:** ينسـب العثمانـيون إلى عثمان مؤسس الأسرة التركية الـذي حملـت الدولة العثمانية اسمه، وبمعنى أوسع أطلق اسم العثمانيين علـى سكان الدولة العثمانية وآخر الدول الإسلامية وأكبرها، وقد نشأت الدولـة العثمانية عند أطراف الدولة التي أسسها المغول بعد قضائهم على دولـة سـلاجقة الروم في الأناضول، وكان ذلك عند نهاية القرن الثالث عشر حيث استقل العديد من الأمراء في مناطق تواجدهم ([2]).

الدراسات السابقة

١) دراسة (العسلي: ١٩٨١م)

بعنوان: "معاهد العلم في بيت المقدس"([3])

هدفـت الدراسـة إلـى المزيد من التعريف ببيت المقدس في أيام محنتها، وقد اقتصـرت الدراسة على الناحية الثقافية والتاريخية والأثرية، لمعاهد العلم الإسلامية فـيها، وشـملت هـذه الدراسة فترة طويلة حوالي ١٢٠٠ سنة، من الفتح الإسلامي حـتى بدايـات النهضـة الحديثة في أوائل القرن التاسع عشر (أوائل القرن الثاني عشر الهجري) وتناولت المسجد الأقصى والمدارس ومؤسسات الصوفية من زوايا وخوانق وربط ودور الكتب الإسلامية من مختلف الجوانب.

---

١ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج١، ق١، ص١٥

٢ - كلـوس كريـزر وآخـرون: معجم العالم الإسلامي، ترجمة ج: كتورة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط٢، ١٩٨٨، ص٤٢١

٣ - كامل جميل العسلي: معاهد العلم في بيت المقدس، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨١م.

ومن نتائج الدراسة:

- وجـــود ٦٩ مدرســـة فـــي القـــدس، بالإضافة إلى البيمارستان الصلاحي.
- وجود ٩ أماكن للطرق الصوفية في بيت المقدس.
- وجود ٧ ربط في القدس.
- وجود ٨ خوانق في القدس.
- وجود ٤٠ زاوية في القدس.
- وجـــود خزائن للكتب ودار للكتب ومتحف إسلامي و٩ مكتبات للأسر المقدسية ومكتبات خاصة.

ومن نتائج الدراسة أيضاً أن الموضوع ما زال في حاجة إلى درس مســـتفيض، ومـــا كتب ما هو إلا مقدمة لهذا الدرس، فهناك ثغرات لم تملأ، وهناك نقاط ما زالت في حاجة إلى المزيد من التحقيق.

٣) دراسة (العاجز: ٢٠٠٠م)

بعنوان "تطور التعليم العام في قطاع غزة من سنة ١٨٨٦ – ٢٠٠٠م"(١)

هدفت الدراسة إلى: التعرف على واقع التعليم العام في قطاع غزة في ظل الظـــروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سادت في الفترة التاريخية التالـــية: مـــن ١٨٨٦ حتى عام ١٩١٨م. وقد تناولت الدراسة في جزء منها التعليم في العهد العثماني.

---

١ - فـــؤاد علـــي العاجز : تطور التعليم العام في قطاع غزة ١٨٨٦-٢٠٠٠م، غزة، مطبعة المقداد، سنة ٢٠٠٠م

ومن النتائج التي خلصت إليها الدراسة في العهد العثماني هي:

- أن التعليم لم يشهد تطوراً ملموساً نتيجة لعدم استقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية واقتصرت على الكتاتيب.
- بالرغم من أن العثمانيين وضعوا حجر الأساس في بناء التعليم النظامي في غزة فإن سياستهم كانت مشوبة بكثير من مواطن النقص، حيث انتهت فترتهم ولم يوجد في غزة سوي مدرستين ابتدائيتين واحدة للذكور وأخري للإناث.
- عانى التعليم خلال فترة العهد العثماني من سلبيات كثيرة كان أهمها أن التعليم كان باللغة التركية بدلاً من العربية بالإضافة إلى قلة المدارس وعدم الاهتمام بتعليم البنات، وتفشي الأمية التي بلغت نسبتها حوالي ٨٥ % بين أهالي غزة.

٣) دراسة (القطشان ١٩٨٧م)

بعنوان: التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني ١٥١٦ – ١٩٤٨م (١)

وهدفت الدراسة إلى دراسة التعليم العربي في عهد الحكم التركي.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية بالنسبة للعهد التركي:

- أن وزارة التعليم العثمانية انتهجت سياسة مرنة إزاء مؤسسات التعليم غير الرسمية ، والتي تشمل مؤسسات التعليم الأجنبية واليهودية والعربية والمسيحية، وقد أملت عليها هذه السياسة ظروف خارجة عن

---

١ - عبد الله القشطان: التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني ١٥١٦- ١٩٤٨م، دار الكرمل للنشر، عمان، ١٩٨٧م

إرادتهـا كانت وليدة الابتزاز والضغط الأوربيين الذين تعرضت لهما الدولة العثمانية من قِبل الدول الأوربية في العصر الحديث.

- ♦ إن حركة إصلاح التعليم العثماني جاءت كرد فعل على الهزائم العسكرية المتلاحقة التي تعرض لها الجيش العثماني في الداخل والخارج.
- ♦ تركت الحكومة العثمانية حرية واسعة للسكان العرب في فلسطين لإدارة مدارسهم الأولية.
- ♦ تولـت العناصـر العربية مهام الإدارة والتعليم والتفتيش في المدارس الرشيدية والإعدادية والسلطانية واستطاعت الحكومة العثمانية بناء شبكة واسـعة مـن المـدارس في مختلف المدن والقرى العربية التي يقطنها السكان المسلمون.
- ♦ حق التعليم كان متاحاً أمام جميع فئات السكان دون تمييز.
- ♦ كانـت الغالبـية العظمى من المدارس العثمانية في مستوى المرحلة الابتدائـية الأولـية ، وكان عدد مدارس البنين يفوق عدد مدارس البنات بعدة مرات.

٤) دراسة (العمايرة ١٩٩٧م)

بعـنوان: رؤيـة جديـدة لأوضـاع التعلـيم فـي فلسـطين خـلال العهـد العثماني(١)

هدفـت الدراسة إلى: إعطاء صورة جديدة لواقع التعليم في فلسطين في العهـد العثمانـي من خلال دحض الاتهامات والانتقادات التي وجهت إلى الدولة العثمانية، والتي تشير إلى تقصير العثمانيين المتعمد ، لتجهيل عرب

---

١ – محمـد حسـين العمايـره: "رؤيـة جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين خلال العهد العثماني"، صامد الاقتصادي، السنة التاسعة عشر، ع ١٠٩ ، دار الكرمل للنشر، عمان، أيلول ١٩٩٧م

فلسطين وتتريك العرب وإلغاء اللغة العربية وإهمال تعليم الفلاحين والإناث.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- تبين أن معظم الاتهامات جاءت في أصلها على ألسنة الإنجليز ، ورددها كتاب ومؤلفون عرب وأصبحت كأنها مسلمات.
- توصل الباحث إلى أن اللغة العربية كانت لغة التدريس في جميع الولايات العثمانية طيلة العهد العثماني، وأن الدولة العثمانية لم تعمل على تجهيل العرب في فلسطين وغير فلسطين، بل إنها قامت بنشر المدارس والمعاهد في جميع أجزاء الولايات العثمانية بحسب ما تسمح به ظروفها وأوضاعها ، وبقي الأمر كذلك حتى تسلم الاتحاديون الأتراك (١٩٠٨-١٩١٨م) مقاليد الحكم في تركيا، والذين عملوا على تعزيز قوميتهم التركية، وإعادة شأن اللغة التركية ؛ ومركزها مما دفع العرب إلى تأسيس الجمعيات القومية العربية، التي طالبت بإعادة سيادة اللغة العربية واستقلال الدولة العربية.

تعليق عام على الدراسات السابقة:

أفاد الباحث من الدراسات السابقة الكثير من المعلومات القيمة عن أسماء وتواريخ بعض المؤسسات التعليمية التي كانت قائمة أيام العهد العثماني.

ويتفق الباحث في أن موضوع التعليم يحتاج إلى المزيد من التحقيق والاهتمام، وأن ما كتب فيه يعد قليل جداً.

ويتفق الباحث كذلك في أن حق التعليم كان متاحاً أمام جميع فئات السكان دون تمييز ، ولا يتفق الباحث مع القول بأن التعليم كان باللغة

التركية فقط، وأن هناك قلة في عدد المدارس، وعدم اهتمام بتعليم البنات.

ويتفق الباحث كذلك مع القول بأن الدولة العثمانية لم تعمل على تجهيل العرب في فلسطين، بل قامت بنشر المدارس والمعاهد في جميع أجزاء الولايات العثمانية بحسب ما تسمح به ظروفها وأوضاعها.

ولقد أفاد الباحث أيضا من التباين في وجهات النظر المختلفة، والنتائج الإيجابية التي خرجت بها تلك الدراسات، وقد تعرف الباحث من خلال تلك الدراسات على العديد من المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع الدراسة.

ولذلك تميزت دراسة الباحث بتغطية العديد من جوانب البحث وبخاصة عندما تناولت فلسطين كلها كوحدة جغرافية، وكذلك تناولت فترة الدولة العثمانية كاملة منذ دخولها إلى فلسطين حتى رحيلها عنها، وهذا ما لم تتناوله أيٌّ من الدراسات السابقة.

الفصل الثاني

العثمانيون في فلسطين وموقفهم من التعليم

أولاً / ظهور العثمانيين

ثانياً / مجيء العثمانيين إلى العالم العربي

ثالثاً / موقف الدولة العثمانية من العلم والعلماء

أولاً / ظهور العثمانيين:

ينتسب العثمانيون إلى عشيرة قابي التركية، وهي من الأتراك الأوغوز، هاجرت إلى آسيا الصغرى في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، وسكنت في مقاطعة تابعة للدولة السلجوقية ([1])، ومؤسس الدولة العثمانية هو أرطغرل بن سليمان شاه التركماني قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية إلى بلاد آسيا الصغرى، وذلك أنه كان راجعاً إلى بلاد العجم بعد موت أبيه غرقاً عند اجتيازه أحد الأنهر، فى أثناء مسيرتهم لمحوا جيشان يقتتلان، فانخرطوا يقاتلون إلى جانب الجيش الصغير الضعيف ، وقد تم النصر لذلك الجيش، وبعد تمام النصر علم أرطغرل بأن الله قيضه لنجدة الأمير علاء الدين سلطان قونية إحدى الإمارات السلجوقية التي تأسست عقب انحلال دولة آل سلجوق بموت السلطان (ملك شاه) في ١٥ شوال سنة ٤٨٥ هـ / ١٨ نوفمبر ١٠٩٢ م ([2])، وتبين كذلك أن الجيش الآخر كان جيشاً بيزنطياً، وبعض الروايات تقول إنه كان جيشاً مغولياً ([3]).

وظل أرطغرل حليفاً للسلاجقة يحارب في صفوفهم ضد المغول والبيزنطيين حتى أقطعه السلطان منطقة في أقصى الشمال الغربي من الأناضول على الحدود البيزنطية في المنطقة المعروفة بـ "سكود" حول

---

[1] - محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ١٢٩٩-١٩٢٤م، بيروت، دار المحروسة، ١٩٩٥، ص١٦

٢ - محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط ٢ ، تحقيق إحسان حقي، بيروت ، دار النفائس، ١٩٨٣م، ص ١١٥.

[3] - علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، ط ٣ ، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣، ص ص ١٤، ١٥

أسكي شهر حيث بدأت القبيلة هناك حياة جديدة ([1])، وهذه الأرض التي أعطيت له مقابل الخدمات التي قدمها في تلك المعركة، كانت النواة للدولة العثمانية، بالإضافة إلى منحه لقب أوج بكي، أي محافظ الحدود ([2])، وبعد وفاة أرطغرل ١٢٨٨م عين السلطان السلجوقي علاء الدين أكبر أولاد أرطغرل مكانه وهو عثمان الذي استأنف الحرب ضد البيزنطيين، واستولى على قلعة قرة حصار عام ١٢٨٩م، فكافأه السلطان السلجوقي بمنحه لقب بك، وأقطعه كافة الأراضي والقلاع التي سقطت بيده وأجاز له ضرب العملة وذكر اسمه في خطبة الجمعة ([3])، وبعد وفاة السلطان التركي علاء الدين، ونتيجة لانحلال الدولة بعد وفاته من جراء الفتن والاضطرابات، ونظراً لعدم وجود خليفة له فقد قام عثمان بالاستئثار بالمقاطعات التي كانت تحت حكم علاء الدين، واتخذ مدينة اسكي شهر عاصمة له كما اتخذ الراية نفسها والتي لا تزال حتى زماننا الحاضر تمثل العلم التركي المؤلف من الهلال والنجمة، ودعا نفسه **بادشاه**● آل عثمان، واشتغل بتنظيم البلاد وبذلك ظهرت البداية الحقيقية للدولة العثمانية التي تنسب إليه([4]).

---

[1] - محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ١٢٩٩-١٩٢٤م، مرجع سابق، ص١٧

[2] - سعيد أحمد برجاوي: الإمبراطورية العثمانية- تاريخها السياسي والعسكري، الأهلية للنشر، ب.ت، ص٢٤

[3] - سعيد أحمد برجاوي: الإمبراطورية العثمانية- تاريخها السياسي والعسكري، الأهلية للنشر، ب.ت، مرجع سابق، ص٢٥

● **الباديشاه**: تعني الملك بالفارسية [على سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٣٢].

[4] - على حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، مرجع سابق، ص١٥

وإلى عثمان تنتسب الدولة العثمانية الذي يعتبر مؤسسها الأول، وعلى عهده وفي وقت مبكر تحدد الوضع الديني والعسكري والسياسي للأتراك العثمانيين، وبخاصة وأن عثمان استقل بإمارته من وضع الإمارة الحدودية إلى وضع الدولة بكل مقوماتها، من عاصمة وأهداف محددة وشعب وحدود وجغرافية ([1])، وقد توسعت هذه الدولة فامتدت من "القوقاز وإيران شرقاً إلى أبواب فيينا وبلاد المغرب غرباً، وفي جنوب روسيا وبولندا شمالاً إلى بلاد الحبش والمحيط الهندي جنوباً" ([2])، أما بالنسبة للفترة الزمنية التي شغلها الأتراك في سفر تاريخنا الإسلامي، فهي أطول فترة استظلت فيها الأمة الإسلامية براية واحدة، فقد حكمت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون متتالية منذ أن أسسها عثمان أرطغرل عام ١٣٠٠م إلى أن تمكن مصطفى كمال أتاتورك بتحريض من أعداء الإسلام، من إلغاء السلطنة العثمانية في عام ١٩٢٣م، ثم إبطال مفعول الخلافة الإسلامية في الثالث من آذار ١٩٢٤م ([3]).

أما فيما يتعلق بمكانة الدولة العثمانية بين دول العالم، فإن الفيلسوف الإنجليزي TOYNBEE يرى أن "الإمبراطورية العثمانية هي الدولة الوحيدة التي جمعت الشرق الأوسط تحت حكمها أطول حقبة في التاريخ، وذلك أمر لم توفق إليه الإمبراطورية الفارسية أو الرومانية أو العربية، ويضيف قائلاً: إن

---

[1] - محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ١٢٩٩-١٩٢٤م، مرجع سابق، ص ص ٢٠، ٢١

[2] - سيد محمد السيد: دراسات في التاريخ العثماني، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦، ص ١٥

[3] - زياد أبو غنيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، ط ٢ ، الأردن، دار الفرقان، ١٩٨٦، ص٢٠

كافة الأقوام الناطقة بالعربية اجتمعت تحت راية دولة واحدة، وأن أياً من الدول الأوربية الاستعمارية التي أخذت مكان الدولة العثمانية، لم تتمكن من إدارة هذه الأقطار مدة طويلة وبطريقة مستقرة كما أدارتها الدولة العثمانية" ([1]).

ويرى توينبي كذلك أن إدارة الدولة العثمانية للشرق الأوسط كانت خير إدارة على مدى التاريخ وحتى يومنا هذا، وأن الدولة العثمانية هي الوارث بحق للإمبراطورية الرومانية([2]). ولقد أطلق المؤرخون المعاصرون على الأسلوب العثماني الذي حكم الشرق الأوسط لعدة قرون مصطلح PAX OTTOMANA وهو يقابل PAX ROMANA وهو التعبير اللاتيني لمفهوم "النظام العالمي" الذي يرد ذكره في دستور فاتح في قانون نامه ([3])، وهذا يؤكد أن قوة هذه الدولة وشهرتها إلى هذا الحد ترجع الى أن هناك مقومات حضارية توفرت لديها وإلا لما استمرت هذه الفترة الزمنية وبهذه الإدارة ولما حققت العالمية في وقتها. ولقد ذكر "لوردكيزوس" في مجلة، BOOKS AND BOOKSMEN عام ١٩٧٣م ما ترجمته "أن الإمبراطورية العثمانية كانت بضخامة الإمبراطورية الرومانية، حيث كانت تساويها تقريباً من حيث المساحة، لكن الإمبراطورية العثمانية حافظت على وجودها في ضعف المدة التي احتاجتها الإمبراطورية الرومانية في هذا الشأن ([4]).

---

[1] - يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سليمان، استانبول، منشورات فيصل للتمويل، ١٩٨٨، مج١، ص٩

[2] - المرجع السابق، ص٩

[3] - المرجع السابق، الصفحة نفسها

[4] - محمد حسين العمايرة: رؤية جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين خلال العهد العثماني، مجلة صامد الاقتصادي، السنة التاسعة عشرة، ع ١٠٩ ، دار الكرمل للنشر، عمان، تموز آب-أيلول ١٩٩٧م، ص٢٣٠

ثانياً/ مجيء العثمانيين إلى العالم العربي:

جاء العثمانيون إلى البلاد العربية وهم في مرحلة القوة والتوسع التي كانت تتمتع بها دولتهم، ولكن مجيئهم لم يكن عبثاً أو بمحض الصدفة، بل كان ذلك في إطار موقف دولي متغير عاشته المنطقة آنذاك، يتطلب منا الرجوع قليلاً لاستيضاحه، فقد "تعززت مكانة الدولة العثمانية في العالم الإسلامي بعد استيلائها على القسطنطينية وقضائها على الدولة البيزنطية في عام ١٤٥٣م، لأنها بذلك حققت الأمل الذي راود المسلمين منذ بدء الفتوح الإسلامية"([1]). وتحققت بذلك أيضاً بشرى النبي محمد صلي الله عليه وسلم التي قال فيها: "لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش"([2])، وفي ذلك الوقت الذي فتحت فيه القسطنطينية شعر المماليك بتعاظم شعبية العثمانيين بين المسلمين نتيجة استيلائهم على القسطنطينية، بدءوا يتوجسون خيفة من العثمانيين الأتراك، وتبدلت نظرتهم إلى العثمانيين من مشاعر الاعتزاز إلى مشاعر الغيرة، لأنهم أصبحوا منافسين لهم على زعامة العالم الإسلامي([3]).

---

[1] – أحمد عبد الرحيم مصطفى: "حفاظ العثمانيين على التراث الإسلامي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع ٣١، م ٨ ، جامعة الكويت صيف ١٩٨٨م، ص١٦

[2] – رواه الإمام أحمد في المسند ٣٣٥/٤ (ح ١٨٤٧٨)، الإمام الحافظ الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج ٤ ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ص٤٦٨

[3] – زياد أبو غنيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، مرجع سابق، ص١٠٠

هذا في حين كان المسلمون في ذلك الوقت بأمس الحاجة إلى الوحدة والوقوف صفاً واحداً في وجه الأخطار التي تواجههم وبخاصة من البرتغاليين والأسبان، فعندما تولى السلطان سليم الأول، واصل البرتغاليون الصليبيون تهديد العالم الإسلامي من جهة الجنوب، وهددوا باحتلال المدينة المنورة، وبنبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخذ جسده الشريف إلى أوربا، وقد عجز الحكام المماليك عن مقاومة البرتغاليين، والأدهى من ذلك أن البرتغاليين قد وجدوا لهم أعواناً على ذلك، إذ طلب منهم **الصفويون*** الشيعة تشكيل حلف ضد العثمانيين بل

* **الصفويون**: نسبة إلى مؤسس هذه السلالة صفي الدين الذي توفي ١٣٣٤م وقد حكموا إيران ما بين ١٥٠١-١٧٢٢م، وكانوا أساساً طريقة صوفية وأصبح صفي الدين شيخها في أردبيل، علماً أن الطريقة كانت حتى ذلك العهد طريقة صوفية سنية، وفي ظل حلفائه اكتسبت هذه الطريقة العديد من المؤيدين في أذربيجان وشرق الأناضول وسوريا وبخاصة في أوساط القبائل ذات الأصل التركماني وبتأثيرها الروحي على التركمان استطاعت هذه الطريقة مع بداية القرن الخامس عشر التحول لتلعب دوراً أساسياً، وفي هذا الوقت بدأت النزعات الشيعية بالظهور في أوساط الصفويين، وقد اتخذ الصفويون مدينة تبريز سنة ١٥٠١م مقراً لدولتهم الجديدة بقيادة إسماعيل بن حيدر (الصفوي) الذي توج نفسه ملكاً على بلاد فارس، معلناً المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للدولة وممهداً بذلك الطريق أمام تشييع كافة بلاد فارس، وحتى عام ١٥٠٩م تمكن إسماعيل الصفوي من احتلال غرب إيران، وواصل جيشه الزحف حتى احتل بلاد الأوزبك وصولاً حتى خراسان، وفي العام ١٥١٤م قام الجيش العثماني بالهجوم على أذربيجان والانتصار على جيش إسماعيل شاه [كلوس كريزر وآخرون: معجم العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ص ٣٨١،٣٨٢].

ضد أهل السنة ([1]). لذلك ظل الأمل متعلقاً بالعثمانيين لدرء ذلك الخطر المحدق، فاستجابوا لنداءات المسلمين التي استنجدت بهم، وهذا يعني أنهم جاءوا منقذين للبلاد العربية، وليسوا محتلين وعندما هب السلطان العثماني سليم الأول لنجدة المسلمين التقي أولاً بالصفويين في صحراء تشالديران في أذربيجان قرب باكو شرقي تبريز في الثالث والعشرين من شهر آب عام ١٥١٤م، حيث دارت بينهما رحى معركة عنيفة نتج عنها انتصار واضح للعثمانيين([2])، وكان هذا الانتصار حدثاً بهر المسلمين في العالم، ما عدا المماليك الذين لم يدعموا العثمانيين حينما هاجموا الصفويين وانتصروا عليهم، وذلك بسبب ضعفهم، وخوفهم أيضاً من ازدياد قوة العثمانيين، ومن أجل السيطرة الكاملة على إيران كان لابد من فرض العثمانيين حصاراً اقتصادياً عليها وذلك من خلال ضم بلاد الجزيرة وبلاد الشام، وسد مسالك المشرق العربي بوجه الصادرات الإيرانية ووارداتها مع الموانئ الأوربية ([3])، وفي ذلك الوقت كانت بلاد الشام تابعة للمماليك الذين بدت عليهم ملامح الضعف، في ظل الفقر والظلم الذي عم البلاد، وهذا لم يكن يؤهلهم لمواجهة العثمانيين بل عادوهم، ورفضوا السماح لهم بالمرور من بلاد الشام

---

[1] - جمال عبد الهادي مسعود، وآخرون: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ [الدولة العثمانية ١٢٩٩- ١٩٢٤م]، ط٢، ج ١ ، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٥، ص٥٢

[2] - محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ١٢٩٩- ١٩٢٤م، مرجع سابق، ص١٤٣

[3] - المرجع السابق، الصفحة نفسها

لضـــرب القوات البرتغالية التي احتلت عدن ومضيق هرمز، في حين كان ذلك مطلوباً من المماليك أنفسهم، وعندما عجز المماليك عن حماية العـــام العربــــي مـــن البرتغاليــــن والأسبان والصفويين الشيعة، تدخل العثمانـــيون كحمـــاة ومحررين ورحب العرب، ولا سيما في بر الشام، بقـــدوم العثمانييـــن، ونظروا إليهم كمنقذين ونجح العثمانيون في حماية العالم العربي من أعدائه الخارجيين أكثر من ثلاثة قرون([1]).

وبـــالفعل ساءت أحوال المماليك في بلاد الشام، وخاصة الجنود مما عجـــل بالقضـــاء علـــى دولتهم التي لم يبك عليها إلا من كانوا باسمها يتمتعون بالخيرات ويسلبون نعمة الأمة ([2]).

وقد كانت نقطة الحسم بين العثمانيين والمماليك في بلاد الشام، موقعة مرج دابق "شمالي حلب" التي انتصر فيها السلطان العثماني سليم الأول علـــى ســـلطان المماليك قانصوه الغوري في الرابع والعشرين من آب ١٥١٦م، وبعد أربعة أشهر اكتمل فتح بلاد الشام بمعركة فاصلة دارت بين العثمانيين والمماليك في غزة، عندما التقى الجيشان في خان يونس في ١٥١٦/١٢/٢١م وهزم المماليك وفر بقية الجنود إلى مصر ([3]).

---

[1] – زياد أبو غنيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، مرجع سابق، ص ص ١١٩، ١٢٠

[2] – محمـــد كـــرد علي: خطط الشام، ط ٣ ، ج٢ ، دمشق، مكتبة النوري، ١٩٨٣، ص ٢١١

[3] – يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، مج١، ص ص٢٢٥، ٢٢٦

ومنذ ذلك التاريخ دخلت بلادنا فلسطين وسائر بلاد الشام تحت الحكم العثماني، علماً بأن "الشعب لم يقاوم العثمانيين، ولم يدافع في الوقت نفسه عن المماليك، بسبب ظلمهم السابق له، بل وقف كالمتفرج وهو يستبدل حاكماً غير عربي بحاكم آخر غير عربي"([1]). والحدث الجلل الذي حصل في مصر بعد هزيمة المماليك في الريدانية ١٥١٧م أن كان فيها آخر ذرية الدولة العباسية الخليفة محمد المتوكل على الله الذي قام بالتنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم العثماني، وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهي البيرق، والسيف، والبردة، وسلم أيضاً مفاتيح الحرمين الشريفين، ومنذ ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميراً للمؤمنين و خليفة لرسول رب العالمين اسماً وفعلاً ([2]).

وفلسطين التي هي قطعة من بلاد الشام، ظلت تحت حكم الدولة العثمانية أربعة قرون متواصلة تخللتها فترة الاحتلال المصري لبلاد الشام فى أثناء توسعات محمد علي الذي أرسل ابنه إبراهيم باشا على رأس حملة بقيت في بلاد الشام من (١٨٣١-١٨٤٠م) ولقد كان عرب فلسطين شأنهم شأن سائر الشعوب التي كانت تتألف منها الإمبراطورية العثمانية يتمتعون بحق انتخاب ممثليهم في البرلمان العثماني، وانتخاب مجالس الإدارة والبلديات، وتولى العرب معظم مراكز الإدارة الرئيسة في فلسطين وكان من أبنائهم من تولى مراكز إدارية عالية في عاصمة الدولة العثمانية وسائر أنحاء الإمبراطورية ([3]).

---

[1] - عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون [١٥١٦-١٩١٦م]، دمشق، مكتبة أطلس، ١٩٧٤م، ص٦٣

[2] - محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مرجع سابق، ص١٩٤

[3] - رفيق شاكر النتشه: السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، ط٨ ، فلسطين، الخليل، دار المستقبل، ١٩٩٧، ص ص٣١، ٣٢

ومـــن المواقـــف السياسية المشرفة للدولة العثمانية تصديها للحركة الصـــهيونية ورفضـــها إعطـــاء اليهود حق الإقامة في فلسطين عندما أصرت جمعية الاتحاد والترقي على ذلك مقابل أن يدفعوا [١٥٠] مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، وعندما رفض السلطان عبد الحميد الثانـــي هذا قائلاً لهم: "لن أقبل حتى ولو دفعتم ملء الدنيا ذهباً" فخلعوه وأبعـــدوه إلـــى سلانيك. وأصر السلطان على أن لا يعطيهم حق إقامة وطن لليهود في فلسطين، حيث قامت جمعية الاتحاد والترقي بالانقلاب عليه في العام ١٩٠٨م واغتصاب الحكم ([١]). وما أن اسقط عبد الحميد حتى تحول الأمر في الدولة العثمانية إلى شئ خطير، فقد فتحت الأبواب لكل الأقطار والدعوات المعارضة للوحدة الإسلامية والخلافة الإسلامية والإسلام نفسه، وأُتيحت الفرصة لكل الغلاة وخصوم العرب والإسلام، فـــي أن يذيعـــوا كل ما من شأنه أن يحقق للاستعمار الغربي واليهودية العالمـــية مطامعهـــا وأهدافها، وخرجت جماعات خريجي الإرساليات التبشـــيرية والمحـــافل الماسونية، لتسيطر على الرأي العام عن طريق الصحافة، وتولت الحكم وزارة في الدولة العثمانية فيها ثلاثة وزراء من اليهود ([٢]).

[١] - عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ط ٣ ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢، ص ٣٧

[٢] - أنـــور الجندي: تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام- السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٧هـــ، ص١١٦

وتم الإعداد الفعلي لإسقاط الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية من خلال ما عرف ببروتوكول لوزان، وهذه الوثيقة الخطيرة التي عقدت بين دول الحلفاء والدولة التركية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وكان البروتوكول في عام ١٩٢٣م وقد ضمت هذه الوثيقة ما يعرف **بشروط كروزون الأربعة** وهي:

١- قطع كل صلة بالإسلام.

٢- إلغاء الخلافة.

٣- إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد.

٤- اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام([١]).

وقد نتج عن ذلك أن سلمت أوربا لمصطفي كمال أتاتورك بزعامة تركيا ، وانسحبت أمامه بعد أن وقع على تلك الوثيقة التي تقرر فيها إزالة الإسلام والخلافة وإخراج زعماء المسلمين، والحكم بالقوانين الغربية وإلغاء اللغة العربية، وقد كان إسقاط الخلافة عام ١٩٢٤م من أخطر الأحداث في العالم كله ، وسيظل من الأعمال الكبرى ضد الإسلام ([٢]) وهنا يمكن القول بأن من أخطر النتائج التي ترتبت على سقوط الخلافة العثمانية هو ضياع فلسطين، وهذا كان هم الحركة الصهيونية الأكبر التي أدركت أنه لن يقوم لليهود وطن في فلسطين إلا بعد سقوط الخلافة العثمانية، وهذا ما تم بالضبط، فكما نرى اليوم أن فلسطين لا زالت ترزح تحت الاحتلال الإسرائيلي الذي كرسته بريطانيا عندما ساعدت على قيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ على أرض فلسطين.

---

[١] - المرجع السابق، ص١١٩

[٢] - المرجع السابق، ص١٢١

ثالثا/ موقف الدولة العثمانية من العلم والعلماء:

إذا أردنا إلقاء الضوء على الدولة العثمانية من الناحية الحضارية، ومكانتها بين الأمم في عصرها السالف، فلا ينبغي إغفال ميزان القوة الذي وصلته الدولة العثمانية والذي لم يأت من فراغ، حيث يشير المؤرخ الفرنسي البارون كارادوفو في كتابه [مفكرو الإسلام- الجزء الأول] إلى أن "فتح القسطنطينية لم يقيض للفاتح مصادفة، ولا لأن الدولة البيزنطية كانت ضعيفة ؛ بل لأن الفاتح استخدم كل ما كان في عصره من قوة العلم (¹)، ولقد كان موقف الدولة العثمانية واضحاً من العلم والعلماء منذ قيامها، ففي وصية عثمان ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية لابنه أورخان جاء فيها "يا بني: أوصيك بعلماء الأمة، أدام رعايتهم وأكثر تبجيلهم، وانزل على مشورتهم فإنهم لا يأمرون إلا بخير"(²)، وكذلك جاء في وصية السلطان محمد الفاتح لولده بايزيد، كما تروى معظم المصادر التركية هذه العبارات، يا بني: قرب منك العلماء، وارفع من شأنهم، فانهم ذخيرة الأمة في الملمات (³).

وحرصاً من الدولة العثمانية على المحافظة على الشريعة واكتساب قلوب المسلمين فإنها أبدت اهتماماً لم يسبق له مثيل بالفقهاء (العلماء) الدينيين الذين أقحمتهم على جهاز الدولة عن طريق النظام الذي أدخلته

---

¹ - زياد أبو غنيمة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، مرجع سابق، ص٢٤٨

² - المرجع السابق، ص ص٢٢،٢١

³ - المرجع السابق، ص٢٣

إلـــى الكليات، وفرص الوظائف التي وفرتها لهم ونظمتها، وهناك من الشـــواهد مـــا يدل على أن النظام التعليمي في مدارس الهيئة الإسلامية كـــان حتى القرن السادس عشر يفوق أي نظام تعليمي آخر في أوربا، وكان الإعداد للمناصب الدينية يتم وفق تقليد عريق، أعاد الفاتح تنظيمه فـــي مرســـوم خـــاص([1]). ولقد بلغت مكانة العلماء درجة تفوق مكانة الســـلاطين، فإن السلطان العثماني لم يكن لينفذ أي قرار سياسي إلا بعد الحصول على فتوى يصدرها مفتي استانبول (شيخ الإسلام) تقر موافقة هذا القرار لأصول الشريعة، وكثيراً ما أدى رفض المفتي إصدار فتواه إلى إرغام السلطان على العدول عن مشروعاته، بل إن تصريح المفتي بـــأن الســـلطان لم يكن يحترم مبادئ الشريعة، وأنه بالتالي غير صالح لتولـــي الحكـــم كـــان كفـــيلاً بالتمهيد لخلعه"[2]" وهذا أيضاً ما شهد به المؤرخـــون الأجانـــب فـــي حق الدولة العثمانية، حيث ينقل المؤرخان الغربيان جونيان وفان قافار، في كتابهما "تاريخ العالم" أن مفتي الإسلام كـــان مـــرجع السلطنة العثمانية في الأمور الشرعية والمدنية على حد ســـواء، وأنـــه كان يتمتع بمرتبة تسمو على مرتبة الوزراء وكان ذلك يجري مراعاة للروح السائدة التي تضع الدين فوق كل اعتبار آخر([3])،

---

[1] - أحمـــد عـــبد الرحيم مصطفى: حفاظ العثمانيين على التراث الإسلامي، مرجع سابق، ص ١١٦-١٢٠

[2] - أحمد عبد الرحيم مصطفى: حفاظ العثمانيين على التراث الإسلامي، مرجع سابق، ص ١١٥

[3] - زيـــاد أبـــو غنـــيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، مرجع سابق، ص ٢٦٣

وقد كان التزام الأتراك العثمانيين بالإسلام التزاماً قوياً حيث طبقوا ذلك علـــى أرض الواقـــع فـــي زمن السلطان سليم الثالث عندما أفتى مفتي الإسلام بخلع السلطان في عام ١٨٠٧م عن عرش السلطنة ، لأنه أدخل على الدولة بعض أنظمة الفرنجة المنافية للإسلام ([1]).

وبعـــد هذا العرض المتواضع هناك سؤال يطرح نفسه، هل يعقل أن دولة أعطت العلماء هذه المكانة "خاصة علماء الدين" أن يقال عنها دولة جهل وتخلف ؟! إلا إذا كان الاعتداء أصلاً يقصد به الإسلام.

ولـــم يقـــف اهـــتمام الدولة العثمانية بالعلماء عند هذا الحد بل كان اهـــتمامهم الواضـــح بالأماكن المقدسة وأضرحة القادة والعلماء، فبعدما دخـــل ســـليم الأول دمشق أمر بترميم المسجد الأقصى، وقبري صلاح الديـــن، والشيخ الأكبر محي الدين بن عربي كما شيد مسجداً باسمه وما ميز الدولة العثمانية أيضاً وساعد على انتشار العلم بسهولة، حرية التنقل فـــي ولاياتهـــا دون حواجز أو عوائق"[2]. لذلك السبب ترك العثمانيون بصـــماتهم في شتى المجالات وفي كل الأماكن التي وصلوا إليها، فلقد برعوا في فنون الخط العربي الذي لا يزال يزين واجهات المساجد، وقد حـــافظوا علـــى أندر نسخ من المصاحف الشريفة ومنها مصحف سيدنا عـــثمان بـــن عفـــان رضي الله عنه، الذي لا زال موجوداً في المكتبة

---

[1] – محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٣٩٣

[2] – المرجع السابق، ص ١٩٢

الســليمانية في إسلام بول حتى العام ١٩٦٥م"[1] وأن أعظم المصاحف المخطوطــة كتبت بيد الخطاطين الأتراك، ولقي الخط العثماني اعتباراً كبيراً لدى العالم الإسلامي بأسره، وأن لقب "خطاط" كان رسمياً ويلزم لحــيازة هذا اللقب بجدارة أن يعمل الطالب مع خطاط واحد على الأقل ويحصل منه على إجازة موقعة بتوقيعه"[2] وقد برع العثمانيون في كثير مــن العلــوم وأضــافوا أشــياء جديدةً يصعب حصرها في هذا المقام بالتفصــيل فقــد حــافظوا علــى أعلى المستويات العالمية في مداواة الأمراض العقلية والنفسية حتى القرن التاسع عشر(٣).

ويذكر أمير البيان شكيب أرسلان أن عدد المدارس التي تدرس فيها العلــوم الشــرعية والآداب الشــرقية بلغ ١٧١ مدرسة في إسلام بول وحدهــا، كــان أشــهرها مدرسة أيا صوفيا، ومدرسة السلطان أحمد، ومدرســة الســليمانيه، وجامعــة المحمدية التي أنشأها السلطان محمد الفاتح"[4]" ولقد برع العثمانيون في علم الرياضيات، والدليل على ذلك تلك الآثــار والســفن والمدافع العثمانية (٥)، ويعد عالم الرياضيات التركي علاء الدين بن محمد المعروف باسم على كوشجو الذي أناط به السلطان

---

[1] - زيــاد أبــو غنــيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، مرجع سابق، ص ٢٦٣

[2] - يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، مج٢، ص٥٤٧

[3] - المرجع السابق، الصفحة نفسها

[4] - زيــاد أبــو غنــيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، مرجع سابق، ص ٢٦٢

[5] - يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، مج٢، ص ٥٣٥

الفاتح مهمة تدريس العلوم الرياضية في مدرسة أيا صوفيا ثم الجامعة، واحداً من أفذاذ علماء الرياضيات في عصره (١). هذا إلى جانب العديد من المجالات التي ترك العثمانيون فيها بصمات جلية تدل على الرقي والازدهار تناولها أوزتونا بالتفصيل تحت عناوين في الثقافة واللغة التركية، والشعر العثماني والتاريخ والجغرافيا والطب، والعلوم الرياضية، والإعمار والرسم وصناعة الخزف إلى جانب الموسيقى (٢).

وتعقيباً على ما سبق يبدو واضحاً من اعتناق العثمانيين للإسلام وجعلهم الجهاد في سبيل إعلاء كلمته ركيزة لوجودهم واعتمادهم على اللغة، واستخدامهم الخط العربي واهتمامهم به، والاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية في التشريع، والعناية بترجمة الكتب العربية الإسلامية إلى اللغة التركية، كل ذلك يشير إلى تأثر الحضارة العثمانية بالحضارة العربية الإسلامية، واللافت للنظر أن هذا التأثير أصلا قبل أن تدخل الدولة العثمانية إلى البلاد العربية، وقد يعود إلى عهدهم بالمسلمين السلاجقة كما مَرّ ذكره، وهذا يدل على صدق انتماء هؤلاء إلى الدين الإسلامي الحنيف واحترامهم للغة العربية لغة القرآن الكريم.

وفيما يتعلق باهتمام الدولة بالتعليم داخل مؤسساتها التعليمية ومدي ازدهارها أو تأخرها في ذلك فإن "التربية والتعليم لدي العثمانيين في القرن ١٦ كانت على أعلى مستوى في العالم، ويأتي بعد ذلك دور

---

[1] - زياد أبو غنيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، مرجع سابق، ص ص ٢٥٣، ٢٥٤

[2] - يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، مج٢، ص ٥١٧-٥٥٥

التعادل مع أوروبا، ثم دور التأخر عن أوروبا"([1]) والحقائق على أرض الواقــع تشــير إلى أن هناك نظاماً تعليمياً واضحاً، حيث "تعتبر أنظمة التعلــيم، وأنظمــة التخصص العلمي التي أشرف السلطان الفاتح بنفسه علــى وضــعها مفخرة من مفاخره، وعلامة حضارية بارزة ينبغي أن تســجل للعثمانييــن المسلمين، وأن أنظمة التعليم في الدولة العثمانية قد قفــزت قفزات رائدة على يدي السلطان الفاتح، فقد كانت المدارس التي كان العثمانيون حريصين على إنشائها في كل مدينة تقع تحت سيطرتهم، ومــنذ تأســيس دولــتهم على يد عثمان آرطغرل تدار بأساليب عادية بسيطة، وكان كل معلم يتبع الأسلوب الذي يريده"[2]" والأهم من ذلك أن الوزراء والسلاطين تنافسوا على إنشاء المدارس في العاصمة والولايات بجــوار المساجد عادة، وكان الطلبة يدعون "صوفتة" من كلمة صوفي العربــية وكلمة "سوخته" الفارسية ومعناها الملتهب بحب الله والمعرفة ([3]).

وحين بنى محمد الفاتح مسجده الذي أطلق عليه اسمه في إسلام بول، بنى إلــى جانــبه جامعة علمية، وألحق بها مستشفى يضم سبعين سريراً، ليتدرب فــيها الطلاب الذين كانوا يدرسون الطب في الجامعة، وأطلق على المستشفى اســم "دار الشفاء" واستقدم له أشهر أطباء عصره من مسلمين وغير مسلمين،

---

[1] - يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، مج٢، ص٤٩٠

[2] - زياد أبو غنيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، مرجع سابق، ص ص ٢٤٩، ٢٥٠

[3] - كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلي العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٣، ص ٤٨٠

ووضـــع نظاماً للألقاب العلمية، فأطلق على المدرسين الكبار في الجامعة لقب "أســتاذ" وعلى مساعديهم لقب "معيد"([1]). وقد أوجد محمد الفاتح جهازاً حقيقياً للمدرسة [الجامعة] ووضع لها تسلسلاً هرمياً يتصاعد من الأدنى إلى الأعلى وأقــام فــي مســجده، مدرسة الصحن المشهورة، وكان الطالب يمر بأربعة مــراحل حــتى يصــل إلــى قمة السلم والوصول إلى أعلي المناصب **وهذه المراحل هي:**

١- **الطلبة:** وهــم طــلاب المراحل العليا الذين ذكرهم بروكلمان بــ (صوفته).

٢- **الدانشمند (المستشار):** وهــم الطــلاب الممتازون الذين يشبهون المعيدين أو الأساتذة المساعدين في الجامعات اليوم.

٣- **الملازم:** وهــو الدانشــمند الــذي سجل رسمياً، وأصبح ملازماً في صفوف العلماء، وهو يشبه المعيد تحت إشراف الأستاذ، والممتازون مــن هــؤلاء الملازمين يدعون (بقدوة العلماء المحققين) أي الذين يقدمــون بحوثــاً حــتى يحصلوا على الدكتوراه (قدوة العلماء) أما الدانشمند الذي لم يصبح ملازماً فكان يعين في التدريس أو القضاء أو العمل الديني.

٤- **المدرس:** أي الأستاذ في الجامعة ([2]).

---

[1] - زيــاد أبــو غنــيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، مرجع سابق، ص ٢٤٩

[2] - علي سلطان: تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، ليبيا، ١٩٩١، ص ص ١٥٦،١٥٧

وقد تعرضت الدولة العثمانية كباقي دول العالم لمراحل ضعف ومراحل قوة في الناحية التعليمية وظلت مخاوف العثمانيين قائمة من تطوير التعليم على الأساليب الغربية التي قد تؤثر على القيم والحضارة الإسلامية، لكن ذلك لم يمنعهم أيضاً من الاتصال، وكان ذلك واضحاً من موقف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي أشار فيه قائلاً: "علينا أن نصرف النظر عن إرسال طلاباً من الطبقات العليا إلى أوروبا وبقائهم هناك سنين عديدة، وأن نرسل بدلاً عنهم طلاب من سائر الطبقات لمدة قصيرة، ليطلعوا هناك في فرنسا أو ألمانيا على الحضارة الأوروبية، ولن يجدوا الوقت الكافي إلا لتعلم الأمور النافعة، فيتسع أُفقهم الفكري فيعودون إلى بلادهم سالمين غانمين دون أن يجلبوا معهم سموم تلك الحضارة"([1])، وهذا يدل على مدى حرص الدولة العثمانية على التحديث وليس التغريب، وهذا هو المطلوب من دولة قوية كالدولة العثمانية التي كانت تتربص بها دول العالم، وأن الدليل على رغبة العثمانيين فى التعليم وتطوير أنفسهم ما أكده السلطان عبد الحميد الثاني بقوله : "أن أمتنا لم تكن يوماً تتهرب من تعلم القراءة والكتابة، وأن رغبتها في العلم لا تقل عن رغبة سائر الأمم والشعوب، لكن الصعوبة تكمن في كيفية تعلم هذا العلم، وأن من يملك شيئاً من رجاحة العلم لا يعادي العلم ولا يمنع أي شيء جديد، شرط أن يكون علماً نافعاً، أما العلم الضار فأنا أعاديه إلى آخر نفس في حياتي ([2]).

---

[1] – السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، مرجع سابق، ص ١٨٩

[2] – المرجع السابق، ص١٩٠

ويبدوا أن العثمانيين حافظوا كثيراً على مستوى التعليم، وليس هناك أدلة على انحطاط مستواه أو تراجعه عما كان عليه في عهد المماليك، لأن الدولة العثمانية لم تحافظ على المدارس القائمة فحسب، بل أنشأت مدارس جديدة، وحافظت على القديم وقامت بترميمه، وبالنسبة للمدارس التي أغلقت وساء حالها كان سببه ضعف واردات أوقاف تلك المدارس نتيجة سوء الإدارة أو التلاعب من قبل القائمين عليها ، وهذا ما سنوضحه لاحقاً بالتفصيل والجدير بالذكر أن مستوي التعليم في ولايات الدولة العثمانية كان واحداً ولا يختلف شكل التعليم في بيروت عن التعليم في القدس أو استانبول لأنها دولة واحدة، والحديث في هذا الجانب يحتاج إلى موضوعية وعدم اتخاذ مواقف وأحكام مسبقة، لأن فلسطين "شهدت في القرن الأخير من الحكم العثماني تحولات جذرية شملت شتى مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولم تحظ هذه التحولات المهمة، التي تسارعت منذ أواسط القرن التاسع عشر، بالاهتمام الكافي من الباحثين في تاريخ فلسطين الحديث، فتاريخ فلسطين وتاريخ البلاد العربية عامة في العهد العثماني ضائع بين تمجيد ومديح في بعض الكتابات الإسلامية الأيديولوجية، وتشويه وتسطيح في الكتابات القومية والإستشراقية● الكلاسيكية●" (١).

● **الاستشراق**: هي التسمية التي تطلق على جملة من الدراسات ذات الطابع اللغوي أو التاريخي والتي شملت أول الأمر لغات منطقة الشرق الأوسط وثقافته، ثم توسعت فيما بعد لتشمل الشرق بأكمله، أي مناطق في آسيا وأفريقيا [كلوس كريزر وآخرون: معجم العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ٤٢].

وقد لاحظ الباحث من خلال اطلاعه أن الكتابات الإسلامية المنصفة للدولـــة العثمانية ظلت قليلة ومتواضعة أهمها دراسة الشناوي ([2]). في حيــن كــثرت الكتابات التي هاجمت الدولة العثمانية، واتهمتها بالجهل والــتخلف، ولم يكن ذلك إلا افتراءً مبرمجاً على الدولة العثمانية جعل القارئ بعيداً عن جوهر الحقيقة، ولقد كان للحركة الصهيونية عدا الدول الأوروبــية الــدور الأكبر في تشويه صورة الدولة العثمانية إلى جانب روســيا التي مارست التحريض على الدولة العثمانية ووصفتها بالرجل المــريض لتفتيتها واقتسام أملاكها، ووصفها بالرجعية([3])، وكان الهدف من ذلك أن تتجه الأمة العربية والإسلامية إلى الغرب وتنهل من أفكاره وأخلاقه المدمرة، وهذا ما حدث بالفعل، فما زالت مناهجنا التي تدرس لأبنائــنا تصف العثمانيين بالمحتلين والمستعمرين، وأنهم سبب التخلف والرجعــية، وإن كان هذا صحيحاً، فما هو حجم التقدم الحضاري الذي

• **كلاسيكية**: فــي الأدب والفن، الميل إلى مراعاة الأشكال التقليدية التي استقر عليها العــرف، ومن شأنها الاهتمام بوضوح الفكرة وعذوبة الأسلوب وتناسق العبارات، أما في الموســيقي فهــي الاهــتمام بموضوع الفكرة، والتركيز على توازن البناء، والابتعاد عن الانفعــالات الحادة وتقارن الكلاسيكية بالرومانسية في أكثر الأحوال [محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، مج٢، ١٤٦٧].

[1] - عــادل مــناع: أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني [١٨٠٠-١٩١٨م]، ط ٣ ، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧، ص ١٢

[2] - عــبد العزيــز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٩٢م.

[3] - مجــدي عبد المجيد الصافوري: سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية، القاهرة، دار الصحوة للنشر، ١٩٩٠، ص ١٠٦، ١١١

وصلت إليه الأمة العربية بعد سقوط الدولة العثمانية ؟! والحقيقة أن وصف هذه الدولة بالرجعية لا يتناسب مع اهتمامها بالعلم والعلماء، وتطبيق الشريعة الإسلامية واتخاذ الجهاد في سبيل الله طريقاً واضحاً على مدار مئات السنين، أما إن كان هناك ضعف أو تراجع فهذا ليس غريباً، بل هي سنة كونية في الحضارات السابقة، فإن "التوقف عن العطاء يختلف عن الاندثار والتشتت أو الأفول والغروب، فالتوقف عملية ذاتية تفرضها الحضارة على نفسها بفعل تعطل بعض أو جميع ضوابطها"([1])، ولكن لأن الدولة العثمانية كدولة خلافة كانت مستهدفة بشيء كبير فلا غرابة أن تُكال إليها هذه الاتهامات الباطلة.

---

[1] - محمد علي ضناوي: مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية، دار الإيمان للطباعة والنشر، طرابلس، لبنان، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٤٢

الفصل الثالث

المجتمع الفلسطيني في عهد الدولة العثمانية

أولاً: الحياة السياسية

ثانياً: الحياة الاقتصادية

ثالثاً : الحياة الاجتماعية

رابعاً : الحياة العلمية

أولاً: الحياة السياسية

قبل استعراض الحياة السياسية لفلسطين في عهد الدولة العثمانية، ينبغي الإشارة إلى أنه "لم يكن لفلسطين في العهد العثماني، ولا في أي عهد عربي إسلامي سابق كيان سياسي مستقل، فهي أسوةً بسائر بلاد الشام كانت تعتبر جزءاً من الدولة الإسلامية منذ القرن السابع للميلاد حتى سنة ١٩١٧م"([١]). ولكن اسم فلسطين كان معروفاً لدى المسلمين في كل فترات الحكم الإسلامي، وفي العهد العثماني كان اسم فلسطين واضحاً في الرد التاريخي للسلطان عبد الحميد الثاني على الصهيوني هرتسل عندما حاول مراراً إغراء الدولة العثمانية بالمال من أجل السماح لليهود بإقامة وطن لهم في فلسطين حيث كان رده: "لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً أي جزء منها، ليحتفظ اليهود ببلايينهم ، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا جثتنا، ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان"([٢]). ومن هنا نبدأ بتتبع التقسيم الإداري لفلسطين في العهد العثماني، حيث يرى كثير من المؤرخين أن الإدارة العثمانية في بلاد الشام تنقسم إلى دورين رئيسيين:

الأول: يبدأ عام ١٥١٧م وينتهي عام ١٨٣٠م (مع بداية زحف القوات المصرية على بلاد الشام).

---

١ - بيان الحوت: فلسطين: القضية- الشعب- والحضارة، بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٩١، ص ٤١٢

٢ - حسان حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش [١٩٠٨-١٩٠٩م]، ط ٢ ، بيروت، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر، ١٩٩٣، ص ٢١

الثانـــي: يبدأ من الإدارة العثمانية في بلاد الشام بعد انسحاب القوات المصـــرية، وهـــذا الـــدور الذي عرف بعهد "**التنظيمات**"●، الذي يحدد ملامـــح الفـــترة الأخيرة للإدارة العثمانية في بلاد الشام من [١٨٦٤-١٩١٨م] (١) وأن بـــلاد الشـــام ومـــنها فلسطين كانت في مطلع الفتح العثماني مقسمة **إلى ثلاث ولايات:**

١. ولاية حلب وتشمل شمال الشام.
٢. ولايـــة طـــرابلس الشـــام وتشمل وسط البلاد (طرابلس، حماة، حمص، سلمية، حبلة).
٣. ولاية دمشق (ولاية الشام) وتشمل جنوبي الديار السورية [دمشق، القدس، غزة، نابلس، تدمر، بيروت، صيدا] (٢).

لكن هذه الولايات صارت أربعاً عندما "أصبحت ولاية صيدا مستقلة عـــام ١٦٦٠م عـــندما ســـلخ كل من **سنجق**● صفد وسنجق صيدا مع بيروت عن ولاية الشام وتأسست منها الولاية الرابعة صيدا"(١).

● **التنظيمات:** التنظيمات الخيرية، اللفظ الذي أطلق على الإجراءات التي اتخذتها الدولة العثمانـــية عام ١٨٣٩م وبمعني آخر أوسع على ما تم إعلانه بموجب دستور عام ١٨٧٦م فقـــد تمكـــن الســـلطان مـــراد الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) في عام ١٨٢٦م من القضاء على الانكشـــارية وإعـــلان إصلاحات تناولت النظام العسكري والنظام الإداري [كلوس كريزر وآخرون: معجم العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص٢٠٣].

١ - أحمـــد صدقي شقيرات: تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن ١٨٦٤ -١٩١٨م، الأردن، آلاء للطباعة والتصميم، ١٩٩٢، ص٢٧

٢ - مصـــطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٢، ق٢، فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١ م، ص٩

وبالرغم من أن إبراهيم باشا عند دخوله بلاد الشام قام بتقسيم سوريه وفلسطين إلى مديريات على النسق المصري، وألغى التقسيم الإداري العثماني، واعتبر عمله هذا عهداً إدارياً جديداً، ووضعت الحكومة المصرية بلاد الشام بكاملها تحت إمرة حاكم عام وجعل الأمير بشير الشهابي الثاني مديراً عاماً للمصالح(٢)

إلا أنه لما عاد " العثمانيون إلى بلاد الشام في عام ١٨٤٠م أعادوا تشكيلاتهم الإدارية التي سبقت الحكم المصري، فربطوا لواء القدس بإيالة● صيدا" (١).

● **سنجاق**: كلمة فارسية الأصل معناها في العربية العلم والراية واللواء، دخلت اللغتين العربية والتركية على السواء، تكتب بالفارسية (سنجوق) وبالتركية (سنجاق) وبالعربية [سنجق] [نوفل نعمة الله نوفل: كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشام، مخطوطة، أوجزه جرجي يني، قدم له وحققه وأعد ملاحقه وفهارسه ميشال أبي فاضل وجان نخول، طرابلس، جروس برس، ١٩٩٠م، ص١٤٦] واتخذت الدولة العثمانية اسم (سنجق) بأمر من السلطان سليم الأول كأساس لتقسيم الوحدات الإدارية في الدولة بدلاً من النيابة المملوكة وتعني اللواء[أحمد صدقي شقيرات: تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن ١٨٦٤-١٩١٨م، الأردن، آلاء للطباعة والتصميم، ١٩٩٢م، ص٢٨].

١ - عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون [١٥١٦-١٩١٦م]، دمشق، مكتبة أطلس، ١٩٧٤م، ص٩٦

٢ - أحمد صدقي شقيرات: تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن، مرجع سابق، ص ٣٣

● **إيالة**: استخدم مصطلح ايالة بصورة رسمية في الدولة العثمانية بعد سنة ١٥٩٧م واستمر حتى ١٨٦٤م، وايالة كلمة عربية الأصل تعني التنظيم أو إدارة أو ممارسة السلطة، أما في المفهوم العثماني فتطلق على اكبر وحدة إدارية في الدولة العثمانية،

وظل الوضع الإداري هكذا حتى صدر قانون الولايات العثمانية في ٨ تشـــرين الثاني ١٨٦٤م الذي بموجبه قسمت الدولة العثمانية إلى ٢٧ ولاية وألغيت كلمة (إياله) كمصطلح إداري عثماني استمر العمل به منذ عام ١٥٩١م، كما قسمت الولاية الواحدة إلى عدد من الألوية (سناجق) على رأس كل منها متصرف، وقسم اللواء إلى عدد من الأقضية يرأسه قائمقــام● واشتمل القضاء على عدد من النواحي الإدارية يرأسه مدير ناحــية، وتضم الناحية عدداً من القرى على رأس كل قرية مختار(٢). وبــناءً علـــى هذا القانون شهدت سنة ١٨٦٨م تشكيلات إدارية واسعة

ويكـــون علـــى رأس الايالة حاكم يسمى (بكلربكي) يعين (بك البكوات) برتبه (ميرميران) أمـــير الأمـــراء ولـه السـلطة على حاكم السنجق [أحمد صدقي شقيرات: تاريخ الإدارة العثمانـــية في شرق الأردن ١٨٦٤-١٩١٨م، الأردن، آلاء للطباعة والتصميم، ١٩٩٢م، ص٢٩]. **بكلربكي**: لقب تركي يعني بيك البيكوات، أو أمير الأمراء، أعطي أساساً إلى قائد الجيش، ثم إلى الولاة أو الحكام المسؤولين عن المقاطعات، ومنذ القرن الثامن عشر، أصبح لقباً فخرياً [نوفل نعمة الله نوفل: كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشام، مرجع سابق، ص٢٠٢].

١ - عـــبد العزيـــز محمـــد عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ١٨٣١- ١٩١٤م، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مكتبة المحتسب، ، ١٩٨٣م، ص ١١

● **قائمقام**: رتـــبة عسكرية من رتب الجيش العثماني بعد إلغاء الانكشارية، توازي رتبة العقـــيد وفق المصطلحات العسكرية المعاصرة، كان حاملها يتقاضى راتباً شهرياً ٦ أكياس أي مـــا يعـــادل ٣٠ جنـــيهاً مصـــرياً [مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦، ص٣٤٦].

٢ - أحمـــد صدقي شقيرات: تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن، مرجع سابق، ص ٤٣

الــنطاق فــي داخل ولاية سوريه حيث يتضح لنا بأن تلك السنة شهدت تطبيقات لقانون الولايات العثمانية كالتالي:

لواء عكا: ويشمل ساحل عكا مع ساحل عتليت، حيفا، جنين مع شفا عمرو والناصرة مع جبل ترشيحا، صفد، طبريا.

لــواء القــدس: ويشمل القدس الشريف مع بيت لحم، غزة، وخليل الرحمن، مع ناحية الرملة واللد ويافا.

لواء البلقاء: ويشمل نابلس مع ناحية بنى صعب والكرك مع ناحية الطفيلة والسلط مع ناحية الغور(١).

وعلى ما يبدو فإن تقسيم سنة ١٨٦٨م لم يستمر طويلاً و "حرصاً من الدولة العثمانية على سير الأمور في لواء القدس والحد من المداخلات الأجنبــية قامت بفصله عن ولاية سوريا وربطته بالعاصمة (استنبول) مباشــرة لتوثيق تبعيته والإسراع في إنجاز معاملاته الإدارية، فأعلنته متصرفية• في عام ١٨٧٦م" (١)، وبالنسبة لحدود متصرفية القدس منذ

---

١ - أحمــد صــدقي شقيرات: تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن، مرجع سابق، ص ص ٥٠، ٥١، عــن/ ســالنامه دولــت عليه عثمانية ١٢٨٥هــ، ص ص ١٨٥، ١٨٦ / سالنامه دولت عليه عثمانية ١٢٨٥هــ، دفعه ١، ص ٣٠-٧٧

• **المتصرفية:** هو النظام الإداري والسياسي الذي طبق على جبل لبنان من العام ١٨٦١م وحــتى العــام ١٩١٥م وذلــك على أثر فشل صيغة (القائمقامتين) التي أدت إلى الحرب الأهلــية في العام ١٨٦٠م ما بين الدروز والموارنة، وجاءت أيضاً صيغة (المتصرفية)، كصــيغة (القائمقامتيــن) نتيجة لتدخل الدول الأوربية الخمس الكبرى، كما أنها هي أيضا تــندرج ضــمن مــا ســمي (بالمسألة الشرقية) [عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج٦، ص٢٤.

تشكيلها سنة ١٨٧٤م وحتى نهاية العهد العثماني ١٩١٨م كانت على النحو التالي:

من الشمال: خط متعرج يفصل بين المتصرفية ولواء نابلس التابع لولاية بيروت، ويبدأ من مصب نهر العوجا في البحر المتوسط ثم يتجه شرقاً ماراً بقرية سنجل حتى ينتهي بالقرب من أريحا على نهر الأردن.

من الغرب: البحر المتوسط.

من الجنوب: خط مستقيم يبدأ من منتصف الطريق بين غزة والعريش على البحر المتوسط وينتهي بالعقبة.

من الشرق: امتداد نهر الأردن والبحر الميت ووادي عربة الذي يصل العقبة بالبحر الميت، وهكذا فإن ما عرف بفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى لم يشكل وحدة إدارية قائمة بذاتها في أثناء الحكم العثماني بل شملت الأجزاء الجنوبية من ولاية بيروت (عكا - نابلس) بالإضافة إلى متصرفية القدس (٢).

وفي ضوء التقسيم الإداري السابق لفلسطين يتضح أنها كانت تنقسم إلى قسمين رئيسين هما:

١- **القسم الشمالي**، التابع لولاية بيروت ويشمل لوائين:

لواء عكا، ويضم أقضية حيفا، وصفد، والناصرة، وطبريا.

لواء نابلس، ويضم أقضية جنين، وبني صعب، وجماعين، والسلط.

---

١ - عبد العزيز محمد عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص١٠

٢ - المرجع السابق، ص ص ٢١، ٢٢

٢- القسم الجنوبي، وهو متصرفية القدس، وتضم أقضية يافا، وغزة، وبئر السبع، والخليل، وحظيت القدس بمكانة مهمة من الناحية الدينية والسياسية وتعتبر "مدينة القدس ومتصرفياتها الأساس الذي نشأت عليه فلسطين كبلد قائم في حد ذاته في إثر سقوط الإمبراطورية العثمانية، لا بل إن اسم فلسطين الذي كان يجري على ألسنة الأجانب وفي كتبهم ووثائقهم بوصفه مدلولاً جغرافياً لبلد يقع بين نهر الأردن والبحر المتوسط، جرى استعماله محلياً أيضاً بالمدلول ذاته قبل نهاية الحكم العثماني، ولا أدل على ذلك من إنشاء الصحفي عيسى العيسى لجريدة في سنة ١٩١١م دعاها [فلسطين]" (١).

الثورات التي قامت في فلسطين وأبرز قادتها:

وبعد أن اتضح اسم فلسطين الجغرافي يمكن الحديث عن الناحية السياسية لتلك الفترة التي استمرت أربعة قرون، والإطلاع على أهم الثورات والانتفاضات الشعبية التي قامت ضد الحكم العثماني، ومعرفة القادة والزعماء الذين انفردوا بالحكم وعدم الولاء للدولة العثمانية، وكذلك أثر حروب الدولة العثمانية وهزائمها على الحياة السياسية ، ومن ثمَّ أثر ذلك كله على التعليم والحياة الثقافية.

والحقيقة أن أول الثورات التي تعرضت لها الدولة العثمانية كانت ثورة الغزالي الذي عينته الحكومة العثمانية حاكماً على بلاد الشام، وعندما قرر الانفصال عن الدولة العثمانية قضت على ثورته وأعدمته

---

١ - عادل مناع: أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني [١٨٠٠-١٩١٨م]، ط ٣ ، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧، ص ص ٥، ٦

في ٦ شباط ١٥٢١م(١). وفي أعقاب القضاء على تلك الثورة سادت بلاد الشام فترة هدوء استمرت حتى أواخر القرن السادس عشر، انعكست فيها قوة الدولة، وبخاصة في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٢-١٥٦٦م) وشهدت هذه الفترة بناء أهم المنجزات العمرانية العثمانية في بلاد الشام وغيرها، وكان معظمها ذا نفع خيري كالتكايا والجوامع والمدارس والسبل والحمامات(٢). وفي الربع الأول من القرن السادس عشر ظهر على الساحة السياسية زعيمان محليان هما على باشا جنبلاط والأمير فخر الدين المعني الثاني، وقاما بالثورة على الدولة العثمانية فكان جنبلاط في حلب، وفخر الدين أمير الشوف في جبل لبنان، وتمكنت الدولة العثمانية من القضاء على جنبلاط وقتله سراً ١٦١١م. في حين فرض فخر الدين المعني سيطرته في النصف الأول من القرن السابع عشر على القبائل البدوية في البقاع، وحوران، وفلسطين، ومد نفوذه على مناطق الريف حتى إنطاكية وحلب شمالاً، وعلى مناطق البادية حتى تدمر شمالاً، وقد لقبه السلطان مراد الرابع بأمير عربستان [من حدود حلب إلى حدود العريش](٣) وقد أعطى فخر الدين المعني الثاني ولاية عربستان سنة ١٦٢٤م بسبب انشغال

---

١ - أحمد صدقي شقيرات: تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن، مرجع سابق، ص ٢٣

٢ - عبد الكريم رافق: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث، دمشق، ١٩٨٥، ص ص (ح، ط)

٣ - عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، مرجع سابق، ص ٣٢١

العثمانيين في قتال الصفويين([1])، وبالرغم من أن فخر الدين المعني قتل عــام ١٦٣٥م فإنه لم تكن نهاية حكم المعينيين في جبل لبنان إذ استمر هــؤلاء فــي الحكم حتى عام ١٦٩٧م، إلا أن القضاء على فخر الدين المعنــي أحدث فراغاً سياسياً في جبل لبنان وفلسطين استطاع أن يملأه فــيما بعــد ظاهــر العمر في القرن الثامن عشر عندما أقام دويلته في فلســطين ([2]). وعــندما أقبل القرن الثامن عشر الذي يعتبر بحق قرن الانــتقال والــتحول في تاريخ فلسطين العثماني، فقد تأصلت فيه جذور العائلية في مدنها وعلت منزلتها واستئثارها بالسلطة المحلية داخل المدن لــتزداد قوتهــا فــي هذا القرن([3]). هذا إلى جانب بعض المآسي التي تعرضــت لها بلاد الشام "ففي سنة ١٧٥٩م أصيبت بلاد الشام بطاعون شمل المنطقة بين أنطاكية وحلب في الشمال وغزة في الجنوب"([4]).

وحدثت اضطرابات في بلاد الشام في الفترة بين (١٧٥٧-١٧٧١م) وقــد بلغت ذروتها باحتلال دمشق في حزيران ١٧٧١م من قبل قوات علــى بك الكبير، وظاهر العمر وناصيف نصار، وكان هدف على بك

---

١ - عبد الكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت [١٥١٦-١٧٩٨م]، ص ٢١٠

٢ - عــبد الكريم رافق: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث، مرجع سابق، ص (ت).

٣ - ســليم المبــيض: غزة وقطاعها- دراسة خلود المكان وحضارة السكان من العصر الحجــري الحديــث حتى الحرب العالمية الأولى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص ٣١٣

٤ - عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، مرجع سابق، ص ٢٨١

إعـادة تأسـيس السلطنة المملوكية التي ضمت سابقاً الشام ومصر[1]، واستطاعت جيوش علي بك الكبير التقدم شمالاً متحالفة مع جيش الشيخ ظاهر العمر مستغلين فرصة الحرب الدائرة بين الدولة العثمانية وروسيا (١٨٦٨-١٧٧٤م) ومتحالفين مع روسيا التي أرسلت أسطولها أمام حيفا ثـم ضـربت القوات العثمانية في صيدا سنة ١٧٧٢م مما شجع الشيخ ظاهـر العمـر علـى الاستيلاء على جميع المدن الفلسطينية مع بداية ١٧٧٣م[2]، إلا أن هـذه الدويلـة واجهت العديد من المشاكل الداخلية والخارجية بدأت بتحريض السلطان العثماني للقائد محمد بك أبو الذهب علـى قـتل سيده علي بك الكبير سنة ١٧٧٣م، وعلى أثرها فقد ظاهر العمر حليفه الوحيد[3]، وبعد نهاية الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا، تفرغـت الدولـة العثمانـية لظاهر العمر واستطاعت القضاء عليه في أواخـر آب ١٧٧٥م، وظهر بعد مقتله على الساحة السياسية أحمد باشا الجـزار، وهو أحد ضباط الحملة العثمانية التي أرسلت لإخضاع ظاهر العمر[4].

وإثـر القضاء على ظاهر العمر، قام السلطان العثماني بتعيين أحمد باشـا الجـزار محافظـاً لعكا، ثم والياً على صيدا في العام ١٧٧٦م، وبالاشـتراك مع القوات العثمانية قام الجزار بالقضاء على أولاد ظاهر

١ - عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، مرجع سابق، ص ٢٩٥

٢ - سليم المبيض: غزة وقطاعها، مرجع سابق، ص ٣١٧

٣ - المرجع السابق، ص ٣١٧

٤ - عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، مرجع سابق، ص ٣٠٩

العمـــر الثائريـــن فـــي عام ١٧٧٦م، واستطاع أن يصد هجوم نابليون بونابرت عن عكا في عام ١٧٩٩م([1])، وقد تم تعيين الجزار والياً على الشـــام للمـــرة الأولى في عام ١٧٨٥م وتم عزله بسبب ظلمه واهتمامه بجمـــع المـــال، لكنه عين من جديد والياً على الشام ١٧٩١م وعاد إلى ممارســـة الظلم وابتزاز المال، وقامت عليه ثورة استطاع إخمادها، في حيـــن قام صراع داخلي في صفوف مماليك الجزار عام ١٧٨٩م حيث وقفـــوا مـــع يوســـف الشهابي إلا أن الجزار استطاع أيضاً احتواء ذلك الصراع إلى أن تم شنق الشهابي في عكا بأوامر من الجزار([2])، ولكن الجزار لم يعمر طويلاً بعد ذلك فقد "توفي في نيسان ١٨٠٤م، مما أدي إلـــى تفاقم الفوضى الإقطاعية، التي كانت تسود البلاد، وبدأت في كل ولاية نزاعات دموية، وتقوى في عكا بعد نزاعات استمرت عدة أشهر، سلـــيمان باشا قائـــد جيش الجزار، وحكم جنوب سوريا لمدة ١٥ عاماً [١٨٠٤-١٨١٩م]"([3]). وبعـــد هـــذه الفترة تعرضت بلاد الشام للحدث الأهـــم وهـــو إرسال محمد علي لابنه إبراهيم باشا لغزو بلاد الشام براً وبحـــراً في ٢٩ تشرين أول ١٨٣١م، وقد تم احتلال حيفا والقدس حتى ســـقطت عكا في يد القوات المصرية ١٨٣٢م، وقامت انتفاضة شملت

---

١ - عـــبد الكريم رافق: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث، مرجع سابق، ص (ق)

٢ - عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، مرجع سابق، ص ٣١٦-٣١٨

٣ - لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيف البستاني، موسكو دار التقدم، ب.ت، ص٨٢

فلسطين كلها ضد إبراهيم باشا الذي قام بتطبيق التجنيد الإجباري ١٨٣٤م، واستطاع محمد علي وابنه إبراهيم باشا القضاء على الانتفاضة، وفي عام ١٨٣٨م أعلن محمد علي استقلاله التام عن الدولة العثمانية ([1])، وهنا اتفقت مصالح الأوربيين التكتيكية مع الدولة العثمانية لتحجيم سلطة محمد علي في مؤتمر لندن ١٨٤٠م، فقد وصلت هذه الدول إلى قمة تدخلها عندما حاصر الأسطول الإنجليزي ميناء عكا واستولى عليه في أقل من ساعة وانسحب إبراهيم باشا بجيوشه شرقاً في (١٨٤٠-١٨٤١م) عن طريق الغور الفلسطيني فاقداً الكثير من جنوده واتباعه أثناء انسحابه([2]).

وينبغي الإشارة إلى نقطة مهمة وهى أن "الحكم المصري واتجاهات المركزة والعلمنة والمساواة بين أهل الذمة والمسلمين، وفتح البلاد أمام المصالح الغربية (تجارة - تدخل دبلوماسي - سياسي - ثقافي - الخ) هذا كله أدى إلى إضعاف النفوذ الإسلامي (العلماء -الأعيان) والاقتصاد الإسلامي وانعكس تذمراً في القاعدة الإسلامية، ومقتاً لهذا الحكم على أنه خروج على الحكومة الشرعية الإسلامية في الأستانة"([3])، ولكن بالرغم من ذلك فإنه على المستوى السياسي فقد سبب انسحاب القوات المصرية من بلاد الشام لانتشار الفوضى ؛ لأن البلاد أصبحت بلا حكومة وتولتها الزعامات

---

١ - عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون، مرجع سابق، ص ٤٠٥-٤٠٩

٢ - سليم المبيض: غزة وقطاعها، مرجع سابق، ص ٣٤٨

٣ - عبد الرءوف سنو: النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية ١٨٧٧-١٨٨١م [بلاد الشام- الحجاز- كردستان- ألبانيا]، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٨، ص ٣٣

المحلية، حتى أن الدولة العثمانية نفسها عادت بعد انحسار سلطة إبراهيم باشا إلـــى تقويـــة الحكام المحليين في عهد التنظيمات، الأمر الذي أدى إلى تنافس شـــديد بيـــن العـــائلات الكبرى، وإلى سلسلة من الحروب الداخلية المعروفة بالحـــروب القيســـيه اليمنـــية (١٨٥٠-١٨٧٤م) وفـــي غمرة هذه الحروب استحدثت الدولة منصب المختار ١٨٦٤م([1])، وفي ظل الاضطرابات الداخلية كانـــت الدولة العثمانية تخوض حرباً طاحنة مع روسيا عرفت بحرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦م) وشـــاركت فلســـطين في هذه الحرب بخيرة أبنائها، وكانت يافـــــا هي أهم مراكز التجمع لانطلاق الجنود بحراً، وكان السكان يتذمرون لأنهـــم يرســـلون إلى بلاد بعيدة قد لا يعودون منها([2])، وهذا بالطبع له أثره الخطـــير على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك آثاره الكبيرة علـــى التعلـــيم. فعندما تكون هناك اضطرابات داخلية، وتفتح الدولة العثمانية حـــرباً فـــي جـــبهات خارجية وبعيدة وتستدعي مقاتليها فإن ذلك حتماً سيؤثر تأثـــيراً ســـلبياً على أي مشروع إصلاحي داخل البلاد سواء تعليمي أو غير ذلك.

وفـــي أعقاب نهاية حرب القرم التي خرجت منها الدولة العثمانية منتصرة بمساعدة إنجلترا وفرنسا، أصدرت الدولة العثمانية الخط الهمايوني● ١٨٥٦

---

١ - بيان الحوت: فلسطين - القضية، الشعب، الحضارة، مرجع سابق، ص ٤١٦

٢ - عـــبد العزيـــز محمـــد عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص ١١٠

● **الهمايـوني**: هـــي كلمة تركية من أصل فارسي تعني المقدس والمبارك، وتشير كلمة همـــايون، أو همايونـــي إلـــى الســـلطان أو مـــا يصدر عنه من أوامر أو خطوط كالخط الهمايوني [نوفل نعمة الله نوفل: كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشام، مرجع سابق، ص٢٠٣].

م الذي ساعد على تحويل الدولة العثمانية إلى شبه مستعمرة للدول الرأسمالية الأوربـية، ولأن الخط الهمايوني أعطي امتيازات كبيرة للدول الأجنبية بدأت مرحلة نهب واستعباد تركيا وممتلكاتها العربية من قبل الرأسمال الأجنبي([1])، وهـنا بدأت تزداد محاولات الدولة العثمانية الإصلاحية، وكانت القدس أكثر المـدن استفادة لأنها أصبحت متصرفية مستقلة ١٨٧٦م كما مر ذكره، وتتبع اسـتنبول مباشـرة و"أصـبحت بمثابة عاصمة فلسطين الرسمية والفعلية منذ أواسط السبعينات كما أن النفوذ الأوروبي والهجرة اليهودية ساعدا في تعزيز هـذا الـتحول فأصـبحت المدينة المقدسة للديانات الثلاثة ميداناً للتنافس في إعمار القدس، وإعمار مؤسساتها التعليمية والدينية والصحية"([2]). وهذه الفترة بـالذات شـهدت تطوراً هاماً على صعيد الحياة السياسية في الدولة العثمانية التـي تسـلم منها السلطان عبد الحميد الثاني زمام السلطة في العام ١٨٧٦م كخلـيفة للمسـلمين، وفـي العام التالي وقعت الحرب العثمانية الروسية التي انتهـت بهـزيمة الدولـة العثمانية، وتوقيع اتفاقية سان ستيفانو المذلة للدولة العثمانـية، وتـبعها كذلك في العام نفسه ١٨٧٨م مؤتمر برلين الذي تمخض عنه احتلال فرنسا لتونس ١٨٨١م، واحتلال بريطانيا لمصر ١٨٨٢م ([3]).

وفـي خضـم تلـك الأحداث الجسيمة رأى السلطان عبد الحميد أن الدسـتور غـلّ يده، وإن تجميع كافة المسلمين تحت مظلته في جامعة إسـلامية لـربما يؤدي إلى إنقاذ الدولة العثمانية والبلاد الإسلامية من

---

١ - لوتسكي: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص ١٨

٢ - عادل مناع: أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني، مرجع سابق، ص ١٥

٣ - محمـد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة [١٢٩٩-١٩٢٤م]، بيروت، دار المحروسة، ١٩٩٥م، ص ٤٣٧-٤٦٤

الأخطــار المتربصة بهم، ولكن للأسف "لم تكن محاولات السلطان عبد الحمــيد العســكرية والسياســية ودعواتــه الإسلامية قادرة على إنقاذ الســلطنة"([1]). وفي هذا الوقت بالذات يشتد الخطر على الدولة العثمانية وفلســطين بالذات من الحركة الصهيونية، فبالرغم من أن الحديث عن الحــركة الصهيونية يبدأ بالقرن التاسع عشر عادةً فإن "شواهد التاريخ الغربــي تشير بوضوح كبير إلى أن المشروع اليهودي الاستيطاني كان فــي أوســاط المؤسسة الدينية السياسية البريطانية قبل عقود طوال من ولادة الحركة الصهيونية، وإن علاقة بريطانيا الحديثة بالمسألة اليهودية بدأت في عصر الثورة على الملكية، أو ما سُمي بحكم البرلمان الطويل [١٦٤٩-١٦٦٠م]"([2])، أمــا حديــثاً فكانــت إحدى المحاولات الدنيئة لبريطانــيا من أجل توطين اليهود في فلسطين في العام ١٨٤٠م عندما حاولت بريطانيا إقناع السلطان العثماني بتيسير هجرة اليهود للإقامة في فلســطين مدعــية أنــه: إذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة الســلطان فســيكون هذا حائلاً بين محمد علي ومن يخلفه وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل ([3])، ولم يقتصر الأمر على بريطانيا إذ إن فرنســا كانــت تقــف إلــى جانب اليهود وتساندهم في تحقيق أحلامهم

---

١ - بشــير موســى نــافع: الإمبريالــية والصهيونية والقضية الفلسطينية، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٩، ص ٧٣

٢ - المرجع السابق، ص ٤٢،٤١

٣ - السيد ياسين، علي الدين هلال: الاستعمار الصهيوني في فلسطين [١٨٨٢-١٩٤٨م]، ج ١، القاهــرة، دار نافع للطباعة والنشر، ١٩٧٥، ص ٦٤، عن مذكرة وزير الخارجية البريطاني (بالمرستون) إلى سفير بريطانيا في استانبول في ١١ أغسطس ١٨٤٠م

الاستيطانية في فلسطين، فعندما قام نابليون بحمله على بلاد الشام ١٧٩٩م وفي أثناء زحفه إلى عكا وجه نداءً إلى الطائفة اليهودية حث فيه اليهود على النهوض لاستعادة مملكتهم دون خوف، ونعتهم بورثة فلسطين الشرعيين، وأكد لهم أن فرنسا تقدم لهم يدها حاملة إرث إسرائيل، بالرغم من شواهد اليأس والعجز(١)، وكل ذلك كان في إطار الدعم المادي والمعنوي لتشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين.

ولقد كانت أقوى موجات الهجرة اليهودية لفلسطين من روسيا خاصة بعد عام ١٨٨١م الذي اغتيل فيه قيصر روسيا الكسندر الثاني، حيث كان لليهود ضلع في اغتياله، وهاجر اليهود من جراء المذابح التي تعرضوا لها إلى كثير من دول العالم، وكانت أعداد المهاجرين إلى فلسطين أقل من تلك الأعداد للدول الأخرى مما يدل على أن فلسطين لم تكن قبلتهم(٢)، ولم يقتصر الأمر عند روسيا بل إن "المشروع الصهيوني في جذوره وفي بيئته الأساسية كان مشروعاً أوربياً غربياً، قبل أن يكون مشروعاً يهودياً، بل لولا جذوره الأوربية المسيحية، والتحاقه بمشروع الهيمنة الإمبريالي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لكانت الحركة الصهيونية الآن مجرد تجمع آخر مثل التجمعات

---

١ - محمد حسين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ط ٦، رقم ١ ، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٦، ص ص ٣١،٣٢

٢ - السيد ياسين، علي الدين هلال: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، مرجع سابق، ص ٥٩

والطوائف المتعددة، وسط الجسم اليهودي العالمي"[1]، وكان موقف الدولة العثمانية صلباً وحاسماً أمام الهجرة اليهودية حيث "أصدر الباب العالي في عام ١٨٨٨م قانوناً، يمنع الهجرة على نطاق واسع إلى الدولة العثمانية، ولم يسمح لليهود من خارج تلك الدولة دخول فلسطين إلا لمدة ثلاثة أشهر للحج فقط" [2].

وبالرغم من ذلك استطاعت الحركة الصهيونية بطرقها الملتوية والخبيثة التحايل على كل القوانين ورشوة الموظفين من أجل الهجرة إلى فلسطين، والإقامة فيها، وأقيمت للصهاينة العديد من الجمعيات والبنوك والمؤسسات في أغلب دول أوروبا من أجل تحقيق أهدافهم، وقد قاوم الشعب الفلسطيني تلك الموجات من المهاجرين اليهود، لكن المؤامرة كانت أكبر من الدولة العثمانية نفسها التي سقطت يوم سقطت مصر، وإن فلسطين أخذت نظرياً في ذلك العام أيضاً وهو ١٨٨٢م عام الاحتلال البريطاني لمصر[3].

ويعتقد الباحث أن اسم فلسطين شُطب سياسياً من أركان الدولة العثمانية على يد حكومة الاتحاد والترقي التي قامت بخلع السلطان عبد الحميد الثاني، حيث كان هَمّ الحكام الجدد تتريك العرب ومحو

---

١ - بشير موسى نافع: الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص ص ١٠٤،١٠٣

٢ - السيد ياسين، علي الدين هلال: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، مرجع سابق، ص ١٥٢

٣ - بشير موسى نافع: الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص ١٠٧

شخصـــيتهم القومية، حيث تبنوا في سياستهم مبادئ القومية **الطورانية**● الضـــيقة، فكانت فلسطين الخاسر الأكبر؛ لأن يهود **الدونمة**● هم الذين

● **الطورانية**: الطورانـــية مفهـــوم أيديولوجي، يفسر بطرق مختلفة، ويمكن حمل دلالته علـــى أكـــثر من معني، غالباً ما يظن أن الطورانية هي الأيديولوجية المعنية بتوحيد كافة الطورانيين أي الشعوب المتحدرة من مناطق بحر الأرال وجبال ألتاي، وفي تركيا نستخدم الطورانـــية للدلالـــة على الجهد المبذول من أجل تحقيق وحدة سياسة تضم كافة الشعوب التركـــية الموجودة على سطح الأرض، ظهر مفهوم الطورانية في القرن التاسع عشر في تركـــيا وفي أوساط الأتراك الموجودين في الاتحاد السوفيتي حالياً تؤخذ الطورانية بمعني الســـعي لضم أو توحيد كافة الأتراك سياسياً، والأتراك المعنيون بهذا المفهوم هم الأتراك الموجـــودون في الاتحاد السوفيتي والصين وإيران وأفغانستان والعراق واليونان وبلغاريا وقـــبرص، كذلك يجد مفهوم الطورانية، أو مفهوم الانتشار التركي العديد من الأنصار في تركـــيا وهم يقومون بنشر هذه الآراء والترويج لها [كلوس كريزر وآخرون: معجم العالم الإسلامي، مرجع سابق ، ص ص ٤٠٧، ٤٠٨].

● **الدونمة**: يعني ذو الملتين: لأن (دو) يعني (٢)، و(نمة) تعني (الملة) فالدونمة يهودي في السر والواقع والاعتقاد، ومسلم في الظاهر وأمام الناس، ويخدعون الناس في إسلامهم لدرجـــة أن لـــبس كثير منهم الجبة والعمامة وتولوا الوزارة ووصلوا إلى مناصب الحكم أيضاً، وسر الصنعة عندهم هو فصل الدين عن السياسة وخلق ما يسمى بالعلمانية ووضع القومـــية ديناً محبباً إلى القلوب بدلاً عن الدين السماوي ذاته، وعن طريق اختراق العلماء والحكام والإعلاميين يصل الدونمة إلى مفاتيح السيطرة، والدونمي يصلي صلاة المسلمين، ويصـــوم صـــومهم ويحج معهم، لكنه سراً يقرأ التلمود ويرتله بالعبرية، ومؤسس الدونمة يهودي أسباني يدعى شبتاي صبي، وينطقه البعض شبتاي زفي، وهو مدرس، وأعلن عام ١٦٤٧م أنـــه المسيح المنتظر، وقد نقلته الدولة العثمانية إلى سالونيك، وظل هناك إلى أن مـــات ودفن فيها، وخلفه يهودي هو جوزيف بيلوسوف، وسمى نفسه عبد الغفور أفندي ثم قـــام بعـــده جوزيف كيريدو مسمياً نفسه يعقوب جلبي، وصارت سالونيك من أكبر قلاع الدونمـــة وكانـــت القيادة العليا لليهودية العالمية في سالونيك لأنها مدينة يشكل اليهود فيها

كـــانوا يحـــركون الحكام الجدد، وعندما خابت آمال العرب في جمعية الاتحـــاد والترقـــي، اتجهوا للانضمام للحزب المنافس للاتحاديين وهو حـــزب الائـــتلاف والحرية الذي دعا إلى "مزيد من الحكم الذاتي على مستوى الحكم المحلى، واستعمال اللغة الأصلية في التعليم الأولي، ونوع خـــاص مـــن الإدارة المـــتوازنة في توزيع الموارد على مختلف أقاليم الإمـــبراطورية"(١). هـــذا إلـــى جانب العديد من الجمعيات والأحزاب الســـرية والعلنـــية التي اندمج فيها أهل فلسطين للمطالبة بالإصلاح من كـــثرة الظلم الذي وقع عليهم في عهد الاتحاديين لكن ذلك دون جدوى، لأن المشاعر العربية المعادية للاتحاد والترقي تعمقت خصوصاً بعد قيام حكومـــة محمـــد شوكت في يناير ١٩١٣م التي تشكلت دون أن تشمل وزيراً عربياً واحداً، بينما أعطيت وزارتان لليهود (٢).

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولي ١٩١٤م ودخلتها الدولة العثمانية إلـــى جانـــب ألمانيا ضد الحلفاء يمكن القول بأن هناك ثلاثة مؤشرات خطيرة تخللتها تلك الحرب - تسببت في سقوط الدولة العثمانية وضياع فلسطين وبالتالي قيام دولة إسرائيل ، وهذه المؤشرات هى :

أغلبـــية وهـــؤلاء هم الذين أنشأ أول تنظيم للاتحاد والترقي الذي كان هدفه إنهاء الخلافة الإســـلامية [فهمـــي الشناوي: مصرع الخلافة العثمانية، القاهرة، المختار الإسلامي للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ص٦٥-٧٢].

١ - بشـــير موسى نافع: الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص ١١٤

٢ - المـــرجع الســـابق، ص ١١٦، عن/ توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (١٩٠٨-١٩١٤م)، دمشق ١٩١٩م، ص ٣٧٦

١. اتفاقـــية ســـايكس- بـــيكو السرية التي أنجزت في ربيع ١٩١٦م، التي رســـمت حـــدود فلسطين المعروفة اليوم، والتي نحن بصدد دراستها، وكان ذلـــك مـــن خـــلال مشروع التقسيم والتجزئة الذي نفذ بعد الحرب العالمية الأولي.

٢. قيام الثورة العربية الكبرى في يونيه ١٩١٦م بقيادة الشريف حسين بن علـــي، إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولي بوعدٍ غير صريح بحـــق العـــرب في الاستقلال، وبالرغم من أن روسيا **البلشفية**● سَرَّبَت خـــبر ســـايكس- بيكو بعد خروجها من الحرب في أكتوبر ١٩١٧م، فإن الشريف حسين لم يتراجع عن موقفه المؤيد لبريطانيا.

٣. تـــتويجاً لدور اليهود في الحرب العالمية الأولي جاء وعد بلفور وزير خارجـــية بريطانـــيا إلى المليونير اليهودي روتشيلد بأن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية(١).

وكـــان الموقف الأمريكي مباركاً لذلك فقد "وافق الرئيس ولسون شخصياً علـــى نص إعلان بلفور في وقت صدوره، وصدق عليه الكونغرس في أثناء فترة رئاسة هاردنغ عام ١٩٢٢م ولكن فرنسا وإيطاليا وافقتا عليه في شباط /

● **بولشفية**: حصـــيلة معتقدات وأساليب الجناح اليساري للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي الذي انطوى تحت قيادته لينين ابتداءً من عام ١٩٠٣م والذي استأثر بالسلطة بعد الـــثورة الروســـية عام ١٩١٧م والكلمة مشتقة من كلمة "بولشفيك" أي فئة الأكثرية [عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج١، ص٦٠٨].

١ - عـــبد العزيـــز عمـــر: دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٠، ص ٦٢٠

فبراير - وآيار/مايو ١٩١٨م على التوالي"([1])، وسقطت القدس في ١٠ كانون الأول ١٩١٧م، ودخلها القائد الإنجليزي (اللنبي) دخول الظافر، وقال بعضهم سقطت بيت المقدس في أيدي الفرنجة بعد أن خرجوا منها في الحروب الصليبية منذ ثمانمائة وتسع عشرة سنة، وقرعت أجراس الكنائس فرحاً بسقوط القدس ومن جملتها الكنائس الألمانية وكأن ما خسرته ألمانيا سياسياً بهذا السقوط يعزيه عودة الأرض المقدسة دينياً إلى أيدي المسيحيين([2]). وعندها قال اللنبي قولته الشهيرة: الآن انتهت الحروب الصليبية([3])، واستسلمت الدولة العثمانية ورحلت عن بلادنا لتحل محلها أقدام بريطانيا التي كانت وفق مقررات سان ريمو بايطاليا ١٩٢٠م ملزمة بتنفيذ وعد بلفور، وهذا ما حدث بالفعل فقد تم الانتداب البريطاني على فلسطين ومن ثم قيام دولة إسرائيل في مايو ١٩٤٨م.

ثانياً: الحياة الاقتصادية

لقد اتسمت فلسطين بموقع جغرافي مميز، ومنحها الله سبحانه وتعالى كثيراً من الخيرات وبارك فيها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو

---

١ - بشير موسى نافع: الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص ص ١٠٣،١٠٢

٢ - محمد كرد علي: خطط الشام، ط ٣ ، ج ٣، دمشق، مكتبة النوري، ١٩٨٣م، ص ١٤٦

٣ - مجدي عبد المجيد الصافوري: سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية، القاهرة، دار الصحوة للنشر، ١٩٩٠، ص ٢٧٥

السميع البصير ﴾"[1]، ولذلك السبب كانت محط أنظار الطامعين، والحديث هنا عن الحالة الاقتصادية في فلسطين في العهد العثماني يتطلب التطرق لأحوال الزراعة والصناعة والتجارة وطرق المواصلات والبريد.

١. الزراعة:

لقد كان معظم سكان فلسطين يعملون بالزراعة، والبستنه، وكان ذلك يتوقف على طبيعة التربة، وعلى كمية الأمطار المتساقطة، وعلى توفر مصـــادر المـــياه، وفـــي معظم الأماكن كان هناك مطر كافٍ لزراعة محصولين في العام الواحد، وكانت معظم المحاصيل الشتوية تتألف من القمـــح والشعير، والمحاصيل الصيفية من الذرة البيضاء والسمسم([2])، وهذا يعني أن الزراعة كانت تعد عماد الاقتصاد الفلسطيني، مما يتطلب تركيز الكثير من اليد العاملة في هذا المجال، وقد أدى "تنوع المناخ في فلســطين إلـــى تـــنوع في الإنتاج الزراعي، فالحبوب من معظم أنحاء البلاد، وحتى في السهول الصغيرة، والقطن والتبغ من الشمال، والعنب من الخليل وبيت لحم، والزيتون من نابلس والرملة، والجوز من جنين، واللـــوز مـــن الـــرملة، والمـــوز من أريحا... الخ. أما شهرة فلسطين الزراعية فقد كانت بصورة رئيسية بالحمضيات والزيتون والعنب" ([3]).

---

١ - سورة الإسراء، آية رقم (١)

٢ - روجـــر أوين: تاريخ فلسطين الاقتصادي في القرن التاسع عشر [١٨٠٠-١٩١٨م]، الموســـوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج ١ ، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٥٥٣

٣ - بيان نويهض الحوت: فلسطين -القضية، الشعب، الحضارة، مرجع سابق، ص ٤٢٥

وهنا تجدر الإشارة إلى مدى ارتباط الحالة السياسة بالحالة الاقتصادية، حيث وجد أن إنتاج بعض المحاصيل الزراعية وازدهارها يخضع للحالة السياسية وعلاقة الدولة العثمانية بالدول الأخرى "فمثلاً نلاحظ أنه في سنة ١٨٥٢م أصبح الطلب الفرنسي على السمسم أكثر إلحاحاً، ومن هنا وجه الإنتاج الزراعي إلى هذا المحصول، وكذلك ازداد الطلب على القمح والشعير بشكل مفاجئ باندلاع حرب القرم وتوقف الحبوب من روسيا"(١)، وإن ارتباط الزراعة بحاجة الأسواق الخارجية، سيفتح المجال لتغلغل الرأسمال الأجنبي، ومن الممكن أن يترتب عليه أيضاً تطور زراعة المحاصيل في فلسطين، وارتبطت الزراعة الفلسطينية بالأحداث الدولية والسوق التجارية العالمية، ولقد بقيت فلسطين الشمالية والوسطى خاصة منطقة عكا وجبل نابلس من أهم مناطق زراعة القطن في بلاد الشام حتى مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر، غير أنه، وبازدياد طلب فرنسا على السمسم لاستخراج الزيت اعتباراً من عام ١٨٥٢م بدأت زراعة القطن الفلسطيني تتقلص، وتتوسع في المقابل زراعة السمسم(٢)، ولكن حدث تغير جديد في التوجه الزراعي عندما ارتفعت أسعار القطن الخام من جراء زيادة الطلب الإنجليزي في نهاية خمسينيات القرن التاسع عشر،

---

١ - الكزاندر شولش: تحولات جذرية في فلسطين [١٨٥٦-١٨٨٢م]، ط ٢ ، نقله عن الألمانية كامل جميل العسلي، عمان، دار الهدى، ١٩٩٠، ص ٩٩

٢ - ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي- الاجتماعي، بيروت، دار ابن خلدون، ١٩٨٥، ص٢٨

وبعد اندلاع الحرب الأهلية الأمريكية بشكل خاص، زرع في شمال فلسطين في ربيع ١٨٦٣م ثلاثة أضعاف الكمية التي زرعت في العام الذي قبله، بل إن الازدهار شمل حتى تلك الزاوية النائية المليئة بالمستنقعات حول بحيرة الحولة ([1])، وقد حققت تجارة القطن تقدماً وازدهاراً لدرجة أنه "من بين ٩٤ نموذجاً للقطن عرضت في معرض ١٨٦٣م في القسطنطينية كان هناك بالفعل اثنان من فلسطين"([2])، ولكن هذا الرواج للقطن سرعان ما انتهى خاصة بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦٥-١٨٦٦) وبعدما تراجع القطن زاد الطلب على الحبوب والبرتقال([3])، وهكذا ارتبطت الزراعة الفلسطينية بالأحداث الدولية كبقية أقطار العالم.

ولكن بالنسبة لأساليب الزراعة خلال القرون الأولى من الحكم العثماني لبلادنا فلسطين فلم يطرأ عليها أي تطور، وكانت كلها بدائية توارثتها الأجيال عبر مئات السنين، ولأن العثمانيين لم يعملوا في إدارة الزراعة، ولم تكن ثمة منافسة اقتصادية تحفز على تحديث الإنتاج وعصرنته ([4])، وظلت أحوال الزراعة كذلك إلى القرن التاسع عشر الذي شهد العديد من التغيرات بالنسبة للدولة العثمانية، فخلال "الربع الأخير من القرن التاسع عشر أخذت التكنولوجيا الغربية وبخاصة الزراعية منها، تدخل إلى فلسطين بصورة

---

١ - الكزاندر شولش: تحولات جذرية في فلسطين، مرجع سابق، ص ١٠٥

٢ - المرجع السابق، ص ١٠٦

٣ - ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي - الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٨

٤ - تامار غوجا نسكي: تطور الرأسمالية في فلسطين، ترجمة حنا إبراهيم حيف، مطبعة الاتحاد التعاونية، ١٩١٧، ص ٢١

متزايدة مكونه لها قواعد راسخة، فعن طريق المستوطنين الألمان واليهود، بدأت الزراعة الفلسطينية تستخدم أدوات ووسائل إنتاج حديثة مثل المنجل الحديث، والمحراث الأوربي و المدارس"([1]).

ويتضح مما سبق أن الزراعة الفلسطينية، في العهد العثماني وما قبله، كانت ضعيفة بالرغم من التطور الذي حدث في نهاية القرن التاسع عشر، ويمكن إجمال **أهم أسباب ضعف الزراعة في النقاط التالية:**

أ- نظام الملكية: الذي كان من أهم أبرز أسباب إضعاف الزراعة، وتخلف الفلاحين، كما كان من التغيرات التي تسربت منها ظاهرة الاستيطان الأجنبي إلى فلسطين، اليهودي وغير اليهودي(٢)، ونتيجة عملية مسح أجريت في أعقاب الحرب العالمية الأولي في فلسطين كان ٢٨ مالكاً في قضائي غزة وبئر السبع يملكون أكثر من مليوني دونم، بمعدل سبعين ألف دونم للمالك الواحد، وفي قضاء القدس كانت تقدر أملاك عائلة الحسيني بخمسين ألف دونم، وكذلك أملاك عائلة التاجي في الرملة، أما عائلة الشوا في قضاء غزة فكانت أملاكها تقدر بأكثر من مائة ألف دونم ومقابل ذلك كان ٧٧% من الفلاحين في فلسطين لا تتجاوز ممتلكاتهم خمسين دونماً للعائلة (الحمولة) الواحدة (٣).

---

١ - ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي - الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٤١

٢ - السيد ياسين، علي الدين هلال: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، مرجع سابق، ج١، ص ٩٣

٣ - عبد العزيز عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص ١٠٩، عن/ ناجي علُوش، المقاومة العربية في فلسطين، ص ٤٠

هذا مع العلم أن فلسطين التي تبلغ مساحتها ٢٧٠٢٧ كم 2 تبلغ نسبة الأراضي الصالحة للزراعة فيها ٣٣% من المساحة الإجمالية"[١]. وعلى ما يبدو فإن قانون الأراضي الذي صدر في عام ١٨٥٨م أسهم كثيراً في تجميع الأراضي في أيدي كبار الملاك(٢)؛ لأن هم السلطات العثمانية الأكبر كان جمع الضرائب، خاصة، وأنها أصدرت قانون الطابو ١٨٦١ م لتسجيل الأراضي باسم أصحابها، ولكن الكثير من الفلاحين تهربوا من تسجيل أراضيهم خوفاً من الضرائب والتجنيد الإجباري وسجلوا أراضيهم باسم شيوخهم أو باسم المتنفذين من أعيان المدن و أحيانا بأسماء وهمية، والحقيقة أنهم كانوا مضطرين لذلك ، لأن الدولة كانت تطرح أراضيهم في المزاد العلني إن لم يسجلوها في الطابو، وهذا هو السبب في أن حصلت عائلات ثرية لبنانية وفلسطينية على مساحات واسعة من الأراضي الخصبة في فلسطين(٣).

ب- الاستعمار الاستيطاني وبيع الأراضي: إن المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين لم يكن لينجح لولا أن ثبت أقدامه الاقتصادية في فلسطين بدعم كبير من أوربا وأمريكا وروسيا، وقد كانت إحدى أهم ركائزه الزراعة حيث إن التاريخ الفعلي للزراعة اليهودية في فلسطين بدأ عام

---

١ - أحمد سعد: التطور الاقتصادي في فلسطين، حيفا، دار الاتحاد للطباعة والنشر، ١٩٨٥، ص ٤٠

٢ - السيد ياسين، علي الدين هلال: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، مرجع سابق، ج١، ص ٩٠

٣ - عبد العزيز عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص ١٠٨-١١٠

١٨٧٠م بإنشاء مدرسة زراعية حملت اسم "ميكفة إسرائيل" قرب يافا وكان الهدف منها إعداد الدراسات اللازمة عن تربة فلسطين، وتدريب اليهود القادمين إليها، وتزويدهم بالخبرة الضرورية لاستعمار الأراضي وإنشاء المستعمرات، وقد لعبت (المدرسة) دوراً رئيسياً في حركة الاستعمار الصهيوني لأراضي فلسطين(١)، وقد أنشأ اليهود في مطلع القرن العشرين المستعمرات التعاونية التي أطلقت عليها اسم (الموشاف)●، والمستعمرات الزراية المسماة (الكيبوتز)●، وقد كان لها الدور الأخطر في

---

١ – السيد ياسين، علي الدين هلال: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، مرجع سابق، ج١، ص ٢٠٦

● **الموشاف:** تجمع استيطاني زراعي للعمال الصهاينة وفقاً للأسس التعاونية في الإنتاج والاستهلاك والتسويق، وتتراوح مساحة الموشاف بين ٣٠ و ٤٠ دونماً من أراضي الصندوق القومي اليهودي، وتديرها مجموعة من العائلات دون الاستعانة بالعمل المأجور، وتشكل العائلة بعكس الكيبوتز، مركز النشاط ويمتلك كل فرد منزله كما يمتلك قطعة من الأرض يعمل فيها مع أسرته، بينما تعتبر المنشآت المركزية والمعدات ملكية عامة، ويعود إنشاء أول موشاف إلى عام ١٩٠٧م [عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج٦، ص٤٧١].

● **الكيبوتز:** KIBBUTZ كلمة عبرية تعني الجماعة أو التجمع ، وقد تطور هذا المعنى فأصبح يشير إلى مجموعة من الناس يعيشون بشكل مشترك في مزرعة تعاونية زراعية، ويرتبط وجود الكيبوتز مع نشوء الحركة الصهيونية التي بدأت بعد مؤتمرها الأول بإنشاء مؤسسات مالية معنية بإقامة نظام الكيبوتز هذا وذلك عن طريق تهجير السكان الفلسطينيين بعد احتلال أراضيهم وإسكان المهاجرين الصهاينة في الكيبوتزات التي تؤلف بمجموعها نظام المستعمرات الجماعية اليهودية والذي اعتبر منذ مطلع هذا القرن، مع النظامين العسكري والعمالي، الأساس العملي لتحقيق الحلم الصهيوني في الاستيلاء على فلسطين [عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج٥، ص٣٢٣].

تدمير الزراعة الفلسطينية، ودعم اقتصاد يهودي قوي جعل اليهود يطمئنون علـــى وجودهم ومستقبلهم على أرض فلسطين([1])، وزادت رقعة الأراضي الزراعــية التي يمتلكها اليهود بشرائهم الأراضي بطرق ملتوية خاصة من "عائلة [سرسق] الأرثوذكسية اللبنانية التي كانت تمتلك النصف الشمالي من مــرج ابــن عامر، حيث باع الياس سرسق (من بيروت) أراضي مساحتها ٢٤٠٠ فــدان (٩٦٠٠ دونم) سنة ١٩١١م وهي أراضٍ تقع بين الناصرة وجنيــن وتعتــبر مــن أجــود الأراضي التي باعها للصهيونيين([2]). وفي إحصــائية حديــثة أوردتها البديري أن مساحة الأراضي التي سيطر عليها اليهود حتى العام ١٩١٤م قد بلغت ٢٤٥,٥٨١ دونم ([3]).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأوضاع السيئة للزراعة انعكست سلباً على أوضــاع التعلــيم ، لأن الــزراعة كانــت تمثل الحرفة الرئيسية للشعب الفلسطيني في ذلك الوقت.

٢. الصناعة:

وهــي تعتــبر الحــرفة الثانية في فلسطين في العهد العثماني، ولقد كانت ضــعيفة وبدائية، ولقد ظلت حتى أواخر القرن التاسع عشر صناعة بيتيه في

---

١ – السيد ياسين، علي الدين هلال: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٦-٢٠٩

٢ – عــبد العزيــز محمــد عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص ١٣٨

٣ – هند أمين البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، القاهرة، مطابع جامعة الدول العربية، ١٩٩٨م، ص ١٠٤

الغالـــب حيـــث يقـــوم أفراد الأسرة بصنع بضائع معينة للتجار ثم يتقاضون أجورهـــم علـــى أساس القطعة، وغالباً ما كانت العلاقة بين العامل وصاحب العمـــل علاقـــة أسرية أو شخصية، ونادراً ما تجاوز عدد العمال الذين كانوا يشتغلون مع صاحب العمل عشرة أشخاص، كما لم تتجاوز نسبة العاملين في فلســـطين ١٥% من السكان([1])، ومن بين أهم الصناعات في فلسطين، كانت صـــناعة الصـــابون وزيـــت الزيتون، وطحن الحبوب، والخمور الذي أدخل صـــناعته الـــيهود في عام ١٨٨٥م داخل مستعمراتهم، وكان معظمه يصدر للخارج، واستخراج زيت السمسم وحياكة الأقمشة والبسط والسجاد والصباغة والدباغـــة وصـــناعة الأحذيـــة والحجارة والقرميد والخزف والفخار وأدوات الزيـــنة، والأشياء ذات الصبغة الدينية كالمذابح والصلبان من خشب الزيتون، ويتضـــح مما سبق عدم وجود صناعة حديثة في فلسطين قبل الحرب العالمية الأولـــى، باســـتثناء الخمور في المستعمرات اليهودية، والصابون في نابلس ويافـــا ([2]) وكمـــا اشـــتهرت نابلس بصناعة الصابون فإنها اشتهرت كذلك باســـتخراج الـــزيوت التي كانت من أهم الصناعات في فلسطين، حيث كان الإنتاج السنوي من زيت الزيتون يقدر بـــ١٧ آلاف طن، وانتشرت المعاصر فـــي معظم مدن فلسطين مثل القدس، وحيفا، وعكا، ونابلس، واللد، والرملة، ويافا ([3]).

---

١ – عـــبد العزيـــز محمـــد عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص ١٠٤

٢ – عـــبد العزيـــز محمـــد عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص ١٠٤، ١٠٥

٣ – ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي – الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٥٩

وفـــي نهايـــة القـــرن التاسع عشر وجدت الصناعة الجلدية التي تقوم على دبغ الجلود المحلية وصناعة الأحذية، واشتهرت غزة بالذات بهذه الصناعة، كما عرفت فلســطين صـــناعة الحياكة والغزل منذ زمن قديم، وانتشرت الأنوال في كل المدن والقـــرى، وكانـــت أهـــم مراكز النسيج في المجدل، حيث بها ٥٠٠ نول([١]). وفي إحصائية لعام ١٩١٠م كان في غزة ٥٠ نولاً، وكان أصحاب هذه الصناعة يجلبون القطـــن عادةً من إنجلترا فيصبغونه ثم يحيكونه ويبيعون إنتاجهم في الدول المجاورة ([٢]). واشـــتهرت غـــزة أيضـــاً بصناعة الفخار وصدرته داخل فلسطين وخارجها، واشتهرت صناعة التذكارات الدينية في بيت لحم والقدس([٣]).

وممـــا ســـبق يتضـــح أن الصـــناعة اعتمدت إلى حد كبير على المحاصيل الزراعـــية، وبقيـــت فلسطين طوال المرحلة التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولـــى، بلاداً زراعية من الدرجة الأولى، وكان الإنتاج الصناعي فيها، إذا ما اســـتثنينا الصـــابون والزيوت والخمور، يقصد به ليس التصدير بل للاستهلاك المحلي([٤]).

وهـــذا يعنـــي أن فلسطين لم تشهد تطوراً صناعياً بمعنى الكلمة، لأن معظم صناعاتها كانت استهلاكية خفيفة، كما أن فلسطين "لم تشهد ثورة صناعية، وإنما اســـتوردت البضائع الجاهزة فظلت عملية التحديث سطحية عموماً، فيها الكثير من التقليد والقليل من الابتكار والتجديد([٥]).

---

١ – السيد ياسين، علي الدين هلال: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، مرجع سابق، ص ٢١٥

٢ – بيان الحوت: فلسطين– القضية، الشعب، الحضارة، مرجع سابق، ص ٤٢٦

٣ – نبـــيل أيـــوب بدران: التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني، ج ١ ، عهد الانتداب، بيروت، مركز أبحاث م.ت.ف، ١٩٦٩، ص ٤٧

٤ – ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي – الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٥٦

٥ – عادل مناع: أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني، مرجع سابق، ص ١٨

٣. التجارة:

وتعـــتمد هذه الحرفة غالباً على الصناعة وترتبط بشكل مباشر بالإنتاج ومـــا دامـــت الصناعة في فلسطين لم تشهد تطوراً ملحوظاً فهي ستقتصر علـــى المحاصيل الزراعية وما تشتهر به فلسطين من محاصيل فقد "صُدِّر البرتقال بشكل منتظم بعد حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦م) ومنذ عام ١٨٧٥ م شـــرع بتصـــدير برتقال يافـــا إلى الدول الأوربية وتنامت صادراته إلى أوروبا بشكل ملحوظ"([١]). ومع إطلالة القرن العشرين، تحول البرتقال إلى أبـــرز صـــادرات فلســـطين الزراعية على الإطلاق([٢])، وكانت فلسطين حاضـــرة فـــي الأســـواق والمعـــارض الدولية بمنتجاتها المتواضعة، ففي المعـــرض العالمي الذي عرض في فيينا ١٨٧٣م كان هناك ثلاثة أصناف مـــن المعروضـــات التـــي جـــاءت من فلسطين وهي المنتجات الزراعية والتحف التذكارية ونماذج للأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية واليهودية في القدس وما حولها([٣]). وفي الفترة الواقعة بين الأعوام (١٨٩٠-١٩٠٠ م) زاد إنـــتاج الشعير السنوي المعد للتصدير على ٤٠،٠٠٠ طن في غزة وحدهـــا، وهو ما مثل ثلاثة أرباع مجموع صادرات فلسطين من الشعير، وكـــان شعير غزة مطلوباً من مصانع البيرة في إنكلترا واسكتلندة وألمانيا، بحيث بلغت قيمة صادرات غزة من الشعير إلى بريطانيا ١٨٠،٠٠٠ جنية

---

١ - ماهر الشريف، تاريخ فلسطين الاقتصادي - الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٩

٢ - مروان البحيري: الصادرات الزراعية لمتصرفية القدس الشريف (١٨٨٥-١٩١٤م)، صامد الاقتصادي - العدد٢٢، تشرين الثاني ١٩٨٠م،ص١٣

٣ - الكـــزاندر شولش: تحولات جذرية في فلسطين (١٨٥٦-١٨٨٢)، مرجع سابق، ص ٩٣

سنويا[1]. أما بالنسبة للواردات فكانت تمثل النصيب الأكبر لتلبية حاجات الأوربيين وليس لحاجة السكان المحليين، فمع مطلع ثمانينيات القرن التاسع عشر، بدأت الواردات تتفوق على الصادرات في ميزان التجارة الفلسطينية، ويتضح من متابعة حركة الاستيراد عبر مرفأ يافا على امتداد عشرين سنة (١٨٨٥-١٩٠٥م) أن هذه الحركة كانت حركة تصاعدية بالرغم من التذبذبات، وحتى التراجعات في بعض السنوات[2]، وارتفعت الواردات عبر الموانئ الثلاثة الأساسية غزة، وحيفا، ويافا من ٢٤٠ ألف جنية إسترليني عام ١٨٨٦م إلى ٣١٠ ألف جنية إسترليني عام ١٩١٣م[3]، وربما يرجع سبب ارتفاع الواردات إلى إقبال السكان على المنتوجات الأجنبية التي غمرت الأسواق ونافست الصناعات المحلية، وهذا ما يعلله الاقتصاديون بعدم توافر الحماية الجمركية، ذلك أن الرسوم الجمركية كانت ضئيلة جداً بدأت بـ ٣ % وانتهت بـ ١١ % من قيمة البضائع المستوردة، كما لابد من الإشارة إلى أن الدولة العثمانية لم تشجع صناعتها الوطنية أيضاً، فقد أعاقت الضرائب العالية المفروضة على الإنتاج نمو وازدهار التجارة[4].

---

١ - مروان البحيري: الصادرات الزراعية لمتصرفية القدس الشريف (١٨٨٥-١٩١٤م)، مرجع سابق، ص ٣١

٢ - ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي - الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٣٣

٣ - باميلا آن سميث: فلسطين والفلسطينيون، ترجمة إلهام بشارة الخوري، دمشق، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ١٩٩١، ص ٣٥

٤ - عبد العزيز محمد عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص ١٠٥

وفـــي الحقيقة إن ما حققته فلسطين من تطور ضئيل في التجارة لم يكـــن ليحدث لولا خطوط المواصلات التي أنشأتها الدولة العثمانية في القـــرن التاسع عشر، حيث أقامت شبكة مواصلات برية وسلكية ربطت المـــدن الرئيسية في فلسطين مع بعضها ومع غيرها من مراكز الولاية العثمانية المجاورة([١]). ولقد استفادت فلسطين من هذه الطرق في مختلف مجالات الاستغلال الاقتصادي، ومن أشهر الطرق البرية طريق يافـــا- القدس وطريق نابلس- يافـــا، وطريق القدس-أريحا، وكانت سكة حديد يافــــا القـــدس التـــي شرع العمل فيها في مارس ١٨٩٠م وأنجز في ســـبتمبر ١٨٩٢م وطولهـــا ٨٧ كيلو متراً ذات أهمية اقتصادية كبيرة لفلسطين.وكذلك كان لموانئ فلسطين الساحلية، يافـــا وغزة وعكا، دور كبـــير فـــي تنشيط حركة الاستيراد والتصدير([٢])، وإلي جانب الطرق الـــبرية، كانـــت مراكـــز الـــبريد الأجنبية في المدن الفلسطينية خاصة النمســـاوية والألمانية والروسية وفي مدينة القدس خاصة، وقد تم تمديد أول خـــط للبرق في فلسطين في عام ١٨٦٥م بين يافـــا وبيروت وبعد ذلك انتشرت خطوط البرق لتصل المدن الفلسطينية بمدن عربية أخرى ([٣]).

وإجمـــالاً يمكن القول إنه في ظل تلك التطورات الاقتصادية التي حدثت علـــى أرض الواقـــع في فلسطين، كان المواطن الفلسطيني أقل المستفيدين

---

١ - المرجع السابق، ص ١٠٥

٢ - المرجع السابق، ص ص ١٠٥، ١٠٦

٣ - ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي - الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٥٠

منها، والمستفيد الأكبر هي الدولة العثمانية، التي كانت تفرض الضرائب المتنوعة، والمستفيد الآخر هم الأجانب الذي تمتعوا بامتيازات كثيرة أعفتهم من الخضوع لقوانين البلاد وخاصة في مجال التجارة، وهذا انعكس على الحياة بأكملها لهؤلاء الأجانب في بلادنا فلسطين، بم فيها أحوالهم التعليمية التي كانت أفضل من أحوالنا بالإضافة إلى أنها كانت تستغل التعليم لأهداف متعددة، فقد أقام الأجانب "التبشيريات والقنصليات والمؤسسات الدينية المختلفة التي كانت شكلاً من أشكال التسرب الاقتصادي-السياسي-الثقافي، التي استهدفت منها تمهيد التربية للاستيلاء على أشلاء الإمبراطورية العثمانية"([1]). والمستفيد الأخطر كان المستوطنون الصهاينة حيث تجسدت سمات الاستيطان الصهيوني في فلسطين من خلال أهم قواعد الاستيطان الكولونيالي الصهيوني وهي احتلال الأرض واحتلال العمل واحتلال السوق ([2]). وبدخول القطاع اليهودي في الاقتصاد الفلسطيني ونموه، أصبح الاقتصاد القومي في فلسطين يتميز بانقسامه إلى نظامين اقتصاديين متباينين:

الأول: اقتصاد يهودي يشبه هيكل العمالة فيه نَظيرهُ في البلاد الصناعية.

الثاني: اقتصاد عربي وهو هيكل المجتمع الزراعي المتخلف."[3]

---

١ - تامار غوجا نسكي: تطور الرأسمالية في فلسطين، مرجع سابق، ص ٣٣

٢ - أحمد سعد: التطور الاقتصادي في فلسطين، مرجع سابق، ص ٥٥

٣ - السيد ياسين، علي الدين هلال: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، مرجع سابق، ص ص ٢٠٥،٢٠٤

ومما سبق يتضح أن فلسطين لم تكن بمعزل عن التطورات الاقتصادية العالمية، وخاصة في القرن التاسع عشر حيث بدأت الدول الاستعمارية صراعها والتنافس فيما بينها على السيطرة والهيمنة داخل فلسطين، وكان ذلك واضحاً من خلال عدائهم للدولة العثمانية، ولقد ألقى ذلك الوضع بظلاله على المجتمع الفلسطيني، حيث أثر سوء الأحوال الاقتصادية تأثيراً سلبياً على مجالات الحياة من ضمنها الحياة الثقافية، وهذا ما سنشير إليه لاحقاً عند الحديث عن الحياة العلمية.

ثالثاً: الحياة الاجتماعية

انقسم سكان فلسطين العرب بالنسبة إلى أماكن سكناهم إلى ثلاث فئات رئيسية وهي. الحضر أو سكان المدن، والفلاحون، والبدو ، وقد انقسموا اجتماعياً بلغة العهد العثماني إلى فئتين: فئة الإشراف،وفئة العامة، أما وفق اللغة المعاصرة، فقد توزعت هذه الفئات على **ثلاث طبقات رئيسية**:

- **الطبقة الاجتماعية** الأكثر عدداً بين السكان، والأكثر فقراً، وتضم الفلاحين والبدو والعمال والحرفيين والصغار.
- **الطبقة الوسطى**: وهي تتكون من موظفي الدوائر الرسمية وذوي الاختصاص والمهن الحرة والتجار.
- **الطبقة العليا**: وهي الأقل عدداً والأكثر ثراءً، وهي من كبار التجار والملاكين والتي تمكنت من السيطرة على الشئون الاقتصادية للبلاد، وتمحورت هذه الشئون بصورة رئيسة حول التجارة والملكية الزراعية([١]).

---

١ – بيان الحوت: فلسطين (القضية، الشعب، الحضارة)، مرجع سابق، ص ٤١٥

وبلا شك أن الطبقة الأولى وهي التي تضم الفلاحين والبدو، وكانوا ينقسمون إلى عشائر، وكل عشيرة يحكمها شيخ، وظلت هذه الطبقة تسكن القرى، وكانت القرية الفلسطينية عبارة عن عائلة كبيرة "حمولات" متعددة ترتبط فيما بينها بروابط متينة، ويجمعها تاريخ مشترك، وعادات وتقاليد واحدة، وكانت كل حمولة تحافظ على تماسكها الاجتماعي بالاستناد إلى هذه الروابط، وإلى مسئولية أعضائها الجماعية والدفاع عن مصالح أفرادها([1]) وقد حافظت القرية على تركيبتها السياسية والاجتماعية ؛ لأنه كان على رأس كل قرية شيخ، وإذا تعددت الحمايل في القرية الواحدة فلكل حمولة شيخها، كما وجد إلى جانب الشيوخ مجلس ينتخبه أهل القرية، واعتبر هذا المجلس ممثلاً للقرية في جميع المسائل ذات العلاقة مع الحكومة المحلية ([2])، ولكن على الرغم من أن الحكومة كانت تبسط سيادتها على تلك القرى، فإنه على أرض الواقع كانت السلطة في أيدي عائلات كبيرة توارثت هذه السيادة، ولأن "سلطة شيوخ القرى كانت تشكل تحدياً واضحاً لبرنامج الإصلاح الذي أقرته الحكومة العثمانية في عهد التنظيمات، وقد أرادت الدولة العثمانية الحد من هذه السلطة، فاستحدثت منصب المختار سنة ١٨٦٤م ليحل محل شيخ القرية باعتباره الممثل الرسمي لسلطة الدولة في القرية" ([3]).

---

١ – ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي – الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٦٧

٢ – عبد العزيز محمد عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص ١٠٧

٣ – ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي – الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٦٨-٧٠

وهــذا يــدل على أن الصفة الغالبة للمجتمع الفلسطيني كانت القبلية والعشائرية، وفي هذا الإطار لعب البدو الدور الأكبر والمميز، وقد كان يشــار إليهم بتسميات عرب وأعراب، وعربان، حيث كان لهم دورمهم فــي بــلاد الشام في العهد العثماني وقد سيطروا على المنطقة الواقعة شــرقي خــط يمتد من حلب إلى العقبة ([1])، ويشير بدران إلى أن القيم العشائرية أو البدوية كانت أهم قيم أثرت على المجتمع العربي في العهد العثمانــي ([2]). وممــا لا شــك فيه أن تلك القيم كانت تضر بالمجتمع الفلسطيني ؛ لأن ولاء البدوي لقبيلته واعتزازه بالانتماء إليها كان على حســاب انتمائه للوطن وولائه للدولة، وكانت القبائل تمثل خطراً دائما ظــل يهــدد كــيان الدولة ويعرض الأمن الداخلي إلى كثير من القلق والاضــطرابات([3])، ولأن البدو عاشوا في فلسطين خارج حدود سلطة الدولــة أو علــى أطرافها معظم فترة العهد العثماني، فقد كان التوثيق لدورهم الاقتصادي والسياسي ضعيفاً، كما أن حياة البداوة لم تساعد في نشوء علماء أو مثقفين بين العربان ([4]).

---

١ - عــبد الكريم رافق: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام فــي العصر الحديث، مرجع سابق، ص٨١

٢ - نبيل أيوب بدران: التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٨

٣ - السيد ياسين، على الدين هلال: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، مرجع سابق، ص ١١٨

٤ - عادل مناع: أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني، مرجع سابق، ص ٢٢

وظلت تلك الطبقة أسيرة لمبادئها وقيمها القبلية والعشائرية، إلى أن حدث تحول في النظام العشائري بعد أن عززت الحكومة المركزية في الأستانة سيطرتها إبان حكم عبد الحميد والذين خلفوه، وكان من العوامل التي ساعدت على القضاء على ذلك النظام العشائري، تعزيز خطوط المواصلات، ونظام الضرائب الجديد، وزيادة سلطة الجيش العثماني إبان الحرب العالمية الأولى، حيث بدأ الوضع الاجتماعي يتبدل، حيث ظهرت أنماط جديدة من الوحدات الاجتماعية، عمادها الأسرة المحدودة(١)، بمعنى أن هناك تطوراً ما في المجتمع الفلسطيني حدث في أواخر العهد العثماني وقد كان سببه انتشار التعليم ونشأة الصناعات وتعدد أدوات الإنتاج وتحسنها هذا بالإضافة إلى سيادة القانون والنظام، مما وفر نوعاً جديداً من الحماية للفرد، يختلف عن حماية القبيلة أو الحمولة، وبذلك بدأت مرحلة التحديث في المجتمع الفلسطيني مع أوائل القرن العشرين(٢)، وإن كان هذا فيما يخص الريف الفلسطيني في القرى، إلا أن الوضع الاجتماعي كان يختلف في المدن تماماً، وهو ما يخص الطبقتين الأخريين في المجتمع الفلسطيني وهما الطبقة الوسطى والطبقة العليا، فمع اقتراب نهاية القرن التاسع عشر، تحول مركز ثقل القوى السياسية المحلية من الجبال والأرياف إلى المدن الكبرى، وخصوصاً مدينة القدس، وقد شجع العثمانيون هذا التحول الذي كان من

---

١ - السيد ياسين، علي الدين هلال: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، مرجع سابق، ص ١١٩

٢ - المرجع السابق، ص ١٢٠

أسبابه أيضاً اعتبار القدس سنجقاً خاصاً مستقلاً، فبرزت في هذه المرحلة أهمية العائلات المقدسية العريقة بالنسبة إلى سائر العائلات في المدن الأخرى، وكانت العائلات المقدسية تتباهى بميزة اتصالها نسباً بالسلالة النبوية الشريفة، أو بالقبائل الأصيلة في الجزيرة العربية وقد انصرف الكثيرون من أبنائها إلى الاهتمام بالأمور الدينية والعلمية، فكان منهم الشيوخ والعلماء و الأئمة والمفتون ([١]).

وبذلك تكون المدينة في المجتمع الفلسطيني تميزت عن الريف بأنها كانت مركزاً للإدارة، والحكم والقيادة والتجارة والصناعة والتعليم، والمواصلات، وسيطرة العائلات الكبيرة التي كانت تعرف بفئة الأشراف وهذه الفئة كان لها مكانة عظيمة في المجتمع الفلسطيني وعند الدولة العثمانية فقد لقب الشريف بالسيد، وميز بالعمامة الخضراء، وقد تمتع هؤلاء بمكانة اجتماعية ودينية مرموقة، وبامتيازات قانونية واقتصادية خصتهم بها الدولة العثمانية، فاستثنتهم من الخدمة العسكرية، وتمتعوا بريع ممتلكات خاصة أوقفت لهم، كما خصتهم ببعض الإقطاعات وتسلموا منحاً من السلطان العثماني في وقت الحج([٢]).

وهكذا يبدو أن المجتمع الفلسطيني في نهاية القرن التاسع عشر كان مكوناً من أغلبية فلاحية تسيطر عليها النخبة العربية الحاكمة ومعظمها من المدن، وتكونت هذه النخبة من شيوخ القبائل، أما في فترة الحرب العالمية الأولي فقد حلت مكانها نخبة غير متجانسة مكونة من فئتين:

---

١ - بيان الحوت: فلسطين (القضية، الشعب، الحضارة)، مرجع سابق، ص ٤١٦

٢ - عبد الغنى عماد: السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر، ص ٢١٠

الأشراف: وهم المثقفون الأرستقراطيون.

العـائلات: المالكة للأراضي الواسعة وتحدرت من العشائر وجمعت الثروة والنفوذ وجردت الشيوخ من السلطة([1]). ولكن تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من وجود العائلات المتنفذة والقبلية والعشائرية فإن الدين الإسـلامي كـان أهـم مصـدر للقيم، إذ استمدت منه قوانين الأحوال الشخصية والمدنية وحددت أسس الأخلاق، مع العلم أن مفهوم الدين ظل مرتـبطاً بالمسـتوي الاجتماعي السياسي، لأن هذا المستوى يحدد فَهم الدين وتوارثه، فالطبقات المسيطرة تسعى دائماً إلى تفسيره في صالحها، لذلـك فقد غلب على المجتمع الفلسطيني ظواهر متعددة في تلك الفترة كالتصوف. والقدرية، وتمجيد العلماء والتشفع بالأولياء والقديسين ([2]).

ولم يقتصر المجتمع الفلسطيني على الوجود الإسلامي بل كان هناك المسـيحيون الذيـن "تراوحـت نسبتهم بين ١٠%، ١٢% من مجموع السـكان الفلسـطينيين، وقد انتموا إلى طوائف مسيحية متعددة، إلا أن القسـم الأكبر منهم كان من الروم الأرثوذكس"(٣). وفيما يخص العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فقد كانت تميزها الوحدة دائماً، وكانت القدس دوماً هي ملتقى جميع الطوائف بحكم الأماكن المقدسة فيها، ولم تتعرض بلادنا فلسطين لأي تعصب ديني خطير أو مشاكل طائفية.

---

١ - باميلا آن سميث: فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص ٢٧

٢ - نبيل أيوب بدران: التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٦

٣ - بيان الحوت: فلسطين (القضية، الشعب، الحضارة)، مرجع سابق، ص ٤١٥

وفـيما يتعلق بعدد سكان فلسطين فقد قدر عند منتصف القرن التاسع عشر، بحوالي نصف مليون نسمة، ٨٠ % منهم من المسلمين، وحوالي ١٠ % مـن العـرب المسيحيين، ونسبة تتراوح من ٥ إلى ٧ % من الـيهود، وكانـت كـل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تحتفظ في ظل القـانون العثمانـي باسـتقلالها الداخلي في شؤون الأحوال الشخصية وتخضـع لسـلطة الدولة في الشؤون الأخرى"[١] . أما بالنسبة لمستوى المعيشـة فقـد ارتفـع فـي أواخر القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشـرين، وبـالذات في القدس، ويافا أما بقية مدن فلسطين مثل غزة، والخلـيل، ونـابلس، وغيرها فكان مستوى المعيشة فيها أدنى مما في القدس، ويافا، ويعود ذلك إلى عدم تأثرها بالأسباب التي أدت إلى ارتفاع مسـتوى المعيشـة مـن هجرة يهودية وحركة سياسية وزيادة في عدد السكان (٢).

ويـرى الباحث أن أوضاع الفلاحين المالية، ونظام ملكية الأرض قد أثـر سـلباً علـى العلاقات الاجتماعية التقليدية في الريف الفلسطيني، وبالتالي انعكس على المجتمع وأضر بالتضامن داخل القرية أو المدينة، وقـد سبب انتشار عادات سيئة في الأوساط الغنية كالربا، خاصة وأن

---

١ - ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي - الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٦٠، عن جانيـت أبـو الفهد، التحول الديمغرافي لفلسطين في تهويد القدس، إعداد: د. ابراهيم أبو الفهد، ص ١٥٦

٢ - عـبد العزيـز محمـد عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص ١٠٣

الحركة الصهيونية "زادت في إفقار الفلاحين عندما استولت على أراضيهم واحتلتها منهم، فاضطروا للعمل أُجراء ومزارعين لدى أصحاب الأملاك، وقد أدت الهجرة الكثيفة لليهود في الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى ازدياد عدد الفلاحين العرب الذين لا يملكون الأرض، ونتج عنها أيضاً ازدياد البطالة بين العمال العرب بعد أن رفضت الحركة الصهيونية تشغيل اليد العاملة العربية في مستعمراتها"(١).

وفي ضوء تلك التغيرات والتطورات في المجتمع الفلسطيني في العهد العثماني، فقد حافظ الناس على عاداتهم وتقاليدهم، ووحدتهم وترابطهم، لكن الأمر الذي بدا واضحاً من خلال هذا العرض أن "حالة الأمن في المجتمع بشكل عام ارتبطت بأوضاع الدولة العثمانية وانشغالها في حروبها الخارجية فعندما تكون الدولة في سلام يكون الأمن مستتباً" (٢). وبناءً عليه فلا يمكن للتعليم أن يتطور في ظل مجتمع يفتقر للأمن والاستقرار، بمعنى أن تطور التعليم أيضاً ارتبط بتطور مؤسسات المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لأن الحياة التعليمية هي نتاج لتلك الأحوال مجتمعة، خاصة الأحوال السياسية لأن فلسفة التعليم دائماً تنبثق عن فلسفة الدولة وسياستها، وهذا ما سيقوم الباحث بتفصيلة خلال الفصول القادمة.

---

١ - المرجع السابق، ص ١٠٣

٢ - المرجع السابق، ص ص ١١٠،١١١

رابعا: الحياة العلمية

مـــن الأهمية بمكان قبل الحديث عن التعليم في العهد العثماني، وقبل إصــــدار الحكم عليه ارتأى الباحث أن يعرض لمحة بسيطة عن التعليم في فلسطين في عهد المماليك،عند مجيء العثمانيين، ولأن دولة المماليك كانـــت مـــن أقوى الدول الإسلامية سياسياً واقتصاديا واجتماعيا، فليس غريباً أن يكون التعليم مزدهراً في عهدهم، فقد سار" التطور العلمي في فلســـطين فــــي خط صاعد وثابت في العهد المملوكي منذ أواسط القرن الســـابع الهجري/الثالث عشر الميلادي حتى نهاية عهد المماليك ١٥١٦ م"(١)، وقد عاشت فلسطين عصرها الذهبي في مجالات الثقافة الإسلامية والتعلـــيم أيـــام الحكم المملوكي، فقد وجد فيها عدد كبير من مؤسسات التعلـــيم المتخصصـــة والعامة، وعاش فيها جمع غفير من كبار العلماء لكن يلاحظ أن ذلك التمركز كان إلى أبعد الحدود في مدينة القدس، ذلك أن نـــواة الشخصـــية الفلســـطينية تمحورت في هذه المدينة إلى حد أن التأريخ لها بات تأريخاً لفلسطين (٢).

ولقـــد حظيت القدس بهذه المكانة لأهميتها الإسلامية والتاريخية، في حين لم يكن ذلك على حساب بقية المدن الفلسطينية الأخرى فقد "كانت غزة بعد القدس، أحفل المدن بالمدارس والمساجد والزوايا والعلماء، وقد

---

١ – كـــامل العســـلي: التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، الموسوعة الفلسطينية، ق ٢، مج ٣، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٢

٢ – ســـهيل زكار: فلسطين في عهد المماليك من أواسط القرن السابع الهجري إلى مطلع القرن العاشر الهجري، الموسوعة الفلسطينية، ق٢، مج٢، مرجع سابق، ص ٦٠٥

حظيــت بالــرعاية والعناية من حكام المماليك بوصفها عاصمة إحدى النيابات الست في بلاد الشام"[١]. وانتشرت المدارس كذلك على امتداد المدن الفلسطينية مثل الخليل ونابلس والرملة وصفد، ولم تحرم أية مدينة من التعليم لأن ذلك من شعائر الإسلام التي حافظت عليها دولة المماليك [٢]، وينبغــي الإشــارة إلــى الدور الأكبر "للأوقاف" في دعم المسيرة التعليمــية فقــد "كــادت أن تكون المصدر الوحيد للإنفاق على التعليم وتنظــيمه، ووضــع مناهجه وإقرار نظمه كافة"[٣]، لذلك كان العامل الاقتصــادي ســبباً من أسباب ازدهار التعليم في عهد المماليك، وفيما يتعلق بنوع التعليم في ذلك الوقت فقد "كانت المدارس معظمها دينية"[٤]. هذا بالإضافة إلى أن تلك المدارس عرفت أنظمة محكمة وقوانين مراتب الهيــئة التدريســية التي تكونت بشكل عام من المدرس والمعيد والمفيد والمنتهي [٥].

---

١ - كــامل العســلي: التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، مرجع سابق، ص ١٤

٢ - كــامل العســلي: التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، مرجع سابق، ص ص١٦،١٤

٣ - كامل العسلي: الأوقاف والتعليم في بيت المقدس من أواخر القرن السادس حتى أوائل القــرن الثانــي عشــر للهجرة، التربية العربية الإسلامية، ج٣، المؤسسات والممارسات، مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٨٩، ص ٨٧١

٤ - كامل العسلي: الأوقاف والتعليم في بيت المقدس من أواخر القرن السادس حتى أوائل القرن الثاني عشر للهجرة، مرجع سابق، ص ٨٨٠

٥ - سهيل زكار: فلسطين في عهد المماليك، مرجع سابق، ص ٥٨٩

ومن الجدير ذكره أن "الفتيات لم يكن لهن مكان في المدارس و إنما كن يدرسن في البيوت على آبائهن وأقاربهن وعلى شيخات"(١). وربما كان سبب ذلك في عدم رغبة الأهالي بإخراج بناتهم للتعليم، وذلك كان لــه علاقــة بالعــادات والتقاليد التي لا تسمح بخروج البنت من بيتها، وبالنسبة لأعداد الطلبة في المدارس فلم "يكن يتجاوز في أقصى حدوده الســتين أو الســبعين في المدارس الكبرى، وكان معدل الطلبة في كل مدرســة يــتجاوز فــي أقصى حدوده العشرين طالباً، يدرسهم مدرس واحــد"(٢). لذلــك كان هناك متسع للتعليم والفهم والتركيز، وأن يحافظ المــدرس علــى هيبــته ومكانته في المجتمع، وكان المدرسون أحياناً يتقاضــون أجــوراً عينية ومنهم من كان يؤدي ذلك احتساباً لوجه الله تعــالى، ولكن القاعدة العامة كانت تقدير مرتب جار للمدرس يتقاضاه شــهرياً بانــتظام غير أن الرواتب كانت تتباين بين مدرس وآخر، كما كانــت تــتأثر تأثراً واضحاً بمقدار الوقف المرصد للمدرسة، وبالمكانة العلمية للمدرس (٣).

وفــيما يخص تخرج الطلاب من تلك المدارس، فبعد انتهاء الدراسة كــانوا ينالون الإجازة، والتي كانت تصدر عن الشيخ الذي درس عليه

---

١ - كــامل العســلي: التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، مرجع سابق، ص ١٧

٢ - كامل العسلي: الأوقاف والتعليم في بيت المقدس، ج٣، مرجع سابق، ص ٨٨٢

٣ - عــبد الجليل عبد المهدي: المؤسسات التعليمية والثقافية في بلاد الشام في العصرين الأيوبــي والمملوكــي، التربــية العربية الإسلامية، المؤسسات والممارسات، مؤسسة آل البيت، عمان، المجمع، ج ٢ ، ١٩٨٩، ص ٥٧٧

الطالـــب، ويشـــهد فيها أن الطالب درس عليه كتاباً بعينه أو موضوعاً بعيـــنه([1])، وإجمـــالاً يمكن القول بأن الحياة العلمية ازدهرت في عهد المماليك، ويشير الدباغ إلى أن الكثير من الموسوعات والكتب التي ألفت فـــي هـــذا العهـــد كثيرة، وشملت التاريخ والجغرافيا والطب والفلسفة والأدب والـــزراعة وغـــيرها، فآثار القلقشندي المتوفى عام ٨٢١ هــ وخاصة صبح الأعشى وآثار ابن حجر والسخاوي والمقريزي في كتابة "السلوك" ويوسف بن تغري بردي في النجوم الزاهرة والدميري المتوفى عـــام ٨٠٦هــــ في كتابه "حياة الحيوان الكبرى" وغيرها، تدل على ما وصلت إليه هذه الحياة العلمية من تقدم ([2]).

وممـــا ســـبق يتضـــح لنا أن العامل الاقتصادي كان سبباً رئيسياً في ازدهـــار التعليم في عهد المماليك؛ لذلك كان يجب على العثمانيين دعم الأوقاف والمحافظة عليها وتطويرها إذا أرادوا استمرار قوة التعليم في فلسطين وغيرها من الولايات العربية.

ومن خلال عرض الحالة الاقتصادية في فلسطين، اتضح أنه لم يكن هناك اســـتقرار، بمعنى وجود مراحل قوة ووجود مراحل ضعف اقتصادية مر بها الشـــعب الفلسطيني خلال العهد العثماني، ولذلك تتضح صورة التعليم ومدى ارتباطها بالأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وبناءً عليه يمكن تقسيم المراحل التي مر فيها التعليم الفلسطيني في العهد العثماني إلى ثلاث مراحل:

---

١ - كامل العسلي: الأوقاف والتعليم في بيت المقدس، مرجع سابق، ج٣، ص ٨٨٢

٢ - مصـــطفى مـــراد الدبـــاغ: الموجـــز في تاريخ الدول الإسلامية وعهودها في بلادنا فلسطين، رقم١، ص ١٦٣

١- مــرحلة القوة والاستقرار: وهي أدق وأهم المراحل حيث جاء العثمانيون إلى بلادنا وكان التعليم قوياً على يد المماليك كما مر ذكره، وفي هذه المرحلة استمر التعليم على حالته القوية، فقد حافظ العثمانيون علـــى تلك المؤسسات التعليمية لمدة طويلة إلى أن بدأ الاضمحلال مع نهايـــة القـــرن الثانـــي عشر الهجري/ الثامن عشر ميلادي وهي فترة اضـــمحلال الأوقاف ([١]). وهذا يعني أن الدولة العثمانية حافظت على المنجزات التعليمية في عصر المماليك إلى حد ما.

٢- مــرحلة الضـــعف: وهـــي المرحلة التي تبدأ من نهاية المرحلة الأولـــى "مـــرحلة القـــوة" وارتبطت بشكل مباشر بزيادة انشغال الدولة العثمانـــية بحـــروب خارجـــية، وبـــدء إلحـــاق الهزائم العسكرية بها، وانحسارها، فمنذ مطلع القرن التاسع عشر وحتى منتصفه تقريباً والدولة العثمانـــية تعانـــي أشد المعاناة من الأزمات السياسية الطاحنة والتدهور الاقتصـــادي الكبـــير، لدرجـــة وصلت فيها إلى العجز عن سد حاجات الســـكان داخل إمبراطوريتها سواء أكان ذلك على المستوى التعليمي أو حـــتى المعيشـــي ([٢]). وهـــذا يؤكد تأثير العامل السياسي على الوضع الاقتصادي وبالتالي أدى إلى تراجع التعليم فترة نصف قرن على الأقل وبشكل ملحوظ، تم فيها إغلاق العديد من المدارس.

---

١ - كامل العسلي: الأوقاف والتعليم في بيت المقدس، مرجع سابق، ج٣، ص ٨٧٦

٢ - ســـليم المبـــيض: **رواد المعارف في غزة ١٨٥٠-١٩١٧م**، المؤتمر الدولي الثاني للدراســـات الفلســـطينية [التعلـــيم الفلســـطيني، تاريخاً - واقعاً - وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣-١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧م ص ٩٦

٣- مـرحلة الإصـلاح: وهـي المـرحلة الأخيرة في مراحل التعليم في فلسـطين قامـت بها الدولة العثمانية في إطار حركة إصلاح كبيرة في جميع المجـالات، ولقد كانت الحاجة العسكرية للدولة العثمانية هي التي دعت لهذا الإصـلاح الكبـير، ففي زمن السلطان محمود الثاني الذي قام (بإعادة تنظيم الجـيش ١٨٢٦م) أنشـأت السـلطنة عدداً من المدارس الحربية واستقدمت عسـكريين أجانب وخاصة عسكريين ألمان لتدريس جنودها، وتنظيم فرقها، كما أرسلت البعثات العسكرية إلى أوربا وتحديداً ألمانيا لهذا الغرض([1]).

وفـيما يـتعلق ببلادنا فلسطين، ففي زمن حملة إبراهيم باشا على الشام، أجريت إصـلاحات فـي حقـل التعليم في أثناء الحكم المصري لسوريا، ففي عام ١٨٣٤م وضـع إبراهـيم الـنظام الأساسـي للتعليم المدرسي الجديد وحسب أوامره أنشئت المـدارس الابتدائـية في جميع أنحاء سورية ([2])، وقبل أن تغادر القوات المصرية بـلاد الشـام أصـدر السلطان العثماني "خط شريف كلخانة ١٨٣٩م" الذي تضمن تطويـر نظـام التعليم"([3]) وبدأت تشتد مرحلة التنظيمات التي تخللها زيادة الاهتمام بـتطوير التعلـيم حيـث صدر في العام ١٨٤٥م قانون نادى بمبدأ التعليم المجاني والإجـباري، وفي العام ١٨٤٧م أُنشئت وزارة المعارف"([4])، هذا إلى جانب العديد مـن القوانين والتنظيمات والتي ستكون مجال البحث بالتفصيل، حيث ستغطي هذه الدراسة المراحل الثلاث السابقة ومميزات كل مرحلة وسلبياتها، للوقوف على واقع التعليم في فلسطين في العهد العثماني.

---

١ - أمـيل توما: تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث، عكا، دار الأسوار، ١٩٨٥، ص ٨٠

٢ - لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، مرجع سابق، ص ١٣٤

٣ - ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي - الاجتماعي، مرجع سابق، ص ١٨

٤ - لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، مرجع سابق، ص ١٥١

الفصل الرابع

واقع التعليم في فلسطين في العهد العثماني

(١٥١٦ - ١٩١٧م)

أولاً : التعليم في فلسطين عند مجيء العثمانيين

ثانياً : التعليم في فلسطين بعد التنظيمات وحركة الإصلاح

إن العهـــد العثماني فى فلسطين لم يستمر عقداً أو عقدين من الزمن يســـهل تتـــبعهما في بضع صفحات متواضعة، لكنه كان أربعة قرون شـــهدت العديد من التغيرات والتحولات ليس في فلسطين وحدها بل في العـــالم أجمع، ولكن عند الحديث عن التعليم في فلسطين ينبغي الإشارة إلـــى أهـــم الملامـــح التي ميزته ، وتتبع مراحله من حيث التطور أو الـــتدهور واســـتعراض مراحل القوة والضعف التي مر بها خلال هذه الفـــترة الطويلة والنقطة المهمة في هذا الموضوع أن العثمانيين عندما جـــاءوا إلـــى فلسطين كان التعليم فيها قويا في عهد المماليك، والسؤال الـــذي يطرح نفسه في هذا المقام ما هو دور العثمانيين تجاه التعليم في مرحلتهم الأولى؟ بمعنى هل حافظوا عليه قوياً أم تسببوا في إضعافه؟! أم قـــاموا بـــتطويره إلى الأفضل؟! ولهذا السبب قام الباحث بتقسيم هذا الفصل إلى قسمين: الأول عن التعليم في فلسطين عند مجيء العثمانيين، والثاني عن التعليم في عهد التنظيمات ودور حركة الإصلاح التعليمية. ومن الطبيعي أن يبدأ الحديث عن القسم الأول.

أولاً/ أحوال التعليم في فلسطين عند مجيء العثمانيين

عـــند مجيء العثمانيين إلى فلسطين كان هناك العديد من المؤسسات التعليمـــية التـــي كانـــت تقـــوم بدورها الكبير في تعليم الأبناء، وهذه المؤسســـات هي المساجد والكتاتيب والزوايا والرَبط والمدارس، وهي عـــبارة عـــن مؤسســـات دينية بالدرجة الأولى وسيعرض الباحث هذه المؤسسات بإيضاح:

١-المساجد: لقد كانت أول آيه نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾([١])، ومن هنا جاء التكليف الإلهي للأمة بالقراءة وطلب العلم، وعلى مدار التاريخ كان المسجد هو المكان الأول والأهم الذي يجتمع فيه المسلمون، وبالتالي من خلال المسجد مارسوا التعليم، ولا يخفى ما للمسجد من أهمية رفيعة، "لقد كان المسجد مركز إشعاع روحي وعلمي وأخلاقي وتشريعي فيه تؤدى الصلوات، وتعقد الندوات، وتلقى المواعظ، ويدرس الفقه، والتشريع الإسلامي، ومن هنا كان أول شئ عمله الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة هو تأسيس مسجده الأول الذي كان نقطة الارتكاز للدعوة الإسلامية، ولقد عرف المسلمون مكانة المسجد ورسالته الخطيرة في حياة الأمة الروحية والعقلية والعملية فأنزلوه في نفوسهم منزلة الإكبار والإعظام، وأقاموا المساجد على مثال فريد من العظمة والإجلال"([٢]).

وكما تعاملت جميع الدول الإسلامية مع المسجد حسب تلك المنزلة، كذلك فعلت الدولة العثمانية، وأعطته حقه في دوره المميز في بناء الحضارة الإسلامية ولا سيما أنها دولة الخلافة التي تحمل رسالة الإسلام القائمة على الرقي والتقدم والعدالة الإجتماعية، ولقد كانت تقام في المساجد "حلقات يدرس فيها العلماء، وكانت فيها حلقات خاصة يدرس فيها نوع خاص من الفقه والحديث والتفسير،ويداوم عليها الطلاب إلى أن يجازوا من صاحب الحلقة أي يُعطوا شهادة، وكانت هذه الإجازات معتبرة في دمشق والأزهر في مصر"([٣]).

١ - سورة العلق، [آيه رقم ١]

٢ - محمد شريف أحمد: "مؤسسة الأوقاف في العراق ودورها التاريخي المتعدد الأبعاد"، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي، بغداد، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٦٧

٣ - إحسان النمر: " تاريخ جبل نابلس والبلقاء"، ط٢، ج ٢ ، نابلس، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٥، ص٦٦

٢- الكتاتيب: الكُتّاب هو عبارة عن مدرسة صغيرة مكونة من غرفة واحدة فيها معلم، ومساعده ويكون المساعد غالباً تلميذاً أو أكثر من المتفوقين، والوضع يقضي بترتيب الصفوف في الكتاب بنسبة درجة تعليمهم، فيبدأ بحروف الهجاء ثم القرآن حسبما يقرأ ويكتب، فيعتبر كل فئة من الطلاب صفاً، وكانت الكتاتيب تفتح في مقامات الأولياء غالباً تخلصاً من الإجارة، وكان الطلاب فيها يجلسون علـــى حصـــير، ومـــع كل واحد منهم كيس يضع فيه دفاتره وأقلامه، إذ كانوا يعولـــون على خطوطهم إذ لم تكن لهم كتب مطبوعة وكان الطالب القادر مادياً يدفع جعلاً يومياً وهو رغيف وبيضة ودراهم يوم الخميس من كل أسبوع وكان الطالـــب فـــي الكتاب يتعلم الكتابة والحساب والقرآن، ومدة الكتاب تنتهي بختم القـــرآن([1])، وقد بنيت تلك الكتاتيب الخيرية التي قدمها علماء الإسلام المحليون وشيوخ القبائل والأمراء الإقطاعيون، وكثيراً ما كانت هذه المدارس●(الكتاتيب) تغلق بموت ذلك الأمير أو الإقطاعي الذي أوقف الأموال لاستمرار سير العمل فـــي تلـــك المدارس([2])، والكتاتيب في فلسطين كانت منتشرة وقد استمر التعليم الأولـــي فـــيها كما كان في عهد المماليك، ففي القدس ونابلس وصفد كان هناك العديـــد من الكتاتيب([3])، إلى جانب عشرات الكتاتيب التي وجدت في غزة في العهد العثماني([4]).

---

١ - المرجع السابق، ص ٦٥ ،٦٦

● يجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الباحثين يستخدم لفظ المدارس للتعبير عن الكتاتيب

٢ - عبد الله القطشان: "التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني ١٥١٦- ١٩٤٨م"، عمان، منشورات دار الكرمل، صامد، ١٩٨٧، ص١١

٣ - محســن يوســف: "مقدمــة في تاريخ التعليم في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي حتى الاحتلال البريطانـــي"، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الفلسطينية[التعليم الفلسطيني، تاريخاً - واقعاً - وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣-١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧م، ص١٧

٤ - عــثمان مصطفى الطباع: "إتحاف الأعزة في تاريخ غزة"، مج ٢ ، تحقيق ودراسة عبد اللطيف زكي أبو هاشم، غزة، مكتبة اليازجي، ١٩٩٩م، ص١٤٠

٣- الزوايا والربط والخوانق: وهذه المؤسسات الدينية الإسلامية تعد دور عبادة وعلم ، وهي ذات أدوار مختلفة، دينية، وعلمية، واجتماعية، ومــن الممكــن عدهــا حقاً مراكز علم فقد كانت تدرس الفقه والحديث والقراءات والتصوف، وما يتصل بها بشكل خاص(١)، وتعتبر مؤسسات صــوفية تعليمية فقد كان في القدس سبعة ربط وسبعة خوانق وأربعين زاويــة(٢). وذكر "محمد كرد علي"، ثلاثين زاوية، وثلاث تكايا وأربع ربــط فــي مديــنة الخلــيل(٣)، ولقد كانت جميعها مؤسسات تعليمية، ووصفت بأنها نوادي ذلك العهد، تجرى فيها أحاديث ومسامرات علمية، فنــية، صــوفية، دينية، واحتفالات وفقاً لما تقتضيه آداب وأعراف تلك الطــريقة وتعلم فيها، صناعات، علوم، آداب، ولغات كثيرة، ومن هذه الناحــية كانــت الربط والتكايا، والزوايا، مؤسسات تربوية وتعليمية لا مثيل لها بالنسبة لعصرها(٤).

ومــن الجديــر ذكره أن المعاهد التعليمية القائمة في مختلف أنحاء الدولــة العثمانــية، ومنها البلاد العربية حتى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كانت كلها من نوع المدارس التقليدية:

---

١ - عــبد الجلــيل عــبد المهــدي: "المؤسســات التعليمية والثقافية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي"، التربية العربية الإسلامية، المؤسسات والممارسات، مؤسسة آل البيت، عمان، المجمع، ج ٢ ، ١٩٨٩، ص٦٦٦

٢ - كــامل العسلي: "معاهد العلم في بيت المقدس"، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨١م، ص ٢٨٨

٣ - محمد كرد علي: "خطط الشام"، ط ٣ ، ج ٦ ، دمشق، مكتبة النوري، ١٩٨٣م، ص١٥١-١٥٢

٤ - يلماز أوزتونا: "تاريخ الدولة العثمانية"، ج ٢ ، ترجمة: عدنان محمود سليمان، استنابول، منشورات فيصل للتمويل، ١٩٨٨، ص٥٠٠

أولاً: معـــاهد تعليمية خاصة بالصغار، تهدف إلى تعليم مبادئ الدين والقرآن.

ثانـــياً: معاهد تعليمية خاصة بالكبار، تهدف إلى تعليم العلوم الدينية والشرعية.

وكـــان الصـــنف الأول يعرف "**بالكتّاب**"، أما الصنف الثاني منها فكان يعرف باسم "**المدرسة**" بوجه عام، وكان التدريس في هذه المعاهد التعليمية الصـــغيرة والكبيرة يسير وفق أساليب قديمة، لم تتغير وتتطور منذ قرون عديدة([1])، والدولة العثمانية قبل "التنظيمات" لم تعتبر التعليم وبناء المدارس من الخدمات التي يجب عليها تقديمها للسكان، وتركت للأفراد حرية إقامة الكتاتيـــب والمـــدارس الدينـــية التي اقتصر التعليم فيها على التعليم الديني لإعـــداد الأئمة والوعاظ والقضاة والمفتين، لكن نظرة الدولة للتعليم تغيرت بعـــد "التنظيمات" حيث أصدرت القوانين والأنظمة التي تنظم عملية التعليم وإنشاء المدارس([2]). وما يهمنا في هذا الإطار أن تعدد هذه المؤسسات يدل علـــى أن التعليم كان متوفراً وكان طابعه دينياً ، وإن كان يعتمد في غالبه على التلقين والحفظ والتكرار، ويدل أيضاً على أن الدولة العثمانية لم تقف ضـــد رغبة الأهالي والسكان في طريقة تعليمهم حيث أعطتهم الحرية في اختيار الطرق التي يرغبون، وهذا يعني أن نظام التعليم في تلك الفترة كان أشبه بنظام التعليم المفتوح.

---

١ - ساطع الحصري: "حولية الثقافة العربية"، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥١، ص٣

٢ - زهير غنايم عبد اللطيف: "التعليم في مدينة الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٥٠ -١٩٢٠م"، المؤتمـــر الدولي الثاني للدراسات الفلسطينية[التعليم الفلسطيني، تاريخاً – واقعاً – وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣-١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧م، ص١٦٨

نظام التعليم في المدارس التقليدية:

لقد سبقت الإشارة إلى أن التعليم في المساجد والكتاتيب والزوايا، كان تعليماً دينياً بالدرجة الأولى إلى جانب الحساب واللغة العربية وقد كانت "قراءة القرآن مع التجويد أول ما يُعنى به، ويهم أولياء الطلاب، فإذا أتم القــرآن عد خاتماً، ولهذا كان التجويد وتفهمه في مقدمة العلوم، ثم يأتي أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وتفسير القرآن عن الكتب الموجودة، وبهــذا كـــان الحاصل على هذه العلوم يعتبر نابغاً"(١)، وقد غلب على طـــلاب العلـــم الاتجاه إلى الفقه مع شئ من الحديث والنحو والعروض والبلاغة والقراءة ومن ثم لم تكن العلوم العقلية أو الدراسات الأدبية تجد إقبالاً إلا ممن أوتوا مواهب مميزة حافزة، تشذ بهم عن الدخول في قالب الاتجـــاه الدراسي العام (٢). وفيما يخص إدارة المدرسة فهناك أعضاء هيئة تدريسية في كل مدرسة كل يقوم بمهماته، وهناك مواعيد للحضور والغـــياب، وأوقـــات محددة للعطل الدراسية، وكان المدرس على رأس جهـــاز العامليـــن الكبـــير فـــي المدرسة، بالإضافة إلى نواب التدريس والمعيديـــن وأمـــناء المكتـــبة ونظار وكتبة وجباة، وبوابين، وفراشين، وكتاب غيبة (لتسجيل الحضور والغياب) ومؤدبي أيتام وشادين وأنواع كثـــيرة أخـــرى من الوظائف كالسقاية والشعالة والكناسة وغيرها (٣)،

---

١ - إحسان النمر: "تاريخ نابلس والبلقاء"، مرجع سابق، ج٢، ص٦١

٢ - إحسان عباس: "فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين"، عمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م، ص١٢٩

٣ - كـــامل العســـلي: "مؤسســـة الأوقاف ومدارس بيت المقدس"، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي، بغداد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٠٣

وكان التلميذ في العهد العثماني يحترم المواعيد المدرسية احتراماً كبيراً ويقضـــي معظـــم النهار في المدرسة، ويحمل غذاءه معه أو يرسل إليه وربما يتناول ذلك في المدرسة حسب نظام الوقف فيها ([1])، وفيما يتعلق بإمكانـــيات المدارس وجاهزيتها العلمية فكانت متواضعة لدرجة أن كل مدرســـة كانت مزودة بمكتبة، تحوي المصادر التي يحتاج إليها طلاب العلم، هذا إلى جانب المكتبات الخاصة التي كان العلماء يحرصون على اقتـــنائها، لتسهيل الإفادة منها على أنفسهم وعلى طلابهم ([2])، وهذا يدل على أن هناك إدارة مدرسية منظمة، وبيئة تعليمية نظيفة، والتزاماً كاملاً من قبل الطلاب ورضا تاماً على أساليب التعليم، بمعنى أن المدارس في فلســطين في العهد العثماني قبل التنظيمات كانت على درجة عالية من الجاهــزية الأكاديمية والمادية والنفسية، وبالتالي فإن هذا يضمن تحقيق أهداف العملية التعليمية.

وبالنســبة لــتخرج الطالـــب وإجازته فإن الإجازات "لم تكن العامل الأساســي فـــي توظيف أصحابها حتى في المهن التدريسية ولم يعتمد أساســاً رئيساً لتحديد الدرجات الوظيفية والرواتب؛ لأنهم كانوا يهتمون بكفـــاءة الشـــخص الحقيقـــية بغض النظر عن عدد الإجازات التي كان يحملها، فالمدرس في المسجد على سبيل المثال كان ينجح في مهمته إذا تحلـــق الطلاب من حوله وأبدوا رغبة في التعليم عليه، أما إذا لم ينجح بجـــذب الطـــلاب إلـــيه فإن جميع الإجازات التي يحملها لن تشفع له،

---

١ – إحسان النمر: "تاريخ نابلس والبلقاء"، مرجع سابق، ج٢، ص ٩٨،٩٩.

٢ – إحسان عباس: "فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين"، مرجع سابق، ص١٢٩.

وسيضطر في النهاية إلى البحث عن وظيفة أخرى غير مهنة التدريس"([1])، وهذا يؤكد أن الطالب الخريج لا بد وأن يثبت جدارته على أرض الواقع في المجال الذي اختاره، وأن يقتحم ميدان التدريس بكل جداره وأن عطاءه هو الذي يثبت ذلك، وهذا يعتبر من أرقى أساليب التعيين في مجال التدريس.

لذلك فإن نظام التعليم هذا حافظ على تماسكه، ولعب الدور الرئيسي فيه أسلوبه في نقل المعرفة التلقينية الشفوية من الأستاذ إلى تلميذه، وكان العلماء يفاخرون بأسماء أساتذتهم الذين نالوا على أيديهم الإجازات في قواعد اللغة العربية والبلاغة والبيان والمنطق والحديث والفقه والتصوف، وفيما بعد كان أبناء العائلات الكبيرة الميسورة يرسلون أبناءهم إلى استانبول للاستزادة منها([2]).

تمويل التعليم في المرحلة الأولى من العهد العثماني

إذا كان هناك من سبب لاستمرار التعليم في العهد العثماني بقوته التي كانت أيام المماليك، فإن ذلك يرجع لنظام الوقف، لأن نظام الأوقاف كان العمود الفقري للمدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى كالمساجد والزوايا والربط والخوانق والمكتبات، كما كان العمود الفقري لمؤسسات الضمان الاجتماعي والمؤسسات الصحية كلها، ولقد تمثل دور الدولة هنا بالإشراف على الأوقاف ومراقبة تنفيذ شروط الوقفيات، وصيانة العقارات الموقوفة،

---

١ - محسن يوسف: "مقدمة في تاريخ التعليم في فلسطين"، مرجع سابق، ص٣١،٣٠.

٢ - عبد الغني عماد: "السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر"، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر، ١٩٩٣م، ص ١٨٢، ١٨٣.

وتعيين الأكفاء لإدارتها، ومنع سوء الإدارة واختلاس أموال الوقف أو التلاعب فيها([1])، ولم يقتصر دور العثمانيين على دعم الأوقاف والمحافظة عليها، بل أضافوا إلى الأوقاف الكثيرة التي وجدوها قائمة بفلسطين من قبل أوقافاً جديدة، وأنشأوا منشآت خيرية تستدعي ربطها بأوقاف تكفل استمرارها([2])، فعلى سبيل المثال كانت أرض الأوقاف الزراعية تشكل مساحة واسعة من مجموع أراضي الدولة الزراعية، قد تقارب الثلث، وكانت هذه منحاً من السلطات أو الأفراد، وكان بعض المال مخصصاً للمساجد (أوقاف المساجد) وأوقاف لأبواب الخير للإنفاق على إنشاء المدارس والمكتبات والمستشفيات والمرتبات([3]).

وبناءً على ما تقدم من دور مهم وتأثير بالغ للأوقاف على العملية التعليمية فإن المدارس كانت تزدهر بمقدار ازدهار العقارات الموقوفة عليها والعكس صحيح، غير أن مؤسسة الوقف لم تكن مسئولة عن تدبير الأموال فحسب، بل إنها كانت مسئولة عن التشريعات التي تنهض بالتعليم في المدارس كما كانت تدل عليه الحجج الوقفية([4])، وهذه الحجج شرعية لها أركان أربعة هي الواقف، والموقوف، والموقوف عليه، والصيغة التي يؤدى بها الوقف، وكانت تحتوي على **العناصر التالية**:

أولاً: مقدمة يذكر فيها فضل الوقف وثواب الواقفين ويحدد فيها اسم الواقف والدافع إلى الوقف.

١- كامل العسلي: "مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس"، مرجع سابق، ص٩٤.

٢- إحسان عباس: "فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين"، مرجع سابق، ص١١١.

٣- علي سلطان: "تاريخ الدولة العثمانية"، ص

٤- كامل العسلي: "مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس"، مرجع سابق، ص٩٦.

ثانياً: ذكر العقارات الموقوفة على المدرسة وذكر مواقعها وحدودها وأنواعها وتفاصيل دقيقة عن مشتملاتها.

ثالـــثاً: تفاصيل مختلفة عن المدرسة وجهازها التعليمي: المدرس أو الشـــيخ وســـائر العامليـــن فـــيها، والشروط التي ينبغي أن تتوفر فيهم وواجـــباتهم وطلبة المدرسة (الفقهاء) وعددهم والشروط التي يجب أن تـــتوافر فـــيهم والواجـــبات التي عليهم القيام بها، وفي سياق ذلك تحدد الوقفية بشكل ما مواضيع الدرس ومناهج الدراسة.

رابعاً: مرتبات العاملين في المدرسة وكيفية دفعها والعملة التي تدفع بهـــا والمؤن التي تصرف كجزء من المرتب أو في مناسبات الأعياد، وكذلك مخصصات الطلبة من دراهم وخبز.

خامســـاً: تعيين ناظر على الوقف وبيان واجباته في العناية بالوقف وصيانته واستغلاله والإنفاق من ريعه على المدرسة والعاملين فيها([1]).

وفيما يتعلق بالعقارات الموقوفة على المدارس، فقد انتشرت العقارات مـــثلا على مدارس القدس في جميع أنحاء فلسطين، وخاصة في مناطق القـــدس والخليل وغزة والرملة ونابلس...إلخ، وكانت هناك أوقاف في خارج فلسطين من ديار الشام كطرابلس وصيدا، ومنها ما كان في بلاد الروم وغيرها، وكانت الأوقاف على أنواع عدة منها على سبيل المثال قـــرى كاملة أو أجزاء من قرى، وفي فلسطين مئات القرى التي وقفها الملـــوك والأمراء والسلاطين على المدارس وغيرها من معاهد العلم، وكذلك كانت هناك عشرات المزارع التابعة للأوقاف كما كان هناك دور

---

١ - المرجع السابق، ص٩٦.

وحمامـــات وخانات وطواحين وبساتين ومصابن ومعاصر وأفران([1]). وتعقيـبـاً علـــى ما سبق يتضح أن الأوقاف بنصوصها وتنظيماتها كانت مسئولة عن كل كبيرة وصغيرة في التعليم بما فيها وضع فلسفة التعليم، وهذا يؤكد أن النجاح الذي تحقق في مجال التعليم وتواصله على خطى التعليم في العهد المملوكي كان سببه دعم الأوقاف، والعكس كذلك فعندما انهـــارت الأوقـــاف في القرن الثامن عشر كانت النتيجة الحتمية انهيار وضعف التعليم وإغلاق العديد من المدارس.

ثانياً/ التعليم في فلسطين في ظل حركة الإصلاح "التنظيمات وما بعدها"

١. قوانين الإصلاح:

لقـــد سبقت الإشارة إلى أن انهيار الأوقاف الإسلامية كان في نهاية القرن الثامن عشر، ومن أعراض ذلك الانهيار "سوء الإدارة والتلاعب بالإيـــرادات الوقفية واستيلاء المتولين والنظار على كثير من العقارات الموقوفـــة وطمـــس معالم الوقف، وإهمال صيانة العقارات الوقفية"([2])، ولقد استمر هذا الانهيار من نهاية القرن الثامن عشر حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر عندما بدأت رياح التغيير وملامح الإصلاح العام

١- كامل العسلي: "مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس"، مرجع سابق، ص٩٦.

٢ - كـــامل العســـلي: "الأوقاف في بيت المقدس من أواخر القرن السادس حتى أوائل القرن الثاني عشر للهجـــرة"، التربـــية العربية الإسلامية، ج ٣، المؤسسات والممارسات، مؤسسة آل البيت، عمان، المجمع، ١٩٨٩م، ص ١٤.

تهـــب في الدولة العثمانية، والتي كان من بينها إصلاح التعليم، ولم يكن الإصـــلاح مقتصراً على العاصمة العثمانية بل امتد إلى جميع الولايات العثمانـــية بدرجـــات مـــتفاوتة، وكان حظ المناطق القريبة من مراكز الولايـــات أكثر من المناطق البعيدة، وكان تركيز الدولة في محاولاتها لإصـــلاح التعليم، هو إنشاء المدارس العسكرية من أجل تزويد الجيش العثمانـــي بالكفـــاءات الفنـــية اللازمـــة. وبعد ذلك قامت الدولة بإنشاء المدارس المدنية، التي انتشرت في معظم أنحاء الدولة العثمانية([1]).

وهـــذا يدل على أن الهدف الرئيسي من هذا الإصلاح كان عسكرياً بحتاً نتج عن شعور الدولة العثمانية بالحاجة إلى تطوير بنيتها العسكرية ونظمهـــا الحربـــية، ويؤكد أيضاً أثر الهزائم العسكرية التي منيت بها الدولة العثمانية على يد الدول الأوروبية في نهاية القرن الثامن عشر.

ولقـــد بدأت جهود الدولة العثمانية لذلك الإصلاح منذ عهد السلطان محمـــود الثاني (١٨٠٨م-١٨٣٩م) الذي تمكن من إدخال مجموعة من الإصـــلاحات والـــتجديدات في الجيش العثماني بعد أن تمكن من إبادة **"الإنكشـــارية"**● فـــي حزيران ١٨٢٦م، وانشأ المدارس الثانوية وجعل

١- محمـــد حسين العمايرة: "التربية والتعليم في الأردن منذ العهد العثماني حتى عام ١٩٩٧"، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ١٩٩٩م، ص١٦.

● **الانكشارية**: هـــو جـــيش في الدولة العثمانية، وهو نمط من الحرس الخاص المكلف بحماية كبار رؤوس الدولة، وقد تألف في معظمه من الاحتياط البشري المتوافر في رعاية الدولـــة العثمانـــية، وقد جرى أول الأمر اختياره من بين الغلمان حيث يصار إلى تدريبهم وبقســـوة، عســـكرياً ودينياً ليكونوا فيما بعد أصحاب الشأن ضمن الجيش العثماني[كلوس كريز وآخرون: معجم العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص٩٩].

التعليم إلزامياً، وأنشأ نظاماً جديداً للبريد وآخر للأمن الوطني (الدرك)([1])، وتوجهت أنظار الدولة العثمانية صوب أوروبا، خاصة فرنسا في بداية الإصلاح للاستفادة من أسلوبها العسكري، وكان الأخذ بالأسلوب الأوروبي العسكري من قبل الدول العثمانية قراراً تاريخياً، وكان ذلك يعني قبول النظام التعليمي الموافق والأسلوب العسكري الجديد، فأنشأت الكليات والجامعات العسكرية لتخريج ما يحتاج إليه الجيش من اختصاصيين مثل المهندسين والأطباء والصيادلة بل وسعى الجيش إلى إنشاء المدارس الثانوية العسكرية ومدارس رشيدية عسكرية، لإعداد الطلاب لدخول المدارس الثانوية العسكرية وكانت أغلبية هذه الجامعات والمدارس داخلية ومجانية([2])، ولقد افتتح العثمانيون تلك المدارس لأنهم "اكتشفوا أنه يجب تعليم الرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، والجغرافيا، وبعض الموضوعات الأخرى قبل الدخول في التعليم الحربي"([3]). أما بالنسبة لفلسطين فقد بدأت ملامح التغيير منذ حملة إبراهيم باشا على بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠م) التي سبق ذكرها، حيث أدى التسامح الديني الذي طبقه إبراهيم باشا إلى إقامة فكرة المساواة بين الطوائف، وصعب بعد ذلك العودة إلى التمييز الطائفي

١- أحمد شقيرات: "تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن ١٨٦٤-١٩١٨م"، الأردن، آلاء للطباعة والتصميم، ١٩٩٢م، ص٤٠، ٤١.

٢- ساطع الحصري: "البلاد العربية والدولة العثمانية"، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٠م، ص ٧٢،٧٥.

٣ - عبد الله القطشان: "التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني، مرجع سابق، ص ١٢.

وكــان مــن تشــجيع إبراهيم باشا للإرساليات● التبشيرية أن افتتحت المدارس المسيحية بكثرة، وبدأ التعليم بالانتشار في بلاد الشام(١)، وفي هــذا الوقــت بــالذات أرادت الدولة العثمانية أن تستعيد هيبتها وتدعم مكانــتها التي بدأت تضعف خاصة وأن حملة إبراهيم باشا كانت تحدياً لها وتمرداً عليها فهي ضمن سلسلة من توسعات محمد علي على حساب الدولــة العثمانــية أشرنا إليها في الأحوال السياسية، لذلك بدأت الدولة بإصدار "التنظيمات" لإصلاح وتنظيم الشئون الداخلية.

قامت الدولة العثمانية بإصدار منشور الكلخانة ١٨٣٩م الذي أراد أن يؤمــن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، ثم قرر هذا المنشور

● **الإرساليات الأجنبية:** إن مصــطلح (إرسالية) مأخوذ في الأصل من القاموس الديني (المسيحي خاصة) ويعني قيام طائفة دينية بإرسال ممثلين أو مندوبين عنها لنشر معتقداته وإنشــاء مؤسســاتهم بين أناس يجهلون في الأساس حقيقة مقاصدهم، وكان "الرسول" في الجـيل المسيحي الأول أحد الذين أحاطوا بالسيد المسيح وعاونوه، وكان "مرسلاً" من قبله للتبشير سواء بين اليهود أو بين "الوثنيين" (اذهبوا وبشروا بين جميع الأمم)، أما مصطلح "إرســاليات أجنبية" فيدل على البعثات التبشيرية والتعليمية التي انطلقت من أوروبا منذ ما قــبل الاكتشافات البحرية باتجاه مناطق آسيا وأفريقيا، ثم تزايدت بعد الاكتشافات وشملت القــارة الأميركــية، وقويت ونالت تشجيع دولها الأوربية فقامت بدور أساسي في التمهيد لــنزول الأساطيل الاستعمارية في تلك المناطق، ثم في السعي إلى إبقاء الاستعمار أطول مــدة ممكــنة، ويمكــن تقسيم الإرساليات الأجنبية المسيحية إلى ثلاث أنواع، كاثوليكية، بروتســتانتية، أرثوذكســية، بالإضــافة إلى الإرساليات العلمانية التي عرفها مطلع القرن العشرين والتي هي فرنسية بمعظمها [عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، ج ١، مرجع سابق، ص١٤٢].

١ - عبد الكريم رافق: "العرب والعثمانيون [١٥١٦-١٩١٦م]"، دمشق، مكتبة أطلس، ١٩٧٤م، ص٤١٠، ٤١١.

تثبيت الضرائب والتكاليف المالية، وتنظيم توزيعها على المكلفين، وجبايتها منهم، وأرادت الدولة أن تضع حداً لتعسف المتسلمين أو الملتزمين، فكان هذا "الخط الهمايوني" بمثابة منشور تمهيدي تضمن وعداً بتنظيم شئون الدولة، ومن ضمن الأشياء التي نص عليها، حرية العبادة، ومساواة الرعية أمام القانون، وتحديث التعليم، وإلغاء الالتزام([1]) والحقيقة أن الدولة العثمانية بذلك قد فتحت الباب أمام التدخل الأجنبي في ولاياتها وبخاصة في فلسطين، بمعنى أن هذا المنشور كان في صالح الأجانب أكثر من العثمانيين "ولما عادت الدولة العثمانية لحكم بلاد الشام من جديد في عام ١٨٤٠م، وجدت في الحكم المصري مثلاً يحتذى، وتجربة ناجحة في الحكم المركزي، فأخذت بتطبيق المركزية في التعليم والقضاء والمواصلات والصحة العامة"([2]).

وفي عام ١٨٤٥م عينت السلطات العثمانية لجنة خاصة للنظر في موضوع التعليم لوضع توصيات للنهوض به للمستوى اللائق، وكنتيجة لعمل هذه اللجنة صدر قانون في السنة نفسها ينص على جعل التعليم إلزامياً ومجانياً([3]) وفي العام ١٨٤٦م تم تشكيل ديوان المعارف، وفي العام ١٨٤٧م عُينت أول لجنة للمعارف لمراقبة المدارس في البلاد العثمانية([4])، وإلى جانب اهتمام الدولة العثمانية بإدارة المعارف والإشراف عليها شكلت الدولة

---

١ - ساطع الحصري: "البلاد العربية والدولة العثمانية"، مرجع سابق ص٨٨.

٢ - عبد العزيز عوض: "مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث"، مرجع سابق، ص١٥.

٣ - محسن يوسف: "مقدمة في تاريخ التعليم في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي حتى الاحتلال البريطاني"، مرجع سابق، ص٣٥،٣٤.

٤ - عبد الرحمن ياغي: "حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة"، ط ٢ ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١م، ص٣٠.

فـــي كـــل لواء لجنة مكونة من المتصرف رئيساً، ومن رئيس البلدية ومأمور الأوقـــاف ومفتش المعارف، أعضاء طبيعيين ومن عضوين منتخبين، وكانت تـــنظر في جباية ضريبة باسم المعارف وبرواتب المعلمين، وتعيين المعلمين الابتدائيين، وكان للمدير سلطة مفتش وللجنة مدير معارف، وكان مركز مدير المعارف في عاصمة الولاية([1]).

وكان هذا النظام سارياً على جميع ولايات الدولة العثمانية، غير أن الدولة أعطت اهتماماً خاصاً بفلسطين من أجل إصلاح التعليم فيها ؛ لأن ذلك يوطد دعـــائم حكمهـــا، الـــذي يشارك فيه أبناء العائلات الكبيرة ولاسيما المتعلمون وأصحاب المناصب الهامة، فكلفت الدولة العثمانية مجلس المعارف في القدس لبحـــث الســـبل الكفـــيلة لتطوير التعليم، وخلال مناقشات هذا المجلس طالب بعـــض الأعضـــاء بضـــرورة إعـــداد دورات تدريبية لتأهيل المعلمين، على أساليب التعليم الحديثة([2]).

وقـــد وجدت هذه المطالب آذاناً مصغية من قبل الدولة العثمانية التي أكدت أنها بالفعل تنوي إصلاح التعليم، ففي العام ١٨٤٨م افتتحت دار المعلمين العالية فـــي الأستانة لإعداد معلمين للمدارس الثانوية وفتحت أيضاً في المراكز المهمة مـــدارس عسكرية لإعداد الطلاب لدخول المكتب الحربي في الأستانة([3]) ولكن فـــي العـــام ١٨٥٦م صـــدرت أيضاً مجموعة من القوانين عرفت باسم "الخط الهمايونـــي" وقـــد نصـــت هذه القوانين على فتح جميع المدارس الحكومية أمام رعايا الدولة، وسمحت للسكان والطوائف المختلفة في الدولة أن تنشئ المدارس

---

١ - إحسان النمر: "تاريخ نابلس والبلقاء"، مرجع سابق، ج ٢ ، ص١٠٨.

٢ - ب، م ، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها، (١٩١٤-١٩٢٠م)، ص١١٧.

٣ - عبد الرحمن ياغي: "حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة"، مرجع سابق، ص٣٠.

التي تراها مناسبة لرعاياها(1)، وهذا يعني أن الدولة العثمانية ساوت بين جميع رعايا الدولة دون تمييز بسبب العقيدة أو الجنس، وفي الواقع أن الخط الهمايوني كان استكمالاً للامتيازات التي حصل عليها الأجانب في التنظيم السابق "شريف كلخانة" هذا إلى جانب سلسلة كبيرة من الخطوات التي قامت بها الدولة العثمانية لتدعيم عملية إصلاح التعليم وهي كالتالي:

- في سنة ١٨٥٧م تأسست وزارة المعارف العثمانية التي تعرف باسم معارف عمومي نظارتي.
- وفي سنة ١٨٦١ افتتحت أول مدرسة للبنات في استانبول عاصمة الإمبراطورية.
- وفي سنة ١٨٦٨ تأسست في استانبول كلية الطب والمعهد الابتدائي للمعلمين.
- وفي سنة ١٨٧٠ تأسس معهد المعلمات لتدريب معلمات المدارس الثانوية.
- وفي سنة ١٨٧٦ تأسس معهد الإدارة في استانبول بهدف تخريج الموظفين العثمانيين حكام الأقضية.
- وفي سنة ١٨٧٩ أنشئ معهد الحقوق.
- وفي سنة ١٨٩٨م أسست الجامعة العثمانية (دار الفنون) في استانبول وتتألف من كلية العلوم الدينية والرياضيات والعلوم الطبيعية والإنسانيات(2).

---

١ – محسن يوسف: "مقدمة في تاريخ التعليم في فلسطين"، مرجع سابق، ص٣٥.

٢ – مصطفى مراد الدباغ: "بلادنا فلسطين"، ج ٢، ق٢، فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١م، ص ٥١،٥٣.

وبالـــرغم مـــن هذه المؤسسات التعليمية المهمة ودورها الفاعل في إصـــلاح التعلـــيم في ولايات الدولة العثمانية فإن ذلك لم يكن كافياً أمام تطور أنظمة التعليم في أوروبا، فلا بد من تحديد سياسة تعليمية واضحة الأهداف والمعالم، وهذا ما دفع الدولة إلى إصدار بعض القوانين لتنظيم التعلـــيم، كان أهمها **قانون ١٨٦٩م** الذي كان له دور بارز في عملية تنظيم التعليم والذي تأثرت به فلسطين مباشرة حيث كان من أهم **بنوده:**

١- اعتـــبار اللغـــة التركـــية اللغـــة الأساسية في جميع المدارس الحكومية.

٢- اعتـــبار اللغـــة الفرنسية لغة إلزامية تدرس في جميع المدارس الرشدية• (الابتدائية العليا).

٣- إلزامـــية التعلـــيم في المرحلة الابتدائية (إلا أنه اشترط أن يدفع أهـــل القـــرية نفقـــات إنشاء المدرسة وتعميرها ومخصصات المعلمين فيها).

• **الرشدية:** اســم يطلق على إحدى مراحل التعليم العثمانية والتي تشتمل حسب تسلسلها المرحلي على الابتدائي، والرشدي، والإعدادي، والعالي، ومدة الدراسة في الرشدية ثلاث ســنوات، ويعود تاريخ إنشاء أول مدرسة في الدولة العثمانية إلى عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م وكـــان ذلـــك في إسطنبول [أمين مسعود أبو بكر: قضاء الخليل ١٨٦٤- ١٩١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، قسم التاريخ، ١٩٩٠م، ص].

وهـــناك مدارس تعرف بالرشيدية نسبة إلى أحمد رشيد بك متصرف القدس في زمن الســلطان عبد الحميد الثاني ١٩٠٦ م [عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مرجع سابق، ص ص٣٠٧-٣٠٨].

٤- إعفاء التلاميذ من دفع الرسوم في المدارس الخاصة حتى نهاية المرحلة الدراسية (الثانوية الدنيا ومرحلة المكتب الإعدادي ومدتها عشر سنوات).

٥- لمجلس التعليم في الولايات صلاحية التأكد من كفاءات معلمي المدارس[١].

وبناءً على هذا القانون كان مطلوباً من المدارس الخاصة تقديم خطة بالموضوعات التي تعلمها، وكان عليها الحصول على موافقة مجلس التعليم في الولاية قبل أن تقررها على التلاميذ، وتخضع المدارس الخاصة لرقابة سلطات التعليم الرسمية العثمانية التي خُولت صلاحية التأكد من أن تلك المدارس لا تعمل على نشر التعاليم السياسية والمعنوية التي تؤدي الى انتشار الفوضى في البلاد، وبالرغم من ذلك فإن السلطات الرسمية كانت عاجزة تماماً عن تطبيق المواد التي تضمنها قانون التعليم التركي بشأن المدارس الخاصة التابعة للطوائف العثمانية غير الإسلامية (يهودية أو مسيحية) أو تلك المدارس التي تديرها المؤسسات الأجنبية بمختلف أشكالها[٢].

وهنا تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أنه من خلال قانون ١٨٦٩ م يتضح لنا أن اللغة العربية غيبت تماماً عندما اعتبرت اللغة التركية اللغة الأساسية في جميع المدارس الحكومية، واللغة الفرنسية لغة إلزامية

---

١ – كوثر الأمير: "واقع التعليم في مدارس فلسطين"، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الفلسطينية[التعليم الفلسطيني، تاريخاً – واقعاً – وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣-١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧م، ص٤٦.

٢ – عبد الله القطشان: "التعليم العربي الحكومي ابان الحكم التركي في فلسطين"، مرجع سابق، ص١٥.

وبذلك وقع ظلم على التعليم العربي، سبب في إحجام بعض المواطنين عن التعليم في المدارس الحكومية، واستمر هذا الوضع حتى مجيء حكومة الاتحاديين التي اغتصبت الحكم من السلطان عبد الحميد الثاني ١٩٠٩م، فازداد الوضع سوءً وإجحافاً باللغة العربية في ظل حكومة الاتحاديين التي مارست سياسة التتريك.

ولكن مطالبة الشعوب والأحزاب العربية بإعادة اللغة العربية كلغة رسمية في المدارس تواصلت واستمرت حتى عقد المؤتمر العربي الأول في باريس ١٩١٣م، الذي توصلت الدولة العثمانية من خلاله إلى تفاهم مع أعضاء المؤتمر وصدر قانون ينص على ما يلي:

١- أصبح التعليم الابتدائي إلزامياً ومجانياً في جميع الولايات العثمانية.

٢- تقوية سلطة وزارة التعليم في العاصمة، وسلطة الموظفين الحكوميين والخصوصيين على المدارس الابتدائية الأولية التي كانت تشرف عليها في السابق الجمعيات المحلية في القرى.

٣- حق جميع المواطنين العثمانيين في الالتحاق بالمدارس العمومية والخصوصية دون تمييز.

٤- أصبح من حق مختلف الطوائف إقامة المؤسسات التعليمية الخاصة بها وتدريس اللغة التي تناسبها، وقد أدت حركة الإصلاح الجديدة إلى:

I. تطوير التعليم في المدارس الحكومية.

II. اندماج المدارس الرشدية وأصبحت (٣ + ٤ سنوات).

III. ظهور المدارس السلطانية التي يتكون سلمها التعليمي من ١٢ سنة (٧+٣+٢).

IV. أدخلت بعض التحسينات على دور المعلمين.

V. أصبح السلم التعليمي يتكون من ١٢ سنة بدلاً من ١٠ أو ١١ سنة(١).

هذا بالإضافة إلى بعض التغييرات الجوهرية التي حصلت في الدولة العثمانية في ظل الاتحاديين منها:

١- أنشئت كلية الإلهيات التابعة إلى دار الفنون (أي الجامعة).

٢- شرع في تنظيم وإصلاح المدارس الدينية القديمة (الشرعية) إصلاحاً جوهرياً، وأنشئت من المعاهد الدينية الموجودة في العاصمة (مدرسة دينية عالية) سميت باسم مدرسة (دار الخلافة العلية).

٣- أنشئت عدة دور للأيتام لإيواء وتعليم أولاد شهداء الحروب الأخيرة بوجه خاص.

٤- زيدت العناية بمدارس البنات وفتحت أبواب الجامعة أمام النساء(٢).

وهكذا بعد عرض تلك القوانين والتنظيمات والإصلاحات الخاصة بالتعليم منها ما كان يتعلق بفلسطين بشكل مباشر، ومنها ما كان يتعلق بها بشكل غير مباشر، لأن فلسطين في النهاية جزء من الدولة العثمانية،

١- كوثر الأمير: "واقع التعليم في مدارس فلسطين"، مرجع سابق، ص٤٧.

٢ - ساطع الحصري: "حولية الثقافة العربية"، مرجع سابق، ص٧،٨.

وقـد كـان واضـحاً أثر تلك القوانين والتنظيمات في بناء العديد من المدارس وإيجاد نظام تعليم عصري شمل الجامعات والكليات العسكرية والمـدارس والمعاهد، وبالرغم من وجود بعض السلبيات لتلك القوانين، فإنها أحدثت نقلة تعليمية للأمام.

ولكـن آراء المؤرخين اختلفت في تلك التنظيمات، فالدكتور "عثمان أوزتـرك" الأستاذ السابق للحضارة العثمانية في جامعة (مرة) استانبول يـنظر إلى مرحلة التنظيمات على أنها "عبارة عن حركة الاستغراب، حيـث قامت الدولة العثمانية باستيراد الأفكار ثم المؤسسات من الغرب وعلـى الأخـص من فرنسا، وحاولت وضعها في قالب عثماني للدولة "([1])، ويعتـبر أخذ الدولة العثمانية عن نظام التعليم الفرنسي، واتخاذها اللغـة الفرنسـية لغـة ثانية بعد اللغة التركية حسب قانون ١٨٦٩م قد وضـعها أمـام "مفارقة واضحة من حيث فلسفة التعليم، لأن التعليم في الدولـة العثمانـية كـان يقوم على الاجتهاد الفكري القائم على التكرار والحفـظ غيـباً، فـي حين أن فلسفة التعليم الفرنسي كانت تعتمد على التدريـب العقلي القائم على الفهم والاستيعاب"([2]). ومع ذلك فإن أحداث الحـرب العالمـية الأولى قطعت الطريق على سياسة الدولة في تنفيذ بـرنامجها الإصلاحي وأغلقت العديد من المدارس، وتحول بعضها إلى بـيوت، أو مستشفيات، أو مراكز للجيش وامتنع الكثير من الطلاب عن الانتظام في مدارسهم لسوء الأحوال السياسية والاقتصادية، وعلى الرغم

---

١ – أحمد شقيرات: تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن"، مرجع سابق، ص٣٩.

٢ – ب. م، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها، مرجع سابق، ص١١٦.

من ذلك لم تثنه محاولات الإصلاح حتى في ظل تلك الظروف الصعبة، فقد أسست الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى المدرسة السلطانية في القدس لإعداد المعلمين لتولي مهنة التدريس([1])، وهذا يدل على أن الدولة العثمانية كانت لديها رغبة قوية في الإصلاح، ولكن هزيمتها في الحرب العالمية الأولى لم توقف إصلاحاتها فقط بل أنهت أيضاً وجودها تماماً من بلادنا.

٣. السلم التعليمي:

إن القوانين والتنظيمات السابقة كانت تحمل في طياتها العديد من الإيجابيات الخاصة بالتعليم في بلادنا، فقد كانت بلاد الشام على رأس ولايات الدولة العثمانية في مستوى التعليم وقد قامت الحكومة العثمانية برعاية المؤسسات التربوية والدينية تاركة العنصر المحلي يحتل المناصب في الإدارة والقضاء، دون أن تبخل في الوقت نفسه في تقديم دعمها إلى العلماء المسلمين([2])، وعندما وضعت الدولة العثمانية سياسة تعليمية واضحة ذات أهداف محددة، أصدرت العديد من القوانين من أجل تنظيم ذلك ومتابعة تطوير التعليم.

ففي العام ١٨٥٧م أنشئت وزارة للتربية والتعليم في الإمبراطورية العثمانية دعيت (معارف عمومية نظارتي)، وتألف السلم التعليمي من **ثلاث مراحل:**

---

١ - المرجع السابق، ص١١٧، عن/ Tibawi: Arab education In Mandatory Palestine P.19-20.

٢ - عبد الرءوف سنو: "النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية ١٨٧٧-١٨٨١م [بلاد الشام- الحجاز- كردستان- ألبانيا]"، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص٣١.

١. **المرحلة الابتدائية:** ومدتها ثلاث سنوات في المدن وأربع في القرى ومراكز النواحي (المديريات) وأحياناً كان يضاف إليها في المدن صف لصغار السن يعرف باسم "المخرج" وهو ما كان يعرف باسم التمهيدي في أوائل العهد البريطاني المشؤوم.

٢. **المرحلة الرشدية:** وهي التي تلي المرحلة الابتدائية ومدتها ثلاث سنوات وتقام في مراكز الأقضية ويعود تاريخ تأسيسها إلى عام ١٨٤٧م.

٣. **المرحلة الإعدادية:** ومدتها أربع سنوات، والسنتان الأوليان منها تقام في مراكز لألوية المتصرفية (عكا- نابلس- القدس) مضافة إلى سني المرحلة الرشدية وتعرف مدارسها بـ (المدارس الإعدادية ذات السنوات الخمس) وأما السنتان الأخريان فكانت تقام في مراكز الولايات (دمشق- بيروت) مضافة إلى سني الرشدية والإعدادية الدنيا، وتسمى الإعدادية ذات السنوات الأربع وخريجوها يقبلون في جامعة استانبول([1])، وعندما صدر نظام المعارف العمومية سنة ١٨٦٩م، قسّم المدارس إلى **نوعين:**

الأول: مدارس رسمية تشرف عليها الدولة وتديرها.

الثاني: مدارس خاصة يؤسسها الأفراد والطوائف الأخرى([2])، وهذا يعني أن الدولة حافظت على المدارس القديمة في إطار

---

١ - مصطفى الدباغ: "بلادنا فلسطين"، مرجع سابق، ج٢، ق٢، ص٥١،٥٣.

٢ - زهير غنايم عبد اللطيف: "التعليم في مدينة الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، مرجع سابق، ص١٣٦.

احـــترامها للقانون وإصدار رخص لتلك المدارس، ويؤكد أيضاً أن الدولة حافظت على مبدأ اللامركزية في التعليم حيث أعطت الأهالي والجمعــيات المخــتلفة الحــرية المطلقة في إنشاء ما يرغبون من مــدارس خاصة بعد صدور تنظيم الخط الهمايوني ١٨٥٦م، ولكن ذلــك حــدث بحيــث لا تــتعارض تلك المدارس مع سياسة الدولة التعليمية الجديدة.

وبناءً على قانون ١٨٦٩م قسمت الدراسة في المدارس إلى **خمس مراحل:**

١. **المرحلة الأولية:** نص نظام المعارف على وجود مكتب (مدرسة) واحدة في كل قرية، على أن يدفع أهل القرية نفقات إنشاء المدارس وتعمــيرها، ومخصصات المعلمين فيها، والتعليم فيها إلزامي ومدته أربع سنوات.

٢. **المدارس الرشدية:** نص نظام المعارف على وجود مكتب رشدي واحــد في كل بلد تجاوز عدد بيوته ٥٠٠ بيت، شريطة أن يكونوا مسلمين أو مسيحيين، أما إذا كان أهل البلد مختلفين فيجب أن يقدر عدد البيوت بألف بيت، ويتحمل صندوق إدارة المعارف نفقة إنشاء المدارس الرشدية.

٣. **المــدارس الإعدادية:** تؤسس في مراكز الأقضية والألوية التي يتجاوز عدد بيوتها ١٠٠٠ بيت، ويدفع صندوق إدارة المعارف في الولايــة جميع نفقات إنشاء هذه المدارس وهذه الدراسة فيها ثلاث سنوات.

٤. **المـــدارس السلطانية:** ويقبل فيها الطلاب الناجحون في امتحان الإعدادية، ولا توجد هذه المدارس إلا في مراكز الولايات.

٥. **المدارس العالية:** وتشمل دور المعلمين والمعلمات ودار الفنون في استانبول([1]).

وهذا السلم التعليمي تم العمل به منذ القانون ١٨٦٩م، لكن الحصري يشير إلى تغيير طرأ عليه، ففي العقد الأخير من القرن التاسع كانت قد كملت تشكيلات المدارس الملكية (المدنية غير العسكرية) حيث استقرت على الشكل التالي:

I. **مدارس ابتدائية:** مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

II. **مدارس رشدية:** مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.

III. **مدارس إعدادية:** على نوعين:

الـــنوع الأول: إعداديـــات الألوية ومدة الدراسة فيها خمس سنوات، الثلاث الأولى منها رشدية.

النـــوع الثانـــي: إعداديات الولايات ومدة الدراسة فيها أربع سنوات الثلاث الأولى منها رشدية([2]).

ويـــرى الباحـــث أن التغيير الذي أشار إليه الحصري لا يختلف عما أشـــار إلـــيه الدباغ بالنسبة للسلم التعليمي، فالتعليم الابتدائي كان ثلاث ســـنوات فعـــلاً في المدن أما في القرى فقد كان أربع سنوات، أما باقي

---

١ – زهير غنايم عبد اللطيف: "التعليم في مدينة الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، مرجع سابق، ص١٣٧،١٣٦ .

٢ – ساطع الحصري: "حولية الثقافة العربية"، مرجع سابق، ص٦، ٧.

المراحل فقد اختلفت في التسمية فقط حيث إن الحصري يقصد بإعدادية الألوية، أن يدرس الطالب سنتين فوق المدرسة الرشدية التي مدتها ثلاث سنوات وهذا نفسه "المدارس السلطانية" لكن إذا أراد الطالب أن يدرس في إعدادية الولاية فيجب عليه أن يدرس بعد الرشدية أربع سنوات وهذا أيضاً يقصد به"المدارس العالية".

وبذلك يصبح عدد سنوات الدراسة ١٢ سنة كالتالي:

٣ ابتدائي + ٣ رشدي + ٢ إعدادي لوائي + ٤ إعدادي ولاية = ١٢ سنة.

أمـــا فـــيما يتعلق بالمدارس العسكرية العليا فقد أنشئت في عاصمة الدولـــة وحدها وأما الإعداديات والرشديات العسكرية فقد وزعت على الولايات بأجمعها، فكان الطلاب يتمون الدراسة الرشدية والإعدادية في مراكز الولاية التي ينتسبون إليها، وبعد ذلك ينتقلون إلى عاصمة الدولة لإتمام دراساتهم العسكرية العالية في المعاهد القائمة فيها، وأن الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية كانت قد أخذت نصيباً لا بأس به من هذه المـــدارس العسكرية- الرشدية- الإعدادية، فاستطاعت أن ترسل عدداً غـــير قلـــيل من أبنائها إلى عاصمة السلطنة لإتمام دراساتهم العسكرية فيها(١).

---

١ - ساطع الحصري: "حولية الثقافة العربية"، مرجع سابق، ص٦.

٣- المناهج الدراسية:

اختلفت المواد الدراسية التي كان يدرسها الطلاب في مدارسهم في مرحلة القوة في بداية العهد العثماني عن المواد الدراسية في مرحلة تطور التعليم بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، فالتعليم في المرحلة الأولى كان دينياً بحتاً، واقتصرت المواد الدراسية على علوم اللغة والقرآن والحديث ومبادئ الحساب، وحدث تغيير في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري عندما بدأت تباشير العلوم الرياضية والطبيعية تقبل على الشام عن طريق الديار المصرية بواسطة النهضة التي انبعثت بعناية محمد علي حيث أنشأ مدارس للهندسة والطب والترجمة والفنون الجميلة والحربية والبحرية وغيرها، فتخرج منها كثير من المصريين وبعض أفراد من الشاميين وأخذت تسري من أنوارها أشعة نافعة إلى الشام([1]). وعلى أرض الواقع أصبح الاختلاف واضحاً في حقل التعليم بين المواد الدراسية التي تعطي للطلاب في المراحل التعليمية المتعددة حسبما أشرنا إليها في السلم التعليمي سابقاً "ففي المدارس الابتدائية كان يتم تدريس القراءة والحساب والجغرافيا والتاريخ العثماني ، وفي المدارس الرشدية للذكور كان يتم تدريس مبادئ العلوم الدينية، وقواعد اللسان العثماني، والإملاء، والإنشاء، والقواعد العربية، والفارسية، وعلم الحساب، وأصول مسك الدفاتر، ورسم الخطوط، ومبادئ الهندسة، والتاريخ العمومي. والتاريخ العثماني والجغرافيا، أما في المدارس الإعدادية، فكان يتم تدريس الكتابة

---

١ - محمد كرد علي: "خطط الشام"، مرجع سابق، ج٤، ص٦٢.

والإنشاء بالتركية، وأصول الحساب، ومسك الدفاتر، والجغرافيا، واللغة الفرنسية، والهندسة، وعلم المساحة، والقوانين العثمانية، والتاريخ العام، والفلسفة الطبيعية، والمنطق، والكيمياء، والجبر، والرسم([1]). وهنا يبدو اختلاف هذه المواد وتعددها من مرحلة لأخرى، لكن الملاحظة الجديرة بالذكـــر أيضاً أن المواد الدراسية في المرحلة الرشدية للذكور والإناث متشـــابهة لكـــن فـــي حالة الإناث تضاف لها" فنون الخياطة، ومنتجات أدبـــية، والتدبـــير المنزلـــي والموسيقى، إلا أن الإناث لا يجبرن على دراســـتها"([2]). وتجـــدر الإشـــارة هنا إلى أن تعليم البنات اقتصر على المرحلة الرشدية، وأن البنات لم يكملن تعليمهن بعد هذه المرحلة، ومع ذلك تعتبر ميزة مهمة في مجال تعليم الإناث الذي لم يكن موجوداً بهذا الشكل في العهد المملوكي بل ربما كان منعدماً.

ومـــن أكـــثر القضايا المثيرة للجدل في التعليم في فلسطين في العهد العثماني، قضية اللغة العربية ومدى استخدامها، ومدى اهتمام العثمانيين بهـــا، وحجم الظلم الذي وقع على المتعلمين من خلالها، ولقد رأينا في قـــانون ١٨٦٩م أنه كان مجحفاً بحق اللغة العربية عندما أصبحت اللغة التركـــية هـــي اللغة الأولى، وظلت على هذا الحال حتى صدور قانون ١٩١٣م الذي أعطى مختلف الطوائف حرية التعليم باللغة التي تناسبها، ولم يقتصر الإجحاف باللغة العربية على إقصائها من المدارس الحكومية

---

١ - زهـــير غـــنايم: "لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م"، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩م، ص٢٩٦.

٢ - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

لمدة ٤٤ عاماً، بل إن وزارة المعارف كانت "تهتم بنشر اللغة الفرنسية اهـتماماً خاصـاً وكانت هذه اللغة إجبارية في جميع المدارس الرشدية والإعداديـة العسـكرية مـنها والملكـية، وفي أكثر المدارس العالية، فأصبحت لذلك أكثر اللغات انتشاراً بين المثقفين في جميع أنحاء الدولة العثمانـية"([1])، وربما كان لذلك تفسيراً واحداً هو اهتمام الدولة العثمانية بالجانب العسكري وتركيزها على فرنسا، لأن المجال العسكري كان أهم مداخل التطوير والإصلاح في الدولة العثمانية.

والحقيقة أن أهالي فلسطين لا يعنيهم الوضع العسكري إلى هذا الحد، بقـدر ما يعنيهم تعليم أبنائهم لغتهم العربية في مدارس تناسب أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية، لذلك لجأ الكثير من الأهالي الى إرسال أبنائهم للمـدارس العربـية الإسلامية الخاصة أو المسيحية ؛ لأنها أكثر عناية باللغـة العربية من مدارس المعارف العامة، وبناءً عليه "كانت مشكلة اسـتعمال اللغة العربية في التعليم أحد العوامل التي أسهمت في إذكاء روح العداء للحكم التركي بعد انقلاب الاتحاد والترقي من سنة ١٩٠٨ م"([2])، ويؤكـد هـذا ما جاء في مذكرات دروزة من إصرار المعارف العثمانـية علـى استخدام الطلاب للغة التركية في المدرسة بأنها كانت تديـر بينهم ما عرف باسم "سينيال" وهي خشبة بحجم ثلاثة أصابع كان يعطيها لأول مرة المبصر "الناظر" وهذا اسم مراقب الطلاب لمن يسمعه

---

١ - ساطع الحصري: "حولية الثقافة العربية"، مرجع سابق، ص٨.

٢ - عبد الله القطشان: "التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني"، مرجع سابق، ص ١٨

يتكلم بالعربية ويأمره أن يتنصت على الآخرين فيعطيها بدوره لمن يتكلم بالعربـيـة، وهذا بدوره يجتهد لتخرج من يده فتثبت على غيره ويعطيها لمـن يـتكلم بالعربـيـة وهكذا تدور الدائرة، وكانت "السينالات" عديدة، وكانـت إدارة المدرسـة في آخر النهار تعاقب من تكون الخشبة معه بالحجز نصف ساعة أو أكثر بعد انصراف الأولاد مساءً ويسمى توقيفاً، وكـان الموقوفون يعاقبون أحياناً بكتابة خمسين أو مائة سطر من كتاب أو شعر أو قطع حكمية أدبية([1]).

وهـذا يدل على أن الدولة العثمانية كانت صارمة في قرارها، بجعل اللغة التركـية هي اللغة الأولى، وهذا طبعاً لم يكن في صالح المواطنين، لذلك كان مـن أهـم مطالب الحركة القومية العربية المطالبة بتعلم اللغة العربية عندما انعقـد المؤتمـر العربي الأول بباريس سنة ١٩١٣م بين الإصلاحيين العرب والاتحاديـين الأتـراك، فبعثت حكومة الاتحاد والترقي بأوامرها إلى مراكز الولايـات العربية بقبول العرائض وإجراء المحاكمات باللغة العربية وجعلها لغـة التعليم الابتدائي والإعدادي مع بقاء التعليم في المكاتب السلطانية باللغة التركـية([2])، وبالـرغم من إصرار الدولة العثمانية في هذه الفترة على جعل اللغـة التركـية هـي اللغة الأولى فإن ذلك ارتبط بالحكومة الجديدة "الاتحاد والترقـي" وهي صاحبة فلسفة جديدة تختلف كثيراً عن فلسفة الدولة العثمانية الإسـلامية "دولة الخلافة" التي لم يكن يقصد بها قبل إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨م تتريك الجنسيات الأخرى كما قد يقال أو كان يظن، وإنما القصد هو تهيئة رجال متعلمين لوظائف الدولة التي كانت لغتها ولغة دواوينها وأوراقها

---

١ - محمد عزة دروزة: "مذكرات"، مج ١ ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص١٥٥.

٢ - عبد العزيز محمد عوض: "مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث"، مرجع سابق، ص١٢٢.

ومعاملاتهـا ومحاكمها اللغة التركية(١)، بمعنى أن الدولة العثمانية أصلاً من حقهـا أن تقـرر لغـتها العثمانية "التركية" كلغة أولى في البلاد وعلى جميع المواطنيـن العناية بذلك ؛ لأنهم يعتبرون رعايا عثمانيين، أما بالنسبة لحقيقة التـتريك الـذي حدث فيما بعد ١٩٠٨م فإن "الكشف عن انتماء الأتراك إلى جـنس طورانـي يضم إلى جانبهم المغول والهون في رقعة جغرافية كبيرة، ووضـع قواعد للغتهم التركية، والتأكيد على أهمية وحدتهم القومية ومقوماتها التاريخـية هو عمل من أعمال الأنثولوجيين الغربيين أسهم في تأسيس أركانه يهـود مـن فرنسا وإنجلترا وألمانيا والمجر ودعمت حكومات هذه الدول هذه الجهود وعملت على نشرها في أركان الإمبراطورية الإسلامية العثمانية بكل الوسائل"(٢).

وبغـض النظر عن أن اللغة العربية لم تكن اللغة الأولى أو الثانية، فقد كانـت سـواء قـبل الفتح العثماني للبلاد العربية أو بعده هي لغة الثقافة والأدب والعلـوم عـند العثمانيين فقد كتبوا بها كل شيء من كتب الفقه أو الفـتاوى أو الديـن، وكانت مصطلحات العلوم العثمانية كلها عربية، كما كتـبوا بها التراجم والشقائق العثمانية وكتبوا بها التاريخ مثل جامع الدول "لـنجم باشا أحمد دوة"، وتاريخ العالم الزاخر في علوم الأوائل في الأواخر للمعلـم التركـي جناني، وكتبوا المقامات مثل مقامات عيدي(٣)، وذلك لم

١ – محمد عزة دروزة: "مذكرات"، مرجع سابق، ج١، ص١٥٤.

٢ – قـيس جـواد العـزاوي: "الدولة العثمانية– قراءة جديدة لعوامل الانحطاط"، مركز دراسات الإسلام والعالم، فلوريدا، ١٩٩٤، ص١٣٢.

٣ – محمـد حسين العمايرة: "رؤية جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين خلال العهد العثماني"، مجلة صامد الاقتصادي، السنة التاسعة عشر، ع ١٠٩ ، دار الكرمل للنشر، عمان ، أيلول ١٩٩٧م، ص٢٤١ نقلاً عن محمـد حـرب عبد الحميد، العثمانيون المفترى عليهم، مجلة العربي، عدد ٢٤٤ ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، سنة ١٩٧٩، ص٤٨.

يكـن غريـبـاً فـإن علاقة اللغة العربية "بالأتراك" قديمة فقد ظل الأتراك يستخدمون العربية والفارسية حتى سنة ١٢٧٧م، حيث بدأت اللغة التركية بالانـتعاش فقد أدخل علماؤها كثيراً من الكلمات والتعبيرات المأخوذة من لغـة العـرب ولغة الفرس، كذلك فإن اللغة التركية كانت تلقب بالمقلّمة أو المحجلـة، ومـا أدخلـوه مـن هاتين اللغتين نظموه على شكل الأراجيز الشـعرية ليسهل حفظه على الطلبة، فلا يمكن لأحد منهم أن يكون كاتباً أو يـنظم الشـعر مـا لم يدرس هذه الأراجيز ويحفظها، ليعرف معاني هذه الكلمـات الغريـبة كمـا أنه لا يقدر أن يفهم قواعدها النحوية وتصريف الأفعـال فيها، ولم تكن له قبل ذلك كتب تكفي في ذلك إلى زمن السلطان عبد المجيد الأول الذي في زمنه جمعت هذه الكلمات المأخوذة من اللغتين المذكورتيـن في كتاب أسموه منتخبات اللغات العثمانية وهو يحتوي على ١٨٨٩٧ لفظـة عربية و ٦٧٦١ لفظة فارسية وطبع في المطبعة الحجرية سـنة ١٨٥٢م/١٢٦٩هـ، وجعلوا في أوله مقدمة تشير إلى معرفة بعض قواعـد تلـزم معرفتها في استعمال هذه الألفاظ ثم أشهروا بعد ذلك مؤلفاً مسـتوفياً للقواعـد التي تلزم معرفتها من نحو وصرف وغير ذلك يستحق مؤلفوه مزيد الشكر حيث سهلوا تحصيل هذه اللغة على الطلبة تسهيلاً كافياً وقـد تـرجمه بعضهم إلى اللغة العربية فكافأتهم الدولة بنياشين من الرتبة المجيدية الرابعة([1]).

---

١ - نوفل نعمة الله نوفل: "كشف اللثام عن محيا الكومة والأحكام في إقليمي مصر وبر الشام"، مخطوطة، أوجزه جرجي يني، قدم له وحققه وأعد ملاحقه وفهارسه ميشال أبي فاضل وجان نخول، طرابلس، جروس برس، ١٩٩٠م، ص٣٤٠، ٣٤١.

وفي معرض الحديث عن مدى استخدام العثمانيين للغة العربية واهتمامهم بها يذهب "العمايرة" إلى القول بأن العثمانيين قرروا اللغة العربية لغة أولى في جميع معاهدهم التعليمية من أولها إلى آخرها، ودرسوا بها كافة العلوم، وأهملوا لغتهم التركية([1])، وهو الذي دفع الأتراك المحدثين لتحميل الدولة العثمانية مسئولية إهمال لغتهم فقد عملوا منذ ذلك الوقت على محاولة إعادة نفوذ اللغة التركية، محاولين تنقيتها من المصطلحات العربية ، ويعمل المجمع اللغوي التركي حالياً على اشتقاق جديد للغة التركية من أصول قديمة، مع نبذ ما في التركية من مصطلحات عربية وفارسية([2])، وهذا كله يشير إلى أن اللغة التركية لم تكن صعبة كلغة أجنبية، ولاسيما أن هذا الكم الكبير من الألفاظ العربية فيها.

والأهم من هذا أن "اللغة التركية لم تسر بين العلماء، كما لم تدخل المصنفات التركية في مصادر العلم الديني إلا فيما ندر، بل على العكس كانت العربية لدى علماء الأتراك لغة أساسية في علوم الدين، وقد أثار أولئك العلماء العرب الذين عادوا من الروم" مقلدين سلوك الأتراك استهجان الغزي والمحبي والمرادي([3]). ومن خلال هذا العرض حول مدى استخدام العثمانيين للغة العربية لا يبدو أن الدولة العثمانية كانت

---

١ - محمد حسن العمايرة: "رؤية جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين خلال العهد العثماني"، مرجع سابق، ص٢٤١.

٢ - المرجع السابق، ص٢٤٢.

٣ - عبد الغني عماد: "السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر"، مرجع سابق، ص١٨٢، عن/ المرادي، سلك الدرر، ج٢، ص٩٨، المحبي، خلاصة الأثر، ج٣، ص٣٥٤.

تقصد الإساءة للغة العربية بقدر ما كانت تهدف إلى إعداد مواطن عثماني متمكن من لغة الدولة التي ستفتح له المجال لإكمال دراسته العالية ومن ثم تقلد المناصب المناسبة، وهذا ظهر جلياً في نتائج التعليم حيث إن طلاب المدارس الأهلية والخاصة الذين تعلموا باللغة العربية معظمهم كانوا يتوجهون إلى الأزهر الشريف لإكمال دراستهم الدينية فالعلماء الذين اكتفوا بثقافتهم الدينية، ولاسيما الصوفية منها، خسروا بالتدريج مركزهم السياسي وكثيراً من هيبتهم ولم يبق لهم إلا مكانتهم الاجتماعية[١]، أما الشباب المقتدر مالياً، والذين تعلموا في المدارس الحكومية، وأتقنوا اللغة التركية والفرنسية، فكانوا يسافرون إلى الخارج إلى الأستانة عاصمة الخلافة العثمانية لتلقي العلم في مدارسها الثانوية والعالية ومنهم من كان يكمل طريقه إلى أوروبا وبخاصة إلى فرنسا، وقد اقتصر هذا التعليم العالي على طبقة الأشراف، التي استفادت من تعليم أبنائها، حيث لعبت دوراً بارزاً في الحركة العربية في بلاد الشام في مطلع القرن العشرين، وبذلك تمكنت أقلية صغيرة من أبناء تلك العائلات في مدن فلسطين من التغلغل في شئون الحكم والإدارة والتعليم مع نهاية العهد العثماني[٢].

---

١ - محمد عزة دروزة: "مذكرات"، مرجع سابق، مج١، ص١٤٨.

٢ - عادل مناع: "أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني [١٨٠٠-١٩١٨م]"، ط ٣ ، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧م، ص٢٠.

٤- سير العملية التعليمية:

لقد كانت مذكرات "دروزة" من أهم المصادر التي اعتمد عليها الباحث في الاطلاع على سير العملية التعليمية في فلسطين في العهد العثماني، حيث يعتبر "دروزة" شاهد العصر في تلك الفترة عندما كتب عن تلك السنين التي قضاها وهو طالب في مدرسة الشيخ "محمد زعيتر" الابتدائية في نابلس التي التحق بها عام ١٨٩٥م وأمضى بها أربع سنوات هي مدة الفترة الابتدائية، فقد ذكر "دروزة" عن تلك الحياة الدراسية أن المظهر الديني في المدرسة كان قوياً، حيث تبدأ الدروس وتختتم بصيغة صلاة النبي، وكان يشدد على الأولاد لأداء الصلاة والاهتمام بتعليم القرآن وتجويده، وكانت المدرسة تحتفل في آخر كل سنة بالختم القرآني، وكان الطالب (خاتم القرآن) يزين كرسياً بالفوانيس والأشرطة الحريرية المتنوعة والزهور، ويلبس الطالب ثياباً جديده، ويكون أهل الخاتمين وجيرانهم وأصدقاؤهم مجتمعين في المدرسة، وفي الشارع يتلقفون ولدهم وكرسيه، وأحياناً يحملونه على أكتافهم، وأحياناً يأتون له بفرس يركبها وتنظم زفة كبرى يحتشد بها المئات بل الألوف، وتنشد فيها الأناشيد والأهازيج، وتسير في الشوارع والحارات[1].

وهذا يدل على مدى اهتمام الدولة العثمانية بالتربية الإسلامية وبالقرآن خاصة، ومدى الحفاوة التي تحيط بالطلاب والتكريم الذي يحظون به في لحظة ختمهم للقرآن، بالإضافة إلى تشجيع الأهالي والمجتمع للطلاب من خلال تلك الاحتفالات التي يشعر الطلاب فيها

---

١ - محمد عزة دروزة: "مذكرات"، مرجع سابق، مج١، ص٢٠.

بطعم النجاح والتفوق، وربما كانت هذه الأساليب من التربية الإسلامية هـي السبب في تماسك المجتمع الفلسطيني التربوي، واستمرار التعليم لمـدة أربعة قرون هي عهد الدولة العثمانية، في حين يثبت اليوم فشل العديد من المشاريع والأنظمة التربوية التي تنطلق من فلسفات علمانية هدفها الأول تدمير الإنسان.

ومـن الجوانب الإيجابية في العملية التعليمية في فلسطين في العهد العثماني أن دراسة وشهادة المدرسة الرشدية كانت تعادل دراسة وشهادة الثانوية المتوسطة والإعدادية حيث يكون على المتخرج فيها أن يدرس سـنتين أخريين في ثانوية أعلى، فيحصل على شهادة الدراسة الثانوية الكاملة، ويتسنى له أن يدخل في مدرسة عالية.([1]) ومن القضايا المهمة التـي عرضـها دروزة، قضـية العقاب البدني في المدارس، فقد كان الطـلاب المذنـبون بشكوى من المعلمين أو الطلاب يعاقبون بالضرب بالفلقة، حيث كان المدير هو الوحيد الذي يستطيع معاقبة الطلاب بالفلقة، وكـان يضـربهم أحـياناً بالسوط على كف أيديهم ومن حق المعلمين استخدام السوط أيضاً في العقاب، في حين لم يكن الطالب يعاقب بسبب عـدم تحصيله العلمي، بل كان يعاقب في الغالب ؛ لأنه ارتكب سلوكاً سـيئاً، أو أنـه لا يحـترم تعليمات إدارة المدرسة، كما كان للمجيدين المجتهدين في دروسهم وواجباتهم وسلوكهم ورقات مذهبة منها ما يسمى (أفريـن) وهـي كلمة فارسية بمعنى (مرحى) وهي التي عرّبها العوام بكلمة (عفارم) ومنها ما يسمى (تحسين) وهي أرقى وأكبر حجماً، ومنها

---

١ - محمد عزة دروزة: "مذكرات"، مرجع سابق، مج١، ص١٥٣، ١٥٤.

مـــا يسمى "امتياز" وهي أرقى وأكبر، وكان الطلاب بأمر من المدرسة يحـــتفظون بهـــذه الجوائـــز إلى آخر السنة ويقدمونها لإدارة المدرسة فتعطـــيهم يوم توزيع الجوائز كتباً جائزة مقابل ذلك([1]). وهذا أيضاً هو الأسلوب الأكثر نجاحاً للعقاب البدني على السلوك، في ظل مبدأ الثواب والعقـــاب والتعزيز الإيجابي للطالب، وبدون ذلك لا نعتقد نجاحاً لعملية التحصيل العلمي وحتى على مستوى التربية، أو تحقيق بعض الأهداف الســـلوكية. ففـــي ظـــل التعزيز المادي والمعنوي للطلاب تتم المنافسة الشـــريفة ويســـود مـــناخ تعليمي سليم، تظهر فيه الكفاءات والإبداعات الطلابـــية المـــتعددة التي تخدم المجتمع، هذا إن كان الهدف من العملية التعليمية خلق المواطن الصالح، ودون ذلك يسيطر الجمود وطمس كل القدرات وقتلها في مهدها.

ومـــن النواحـــي الإيجابـــية أيضاً في سير العملية التعليمية أن الامتحانات كانـــت شـــفوية فقط، وكانت شفوية وجاهيه أمام الممتحنين، وكان يعطى لكل مادة أيام عديدة للاستعداد، وكان يدعى بالإضافة إلى معلم المادة شخصان أو ثلاثة من المعلمين، أو ممن لهم إلمام بالمادة من موظفين وضباط وعلماء في المديـــنة، ويدخـــل الطـــلاب واحـــداً بعد الآخر، ويوجه إليهم المعلم أو أحد الأشـــخاص الأســـئلة، ويســـتمعون إلـــى إجابـــاتهم ثم يخرج الطالب ويقرر الممتحـــنون له العلامة المناسبة حسب جوابه([2]) ، وهذا أيضاً يظهر مدى قوة الطـــلاب واستعدادهم للامتحانات الشفوية التي هي حسب تقديرنا من أصعب الامـــتحانات ، وقـــد لا يحـــدث مـــثل هذا إلا في مناقشة رسالة ماجستير أو

---

١ - المرجع السابق، ص١٥٥.

٢ - محمد عزة دروزة: "مذكرات"، مرجع سابق، مج١، ص ١٥٧.

دكتوراه أو في مسابقات أوائل الطلبة في آخر العام الدراسي في أيامنا هذه، وطريقة أداء تلك الامتحانات تدل على عدم إعطاء الطالب فرصة للغش، ووجود لجنة تشهد على تقييم الطالب يعني عدم وجود محاباة للطالب وتحييد الذاتية من قبل معلم المادة. وتجدر الإشارة هنا أن سبب نجاح مثل هذه الامتحانات هو عدد الطلاب في المدرسة الذي لم يكن يتجاوز المائة طالب، وفي بعض المدارس كان يوجد عشرون طالباً.

وبذلك يحصل الطالب على درجات حقيقية توضع في شهادته التي تُعتمد من المدرسة ومعترف بها في أنحاء العالم، وكانت العلامة التامة(عشرة) وتوصف بوصف (علّي الأعلى) وهذا الوصف يوصف به من أخذ (تسعة) أيضاً ثم توصف الثمانية والسبعة بوصف (أعلى) وبعدها وصف (وسط)([1]) وهذا أيضاً يشبه إلى حد كبير تقديرات الطلاب اليوم في المدارس فما فوق (٩٠%) امتياز، وما فوق (٨٠%) جيد جداً، وما فوق (٧٠%) جيد، وهكذا.

والأهم من هذا كله اهتمام الدولة العثمانية في نهاية العام الدراسي بإقامة حفل لتوزيع الشهادات والجوائز على الطلاب وتكريم المتفوقين في موكب مهيب داخل المدرسة، فتدعو إليها المتصرف وكبار الموظفين والضباط والعلماء والوجهاء وأولياء الطلاب الذين يأخذون شهاداتهم، وكانت المدرسة تكلف الأول من السنة الأخيرة في كل سنة بإلقاء خطبة في الحفل وقد كتبت مدرسة دروزة له كلمة ألقاها (بالتركية)، مدح فيها السلطان والحكومة ونوه بالعلم والمدارس، وحث على مكارم الأخلاق الإسلامية، وأعطته المدرسة ساعة فضية جائزة بالإضافة إلى جوائز الكتب الأخرى([2]).

---

١ - المرجع السابق، ص١٥٧

٢ - المرجع السابق، ص١٥٧

وهذا عرض لنموذج الشهادة الابتدائية التي كانت تمنح للطلاب في العهد العثماني

شكل رقم (1)

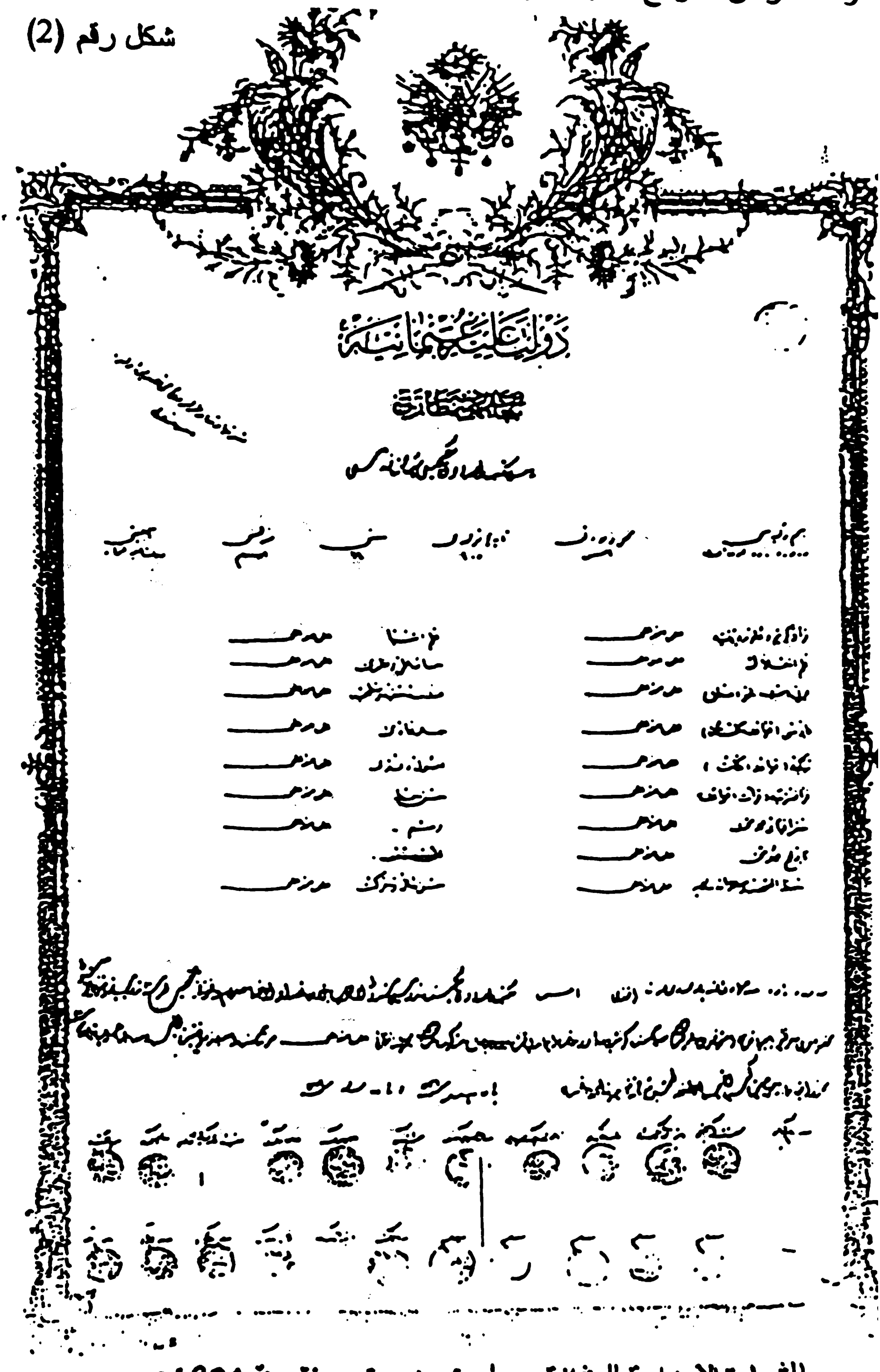

نظارت جليلهٔ معارف عموميه

مكاتب ابتدائيه شهادتنامه سى

م _ الشهادة الابتدائية العثمانية بنجاح محمد عزة دروزة سنة 1314 هـ

وهذا عرض لنموذج الشهادة الإعدادية التي كانت تمنح للطلاب في العهد العثماني

شكل رقم (2)



ب- الشهادة الإعدادية العثمانية بنجاح محمد عزة دروزة سنة 1321هـ

وفـــي ختام هذا الفصل تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة تتعلق بتمويل التعليم فيما بعـــد التنظـــيمات، حيـــث كان الباحث قد عرض في هذا الفصل تمويل التعليم قبل التنظـــيمات، وتبيـــن من خلاله أن الأوقاف الإسلامية كانت الممول الرئيسي للتعليم مـــنذ بدايـــة العهد العثماني ، بل هي المسئولة عن كل كبيرة وصغيرة بهذا الصدد، ولكـــن بعدما انهارت الأوقاف وبدأت عملية الإصلاح للتعليم، تولت الدولة العثمانية الإنفاق على التعليم بالاشتراك مع الأهالي أحياناً كما نص نظام المعارف ١٨٦٩م ، علـــى أن يدفـــع أهل القرية نفقات إنشاء المدارس وتعميرها ومخصصات المعلمين فـــيها، ولكـــن "كان اشتراك الأهالي بالإنفاق على المدارس الحكومية محصوراً في المـــدارس الابتدائـــية فقط، لأن نظام المعارف قد نص على أن تكون نفقات إنشاء المكاتـــب الإعدادية والرشدية ومخصصات معلميها، وخدمتها وجميع مصاريفها من صـــندوق إدارة معـــارف الولايـــة، وتـــتكون إيرادات المعارف من المخصصات الأمـــيرية والإعانات السنوية التي يقدمها الأهالي والمخصصات الوقفية والإعانات المـــتفرقة التـــي يقدمهـــا الســـكان والأجرة التي تؤخذ من طلبة المكاتب السلطانية والعالية"(١).

وتعقيباً على ما سبق يتضح أن واقع التعليم في فلسطين عند مجيء العثمانيين لم يخـــتلف عنه في عهد المماليك، وبخاصة في ظل محافظة العثمانيين على الأوقاف الإســـلامية كمصدر تمويل رئيسي للتعليم، ولكن عندما انهارت الأوقاف الإسلامية في نهاية القرن الثامن عشر تضرر التعليم في فلسطين حتى الربع الأول من القرن التاســـع عشـــر، ودخل مرحلة الإصلاح التي تم خلالها إصدار العديد من القوانين الخاصـــة بتنظـــيم الســـلم التعليمي ووضع مناهج دراسية لمختلف المراحل، وكذلك تمويل التعليم حتى شهد تطوراً ملموساً في النهاية.

---

١ – زهير غنايم عبد اللطيف: "التعليم في مدينة الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، مرجع سابق، ص١٦٥.

الفصل الخامس

التعليم العربي الإسلامي في فلسطين
في العهد العثماني

أولاً: المدارس في متصرفية القدس

ثانياً: المدارس في لواء عكا

ثالثاً : المدارس في لواء نابلس

لقد بدأ المسلمون الأوائل تعليمهم من خلال القرآن الكريم والحديث الشريف، وذلك في المساجد والزوايا والربط، وكانت المساجد بمثابة المدارس والجامعات التي تخرج منها فقهاء الأمة و علماؤها، وكان "أول من حفظ عنه انه بنى مدرسة في الإسلام، أهل نيسابور حيث بنيت بها المدرسة البيهقية، ثم مدرسة الأمير نصر بن سبكتكين وتبعه غيره، وعني السلاجقة بإنشاء المدارس في أقطار الشرق، وكان ألب أرسلان إذا رأى في بلاد رجلاً متميزاً متبحراً في العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفاً، وقرر فيها للفقهاء معالم وجعل فيها دار كتب ونظام الملك أحد وزارة السلاجقة هو الذي انشأ المدرسة النظامية في بغداد في القرن الخامس الهجري سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٧م"[١].

وفلسطين التي كانت جزءاً لا يتجزأ من الدولة الإسلامية على مدار التاريخ العربي الإسلامي، مر التعليم فيها بمراحل متعددة، كل مرحلة فيها ارتبطت بظروف الدولة الحاكمة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي العهد العثماني مر التعليم بمرحلة القوة ثم الضعف ثم التطور، وهنا رأى الباحث أن يدلل على صحة ذلك بعرض المدارس والمعاهد التي كانت موجودة في فلسطين في تلك الفترة فقد "توسع التعليم في أواخر العهد العثماني، وأول سني الحرب العالمية الأولى كثيراً في فلسطين خصوصاً في ولاية القدس، إذ إنه في عام ١٩١٤م كان هناك ٩٥ مدرسة ابتدائية وثلاث مدارس ثانوية يُعلم فيها ٢٣٤ معلماً وتعداد

---

١ - محمد كرد علي: خطط الشام، ط ٣، ج ٦، دمشق، مكتبة النوري، ١٩٨٣م، ص ٦٥

تلامذتهـا ٨٢٤٨ مـنهم ١٤٨٠ تلمـيذة وكـان يوجد ٣٧٩ مدرسة تقليدية أكثرها (كـتاب) يعلـم فيها ٤١٧ معلماً ويزورها ٨٧٠٥ تلاميذ منهم ١٣١ تلميذة"(١)، في حيـن يرى آخر أن "عدد المدارس العربية الحكومية في فلسطين في العام ١٩١٤ -١٩١٥م قـد بلـغ ٩٨ مدرسـة ضـمت ٨٣٤٨ طالباً منهم ٦٩٤٨ من الذكور و ١٤٠٠ مـن الإنـاث، ويذكـر أيضـاً أن عـدد المدارس الابتدائية والثانوية في متصـرفية القـدس وولايتـي عكا ونابلس بلغ سنة ١٩١٦م ٥٠٠ مدرسة بما فيها الخاصـة، وكـان يـدرس فيها ٧١٩ معلماً ومعلمة. وبلغ عدد الطلاب ١٥٧٧٣م طالـباً وطالـبة"(٢) ويرى الحصري كذلك وجود ٩٥ مدرسة حكومية في فلسطين في العهد العثماني(٣).

وسـيقوم الباحـث بتتـبع تلـك المدارس والمعاهد في فلسطين في العهد العثمانـي، وذلـك حسـب التقسـيم الإداري لفلسطين وهي كما مر ذكرها، متصـرفية القـدس، ثم لواء عكا، ثم لواء نابلس، وجميع المدن التابعة لها. وذلك على النحو التالي:

---

١ - نبـيل بـدران، : التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني، ج ١، عهد الانتداب، بـيروت، مركـز أبحـاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٩م، ص ١١٣، عن Tibawi A.L :Arab Education in Mardatory Palestine, London 1956 p.20

٢ - محمـد حسـين العمايرة: التربية والتعليم في الأردن منذ العهد العثماني حتى عام ١٩٩٧، عمـان، دار المسـيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ١٩٩٩م، ص٢٣٨، عن/ سمير سمعان: المؤامرة الصهيونية لتجهيل عرب، دار البيرق، ١٩٨٧م، ص ص ٣٢، ٣٣

٣ - ساطع الحصري: حولية الثقافية العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٧

أولاً/ المدارس في متصرفية القدس:

وتشمل المتصرفية كلاً من: القدس، ويافا، وغزة،وبئر السبع، والخليل.

القدس:

اختلفت آراء المؤرخين حول عدد المدارس التي كانت موجودة في القدس قبل العهد العثماني فبعضهم يشير إلى وجود خمس وأربعين مدرسة([1])، وآخر يشير إلى أنها إحدى وستون مدرسة([2])

ومنهم من يذكر أنها كانت خمساً وسبعين مدرسة([3])، وبالرغم من هذا يشير "ضياء الدين الخطيب إمام المسجد الأقصى ومفتش المحاكم الشرعية أمام اللجنة الأنجلو أميركية بأن القدس كانت مزودة بسبعين مدرسة في العصور الوسطى"([4])، وهذا أقرب إلى ما ذكره العسلي أن "معاهد العلم في بيت المقدس بلغت تسعاً وستين مدرسة ابتداءً من سنة ٤٥٠هـ وحتى أواسط القرن العاشر،

---

١ - محمد كرد علي: خطط الشام، مرجع سابق، ج٦، ص ٦٥

٢ - عارف العارف: الفصل في تاريخ القدس، القدس، مطبعة العارف، ١٩٨٦م، ص ٢٣٦-٢٥٨

٣ - مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط ٢، ج ٢، الأردن، مكتبة المحتسب، ١٩٧٣م، ص ٣٣-٧٥

٤ - عبد الله القطشان: التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني ١٥١٦ - ١٩٤٨م، عمان، منشورات دار الكرمل، صامد، ١٩٨٧م، ص ١١١، عن/ جميل الشقيري، مجموعة الشهادات والمذكرات إلى لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية المشتركة حول قضية فلسطين، ص ١٠٥

وقد أسست هذه المدارس إجمالاً حسب المذاهب، فكانت المدارس غالباً تتبع واحداً من المذاهب الأربعة، وإذا عرفنا أن خيرة علماء القدس عملوا في التدريس لاتضح لنا أن معظم المدارس كانت تقدم تعليماً عالياً في المستوى الجامعي والثانوي، غير أن التعليم في هذه المدارس كان وحيد الجانب، بمعنى أنه كان مقتصراً على علوم الدين والعربية"([1]).

ويرى الباحث أن عدد المدارس غير دقيق ؛ لأن الباحثين خلطوا بين المدارس والمكاتب حيث إن " الأتراك خصصوا اسم "المدرسة" للمدارس الدينية، وأما المدارس الأخرى فسموها بـ"المكاتب" بوجه عام، فالكتاتيب كانت تسمى (محلة مكتبي) بمعني (مكتبة المحلة) كما أن مدرسة الحقوق كانت تسمي (حقوق مكتبي) والمدرسة الحربية (حربية مكتبي) وهكذا"([2]). ومن خلال جمع أسماء تلك المدارس التي كانت موجودة في القدس في العهد العثماني يتبين أن هناك ستين مدرسة على الأرجح لذلك سيقوم الباحث بإلقاء الضوء عليها مع تتبع تواريخ إنشائها ولقد عرضت الموسوعة الفلسطينية عدداً كبيراً من المدارس في القدس في العهد المملوكي، ويتبين أن معظمها استمر في العهد العثماني وهذه المدارس هي كالتالي([3]):

---

١ - كامل العسلي: "معاهد العلم في بيت المقدس"، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٦

٢ - نبيل بدران: التعليم والتحديث، مرجع سابق، ج١، ص ١١٣

٣ - سهيل زكار: "فلسطين في عهد المماليك- من أواسط القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي"، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج ٢، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٦٠٦-٦٢٦

جدول رقم (١)

المدارس في القدس وتواريخ تأسيسها

تأسيسها	المدرسة	تأسيسها	المدرسة	تأسيسها	المدرسة
٧٨٤ هـ	الطشتمرية	٧٣٢ هـ	الخانقاة• الفخرية	٥٨٣ هـ	الصلاحية
٧٩٠ هـ	الجهاركسية	٧٤١ هـ	المالكية	—	الأفضلية
٧٩٧ هـ	الموصلية	٧٤٩ هـ	الأسعدية	—	الميمونية
٨١٦ هـ	الكاملية	٧٥٥ هـ	الفارسية	—	النحوية
٨٢٧ هـ	الطولونية	٧٥٥ هـ	الخاتونية	—	النصرية
٨٣٤ هـ	الباسطية	٧٥٩ هـ	الأرغونية	—	البدرية
٨٣٦ هـ	الغادرية	٧٥٩ هـ	القشتمرية	—	المعظمية
٨٣٧ هـ	الحسنية	٧٦١ هـ	دار القرآن السلامية	—	الفنارية
٨٤٠ هـ	العثمانية	٧٦١ هـ	الحسنية	٦٦٦ هـ	دار الحديث الهكارية
٨٤٤ هـ	الجوهرية	٧٦٢ هـ	المنجكية	٦٩٥ هـ	الدوادارية
٨٧٥ هـ	الأشرفية	٧٦٢ هـ	المحدثية	٧٠٠ هـ	السلامية
٨٨٥ هـ	المزهرية	٧٦٣ هـ	الطازية	٧٠١ هـ	الوجيهية
٨٩٧ هـ	الزمينية	٧٦٨ هـ	البارودية	٧١٨ هـ	الكريمية
مطلع القرن التاسع عشر الميلادي	الصبيبية	٧٧٥ هـ	الحنبلية	٧٢٩ هـ	التنكزية
		٧٨١ هـ	اللؤلؤية	٧٢٩ هـ	دار الحديث التنكزية
		٧٨٢ هـ	البلدية	٧٣٠ هـ	الأمينية

• الخانقاه: كلمة أطلقت على الأربطة (التكايا) والتكية محلة يقيم فيها الدراويش وكان يطلق عليها اسم (خانقاه) وهي كلمة فارسية معناه بيت العبادة، ومع الزمن استبدلت كلمة الخانقاه بالتكايا وتنوسي اسم الخانقاه بالكلية، والتكية كلمة تركية بمعنى رباط الصوفية [مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج٢ ، ق٢ ، ص٣٤٥].

ومن خلال البحث عن تلك المدارس يلاحظ أن أهم ما كان يميزها بناؤها الحضاري، فقد كانت عبارة عن مبانٍ فاخرة يؤهلها تأسيسها للبقاء مئات السنين، فعلى سبيل المثال ذكر الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي أنه مر بالمدرسة الصلاحية والمدرسة الغادرية والمدرسة البسطامية وكان ذلك في العام ١٦٩٠م([١])، وقد مر أيضاً بالمدرسة السلطانية والمدرسة النحوية([٢])، وهذا ما أكده العسلي واصفاً تلك المدارس بأنها "من أفخم المباني التي ما تزال قائمة كآثار فنية ناطقة، مباني المدرسة التنكزية والطشتمرية والكيلانية، والأرغونية، والمزهرية، والجوهرية والدوادارية والأشرفية([٣])، حتى أن مبنى المدرسة التنكزية ظل قائماً حتى الاحتلال الإسرائيلي، وقد رابطت فيه القوات الإسرائيلية([٤]). وهذا يدل على أن مباني المدارس كانت قوية لدرجة أنها استمرت عدة قرون، ولأن هذه المدارس ظلت عامرة وقوية في العهد العثماني، واستمرت في أداء دورها، وارتبط ذلك بقوة الوقف عليها، وهناك بعض المدارس تعطل العمل فيها بسبب ضعف إيراد الأوقاف، إلا أن مبناها ظل كما هو، والبعض منها تحول إلى دار سكن أو

---

١ - أحمد سامح الخالدي: رحلات في ديار الشام، مرجع سابق، ص ٣٣-٣٦

٢ - المرجع السابق، ص ١٠٤

٣ - كامل العسلي: "معاهد العلم في بيت المقدس"، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، مرجع سابق، ص ٢٨٧

٤ - كامل العسلي: "الأوقاف والتعليم في بيت المقدس من أواخر القرن السادس حتى أوائل القرن الثاني عشر للهجرة"، التربية العربية الإسلامية، مرجع سابق، ج ٣، ص ٨٨٦

مركــز دينـــي أو تجاري، فالمدرسة الجاولية والنصيبية كانتا قسماً من كلية روضـــة المعـــارف الوطنـــية، والمدرســـة الميمونية هي الآن مدرسة بنات للمعـــارف وجعـــل اسمها " المأمونية"، والمدرسة الباسطية لا تزال موجودة وتابعـــة للدويداريـــة، وفيها مدرسة البنات الاسلامية، وأن المدرسة الأسعدية لا تـــزال عامرة في حين أن المدرسة المنجكية عامرة لكن أقام فيها المجلس الشـــرعي الإســـلامي الأعلى([1]). ويضيف "العسلي" عدداً من المدارس التي أنشـــئت فـــي العهـــد الأيوبي والمملوكي لكنها ظلت أيضاً عامرة حتى عهد العثمانيين وهي كالتالي([2]):

جدول رقم (٢)

المدارس التي أنشئت في العهد الأيوبي والمملوكي وبقيت في العهد العثماني

تأسيسها	المدرسة	تأسيسها	المدرسة
٧٣٢ هـ	الفخرية	٥٨٧ هـ	الختنية
٧٥٣ هـ	الكيلانية	أوائل القرن السابع	الأمجدية
القرن الثامن الهجري	الحمراء	٦٩٧ هـ	الأوحدية
		٧١٥ هـ	الجاولية

١ - محمد كرد علي: خطط الشام، مرجع سابق، ج ٦، ص ١١٦-١٢٩

٢ - كـــامل العســـلي: مؤسســـة الأوقاف ومدارس بيت المقدس، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي، بغداد، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٠٧-١١١

أمـــا فـــيما يـــتعلق بإنشاء المدارس في العهد العثماني فإن قاضي القدس كـــانوا يســـمونه النائب أو الحاكم الشرعي هو المسؤول عن إدارة المساجد والـــتكايا بما في ذلك تعيين الخطباء والمدرسيين والوعاظ، وإنشاء المدارس وتعمـــيرها وإدارتها، وتعيين المعلمين وإقالتهم وتنقلاتهم(١)، وفي ضوء ذلك أورد "العســـلي" عـــدداً لمدارس تم تأسيسها في العهد العثماني، وبالرغم من أنـــه لـــم يذكـــر ســـنوات تأسيس بعض منها إلا أنه يؤكد وجودها في العهد العثماني وهي(٢):

جدول رقم (٣)

المدارس التي تم تأسيسها في العهد العثماني

تأسيسها	المدرسة	تأسيسها	المدرسة	تأسيسها	المدرسة
–	الماوردية	القرن الحادي عشر	مراد باشا	٩٤٧ هـ	الرصاصية
–	الجركسية	قبل ١٠٣٤ هـ	الأسعدية	٩٥٩ هـ	الخاصكية
–	الأحمدية	–	الصامتية	القرن الحادي عشر	المنصورية

وهـــناك مدرســـة أخـــرى تحمـــل اسم "الحسنية" وقد تم وقفها سنة ٨٣٧ هـــ(٣)، ومدرســـة القادرية التي أوقفها الأمير ناصر الدين محمد بن القادر بعد أن عمرتها زوجته مصر خاتون سنة ١٤٣٣م(٤)

---

١ - عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مرجع سابق، ص ص ٣١٢،٣١٣

٢ - كامل العسلي: مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس، مرجع سابق، ص ١٠٧-١١١

٣ - مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٣

٤ - عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مرجع سابق، ص ٢٥٣

ومدرسة الدلغارية التي أوقفت سنة ٨٩٧ هـ(1)، والمدرسة الحكمية التي كانت عامرة في سنة ١٥٦٣م، والمدرسة القرقشندية التي نكرها النابلسي في رحلته ١٦٩٠م(2).

ودلل "العسلي" على بقاء المدرسة البدرية في العهد العثماني حيث نكر أن "محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي دفن في المدرسة في العام ١١٤٧ هـ(3)، وذكر السوافيرى من مدارس المسلمين في القدس كان مكتب الرشدية وهو مكتب يومي للبنين أنشي سنة ١٨٦٨م(4)، وجاء في الكتاب السنوي لوزارة المعارف لعام ١٨٩٨م أن قريتين من قرى قضاء القدس أنشئت في كل منها مدرسة للبنين، الأولى في بتيرسة ١٨٨٨م والثانية في المالحة ١٨٩٣م، ومدرسة في قرية صفا في العهد العثماني(5)، ولقد أنشأ الأتراك مدرسة أخرى في القدس هي "المدرسة الرشيدية نسبة إلى أحمد رشيد بك متصرف القدس في زمن السلطان عبد الحميد الثاني ١٩٠٦م "(6)، وهناك بعض المدارس في القدس لا

---

١ - محمد كرد علي: خطط الشام، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٢٠

٢ - عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مرجع سابق، ص ٢٤٨-٢٥٥

٣ - كامل العسلي: أجدادنا في ثرى بيت المقدس، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٠، ص١٥١-١٥٣

٤ - كامل السوافيرى: الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠-١٩٦٠م، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩، ص ص ٢١،٢٢

٥ - مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٢، ق٢، فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١، ص ٣٦٠-٣٧٠

٦ - عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مرجع سابق، ص ص ٣٠٧،٣٠٨

يعـرف واقفوهـا ولا تـاريخ وقفها وهي المدرسة الحجرية، الفرهادية، الزهرية، الدقمرية، المرمرية، ودار الحديث بواد الطواحين([1]).

ويضـيف "كرد علي" اسم مدرستين أخريين هما البرقونية والأباصيرية([2]) وقد نشـرت وزارة المعارف العثمانية إحصاءات رسمية عن السنة المدرسية ١٩١٣-١٩١٤م جـاء فيها ذكر مدرسة ثانوية هي المكتب السلطاني الذي أنشئ في القدس سـنة ١٨٨٩م([3])، وأوردت كوثـر الأمير مجموعة من المدارس والمعاهد العلمية فـي القـدس جـاء مـن ضمنها الكلية العربية ودار المعلمات في القدس وروضة المعـارف ١٩٠٦م، والمدرسـة الدستورية ١٩٠٩م([4])، هذا وقد أنشئت في القدس خـلال الحـرب العالمـية الأولـى (الكلية الصلاحية الرسمية) واعتنى فيها باللغة العربية([5]).

وقـام الباحـث بتحويل سنوات إنشاء المدارس من الهجرية إلى الميلادية لمعـرفة أعـداد المدارس التي كانت قائمة في فلسطين قبل العهد العثماني، ومعـرفة المـدارس الجديـدة التي قام العثمانيون بإنشائها وذلك من خلال الجدول التالي:

---

١ – كامل العسلي: مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس، مرجع سابق، ص ١٠٧-١١١

٢ – محمد كرد علي: خطط الشام، مرجع سابق، ج ٦، ص ١٢٣

٣ – كامل السوافيرى: الأدب العربي المعاصر في فلسطين، مرجع سابق، ص ٢٨

٤ – كوثـر الأمـير: واقـع التعلـيم فـي مدارس فلسطين، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الفلسـطينية[التعليم الفلسطيني، تاريخاً-واقعاً-وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من١٣-١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧، ص٦٣

٥ – ساطع الحصري: حولية الثقافة العربية، مرجع سابق، ص ٧-٩

جدول رقم (٤)

المدارس التي كانت قائمة في القدس في العهد العثماني

تأسيسها	المدرسة	الرقم	تأسيسها	المدرسة
٧٠٠هـ/١٣٠١م	السلامية	١٤	٤٥٠ هـ/١٠٥٨م	النصرية
٧٠١هـ/١٣٠١م	الوجيهية	١٥	٥٨٣هـ/ ١١٨٧م	الصلاحية
٧٠١هـ/١٣٠١م	الموصلية	١٦	٥٨٧هـ/١١٩١م	الختنية
٧١٥هـ/١٣١٦م	الجاولية	١٧	٥٩٠هـ/١١٩٤م	الأفضلية
٧١٥هـ/١٣١٦م	النصيبية	١٨	٥٩٢هـ/١١٩٧م	الميمونية
٧١٧هـ/١٣١٨م	الكريمية	١٩	أوائل القرن الثالث عشر ميلادي	الأمجدية
٧١٩هـ/١٣٢٠م	الجهاركسية	٢٠	٦٠٤هـ/١٢٠٧م	النحوية
٧٢٩هـ/١٣٢٨م	التنكزية	٢١	٦١٠هـ/١٢١٣م	البدرية
٧٢٩هـ/١٣٢٨م	دار الحديث التنكزية	٢٢	٦١٤هـ/١٢٠٧م	المعظمية
٧٣٠هـ/١٣٣٠م	الأمينية	٢٣	٦١٥هـ/١٢١٨م	الدركاة
٧٣٢هـ/١٣٣٢م	الفخرية	٢٤	٦٦٦هـ/١٢٦٨م	دار الحديث الهكارية
٧٣٢هـ/١٣٣٢م	دار الحديث الفخرية	٢٥	٦٩٥هـ/١٢٩٥م	الدوادارية
٧٤١هـ/١٣٤٠م	المالكية (الجوكندار)	٢٦	٦٩٨هـ/١٢٩٨م	الأوحدية

تابع جدول رقم (٤)

المدارس التي كانت قائمة في القدس في العهد العثماني

تاسيسها	المدرسة	الرقم	تاسيسها	المدرسة
٨١٠هـ/١٤٠٧م	الفنرية (الفنارية)	٤٨	٧٥٠هـ/١٣٤٩م	الفارسية
٨٢٧هـ/١٤٢٤م	الطولونية	٤٩	٧٥٣هـ/١٣٥٢م	الكيلانية
٨٣٢هـ/١٤٣١م	الباسطية	٥٠	٧٥٥هـ/١٣٥٢م	الخاتونية
٨٣٦هـ/١٤٣٣م	الغادرية	٥١	٧٥٩هـ/١٣٥٨م	الأرغونية
٨٣٦هـ/١٤٣٣م	القادرية	٥٢	٧٥٩هـ/١٣٥٨م	القشتمرية
٨٣٧هـ/١٤٣٤م	الحسنية	٥٣	٧٥٩هـ/١٣٥٨م	الحسنية
٨٣٩هـ/١٤٣٦م	العثمانية	٥٤	٧٦١هـ/١٣٦٠م	دار القرآن السلامية
٨٤٤هـ/١٤٤٠م	الجوهرية	٥٥	٧٦٢هـ/١٣٦١م	المنجكية
٨٧٢هـ/١٤٧٧م	خشقدم	٥٦	٧٦٢هـ/١٣٦١م	المحدثية
٨٨٥هـ/١٤٨٠م	المزهرية	٥٧	٧٦٣هـ/١٣٦٢م	الطازية
٨٨٥هـ/١٤٨٠م	الأشرفية	٥٨	٧٦٦هـ/١٣٦٥م	الجالقية
٨٩٧هـ/١٤٩٢م	الزمنية	٥٩	٧٦٨هـ/١٣٦٧م	البارودية
٨٩٧هـ/١٤٩٢م	الدلغارية	٦٠	٧٧١هـ/١٣٦٩م	الأسعدية
٩٤٨هـ/١٥٤١م	الرصاصية	٦١	٧٧٥هـ/١٣٧٣م	اللؤلوية
٩٦٠هـ/١٥٥٣م	الخاصكية	٦٢	٧٨١هـ/١٣٧٩م	الحنبلية
٩٧١هـ/١٥٦٣م	الحكمية	٦٣	٧٨٢هـ/١٣٨٠م	البلدية

القرن السابع عشر ميلادي	المنصورية	٦٤	٧٨٢هـ/١٣٨٠م	الطشتمرية
القرن السابع عشر ميلادي	مراد باشا	٦٥	القرن الرابع عشر ميلادي	الحمراء
١٠٣٥هـ/١٦٢٥م	الأسعدية	٦٦	٨٠٦هـ/١٤٠٣م	الطيلونية
١١٠٩هـ/١٦٩٨م	البسطامية	٦٧	٨١٠هـ/١٤٠٧م	الصبيبية
١١٠٩هـ/١٦٩٨م	السلطانية	٦٨	٨١٠هـ/١٤٠٧م	الكاملية

تابع جدول رقم (٤)

المدارس التي كانت قائمة في القدس في العهد العثماني

تأسيسها	المدرسة	الرقم	تأسيسها	المدرسة
—	الأحمدية	٨١	١١٠٩هـ/١٦٩٨م	القرقشندية
—	الحجرية	٨٢	١٢٨٤هـ/١٨٦٨م	الرشدية
—	الدهرية	٨٣	١٣٠٥هـ/١٨٨٨م	بتير
—	الفرهادية	٨٤	١٣٠٦هـ/١٨٨٩م	المكتب السلطاني
—	البرقونية	٨٥	١٣١٠هـ/١٨٩٣م	المالحة
—	الأباصيرية	٨٦	١٣٢٤هـ/١٩٠٦م	الرشيدية
—	القايتبائية	٨٧	١٣٢٤هـ/١٩٠٦م	روضة المعارف
—	الظافرية	٨٨	١٣٢٧هـ/١٩٠٩م	الدستورية
—	الكلية العربية	٨٩	١٣٣٣هـ/١٩١٥م	الكلية الصلاحية
—	دار المعلمات	٩٠	—	الصامتيه
--	صفا	٩١	—	الماوردية
			—	الجركسية

ومن خلال الجدول السابق يتبين أن هناك ٦٠ مدرسة في القدس قبل مجيء العثمانيين، وربما كان عددها أكثر من ذلك ؛ لأن هناك ١٤ مدرسة لم نعثر على تاريخ تأسيسها، ويتبين كذلك أن عدد المدارس التي أنشئت في العهد العثماني ١٧ مدرسة وربما يكون أكثر من ذلك لوجود ١٤ مدرسة بدون تاريخ، والنتيجة المهمة هي أن عدد المدارس الرسمية في القدس ٩١ مدرسة، وهذه النتيجة أقرب إلى ما قاله بدران بأن في القدس ٩٥ مدرسة ابتدائية وثلاث ثانوية كما مر ذكره، وعكس ما أورده الحصري أن في فلسطين كلها ٩٥ مدرسة حكومية فقط. ويتبين لنا من الجدول أن هناك العديد من مدارس البنات وهذا يدل على أن الإناث لم تُحرم من نعمة التحصيل في فلسطين في العهد العثماني، ولقد "بلغ عدد مدارس الإناث في متصرفية القدس وحدها ٥٦ مدرسة للبنات في سنة ١٩١٠م بين مدارس حكومية ومدارس خاصة"(١)، وهذا يدحض كل الاتهامات والشبهات التي ألحقت بالدولة العثمانية بخصوص تعليم الإناث.

قضاء يافا:

لقد أُعطيت فرصة التعليم في فلسطين لجميع رعايا الدولة العثمانية دون تمييز على أساس الدين والجنس واللغة، وهذا ما بدا واضحاً من خلال القوانين والنظم التي كانت تصدر، فلقد "نص نظام المعارف العمومية

---

١ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج١٠، ق٢، ص ١٣٨

الصـــادر سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩هــ على إنشاء مدرسة ابتدائية في كل محلة وقـــرية أو في كل محلتين أو قريتين على الأقل، على أن يتعهد الأهالي بدفع تكالـــيف الإنشـــاء ورواتب المعلمين، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، وتعد الدراســـة فـــي هـــذه المرحلة إلزامية لمن هم في سن العاشرة للبنات، ومن الســـابعة إلـــى الحاديـــة عشر للذكور، ولا يعفى من الالتحاق بهذه المرحلة ســـوى الأولاد الفقـــراء والمحتاجين وأصحاب العلل والعاهات"(١)، ويذكر "الدباغ" وجود ٩٥ قرية في يافا سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م(٢).

وبـــناء على هذا وحسب نظام المعارف فلابد أن يكون في يافا على الأقل أربعـــون مدرســـة، إلا أن الدبـــاغ نفسه يشير إلى وجود عشرين مدرسة في يافـــا في عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، منها أربع مدارس ابتدائية وواحدة رشدية، ويذكر أن المدارس الابتدائية كانت منتشرة في مختلف أحياء المدينة، أقدمها المدرســـة التي أنشئت في حي ارشيد، والثانية أقيمت في داخل القصبة عام ١٣٠٨هـــــ/١٨٩٠م والثالـــثة في حي العجمي في عام ١٣١٠هـ/١٨٩٢م والرابعة تأسست في عام ١٣١٣هـ/١٨٩٥م(٣).

---

١ - محمـــد ســـالم الطـــراونه: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧م، ص ٤٨٧

٢ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٤، ق ٢، ص٤٧

٣ - المرجع السابق، ص ص ٢٠٧، ٢٠٨

وفــي دراســته الحديــثة حول قضاء يافا ذكر الطراونة أن "المعلومات الواردة في ســالنامة• ولايــة ســورية ١٢٨٨هـــ/١٨٧١م تفيد أن هناك ثلاث مدارس ابتدائية للذكــور، وثلاثــة أخرى للبنات في مراكز القصبات الرئيسية، يافا، الرملة، اللد ونظراً لــتزايد الســكان فــي مدينة يافا فقد أُنشئت مدرستان أخريان للذكور([1])، هذا بالاضافة إلــى بعــض المدارس الابتدائية في القرى التابعة لقضاء يافا مثل قرى ساكنه، قزازه، بيــت دجــن، اليهودية، جمزو([2])، ومن أشهر المدارس الإسلامية التي ذكرها الطراونه فــي يافــا: مدرســة محمــد أمين باشا أبو نبوت، متسلم لواء غزة والرملة ويافا واللد والتــي كانــت ملحقة بالجامع الكبير الذي أنشأه داخل مدينة يافا سنة ١٢٢٣هــ/١٨١٠م، ومدرســة أخــرى أنشأتها عائشة كريمة الحاج عبد الرحمن حسين من أهالي محلة جــامع العــرب بالأســتانة والتي كانت تقيم في مدينة يافا آنذاك وكان ذلك سنة ١٣٢١ هـــ/١٩٠٣م ومدرســة ثالــثة أنشــأتها جمعية البر والإحسان في المدينة سنة ١٣٣١ هـــ/١٩١٣م، وأطلــق علــيها اسم مدرسة دار العلوم الإسلامية([3])، وأشار الطراونة أيضــاً إلــى وثيقة شرعية تعود لسنة ١٣٢١هــ/١٩٠٣م شملت وجود مدرسة لتدريس العلوم الشرعية في مدينة الرملة تقع بجوار الجامع الكبير([4]).

وفي ضوء ما سبق يتضح أن قضاء يافا كان فيه ٢٢ مدرسة.

• سالنامة: لفظ فارس مركب من سال: بمعني سنة، ونامة، بمعني دفتر، متداول في العصر العثماني بمعني التقويم أو الرزنامة [مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦، ص٢٣٤].

١ - محمد سالم الطراونه: قضاء يافا في العهد العثماني، مرجع سابق، ص ٤٨٨

٢ - المرجع السابق، ص ص ٤٨٨، ٤٨٩

٣ - المرجع السابق، ص ٤٩٤

٤ - المرجع السابق، ص ٤٩٤

الخليل:

تكتسب هذه المدينة أهمية خاصة من الناحية التعليمية لوجود الحرم الإبراهيمي، ويشير الدباغ إلى أنها عرفت التعليم في أول أمرها في الحلقات التدريسيه التي كانت تعقد فى الحرم الابراهيمى وفي مساجد القرية والزوايا، أما المدارس النظامية فقد تأسست في الخليل في عهد المماليك، ولكن في العهد العثماني تأسست فيها ثلاث مدارس ابتدائية في ثلاثِ من قرى القضاء، أقيمت على التوالي:

- في سنه ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م
- في سنه ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م
- في سنه ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م والراجح أنها أنشئت في بيت جبرين وبيت عطاب ودورا([1])، ويضيف الدباغ مدرسة رشدية بوشر بالتدريس فيها عام ١٣٠١هـ/١٨٨٤م([2])، وفي دراسةٍ حديثة عن قضاء الخليل يشير أبو بكر إلى أن "أقدم معلومات رسمية تعود إلى عام ١٨٧١م وتشير إلى وجود [٦] مدارس للمسلمين ضمت ٢٢٥ طالباً"([3])، وينقل أبو بكر عن سجلات محكمة الخليل الشرعية مدرستين للمسلمين من المدارس الست، وهي :

---

١ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج٥، ق٢، ص ٣٦

٢ - المرجع السابق، ص ١٣٥

٣ - أمين مسعود أبو بكر: قضاء الخليل ١٨٦٤ - ١٩١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، قسم التاريخ، ١٩٩٠، ص ٣٣٩

١- مكتب الرشديه القديمة، يقع بالقرب من بركة القزازين بجوار جامع القزازين.

٢- مكتب الرشديه يقع إلى الشرق من بركة السلطان وقد تم إنشاؤه عام ١٩٠٦م([1]).

فيما يذكر مجير الدين الحنبلي المولود في القدس سنة ٨٦٠هـ وجود مدرستين في الخليل من العهد المملوكي هما:

- المدرسة القيمرية عند باب المسجد الشمالي بالقرب من عين الطواشي.
- المدرسة الفخرية بالقرب من حارة الشعابنة([2]).

وربما كانت المدرستان من مجموع المدارس الست التي تحدث عنها أبو بكر، لذلك فإن الباحث يرى أن في الخليل عشرة مدراس على الأقل، أربعة ذكرها الدباغ وستة ذكرها أبو بكر بالإضافة إلى المكتب الرشدي الذي تم إنشاؤه في العام ١٩٠٦م ولربما كان قبل ذلك مدرسة ابتدائية من المدارس الست السالفة الذكر، وبذلك يكون عدد مدارس الخليل إحدى عشرة مدرسة.

غزة:

لقد كانت غزة تتبع متصرفية القدس كما سبق ذكره، وكان فيها مجلس للمعارف يرأسه المفتي أو أحد وجهاء المدينة، ومعه أربعة أعضاء فخريين من الأهليين وكاتب، وقد عهد لهذا المجلس بإدارة الشؤون المدرسية([3])،

---

١ - المرجع السابق، ص ٣٣٩

٢ - مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مرجع سابق، ج٢، ص ٧٩

٣ - عارف العارف: تاريخ غزة، القدس، مطبعة دار الأيام السورية، ١٩٤٣م، ص ٢٠٠

وفـــي معرض حديثنا عن المماليك نكرنا أن غزة كانت بعد مدينة القدس من الناحـــية العلمـــية، ولقد نكر العسلي مجموعة من المدارس التي أسست في غزة في العهد الأيوبي المملوكي منها:

- المدرسة الكاملية التي أسسها الملك الكامل الأيوبي(٦١٥هـ ــ ٦٣٥ هـ / ١٢١٨ ــ ١٢٣٨م)
- مدرسة سنجر الجاولي (٧١١هـ ــ ١٣١١م)
- المدرســـة الكجكية التي أسسها شاهين بن عبد الله الكجكي في أواخر القرن الثامن الهجري
- المدرسة البردبكيه نسبة إلى بردبك الدوادار (٨٥٩هـ ــ ١٤٥٥م)
- مدرســـة الســـلطان الأشـــرف قايتباي، أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي([1]).

وممـــا يـــدل علـــى أن هـــذه المدارس ظلت عامرة في العهد العثماني ما قاله العـــارف فـــي تاريخ غزة بأنه "في عهد نابليون قضى على البقية الباقية من سور غـــزة، وخـــرب جامع **البيمارستان**●، وجامع الجاولي ومدرسة قايتباي، والمدرسة

---

١ - كـــامل العســـلي: "التعلـــيم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث"، الموســـوعة الفلســـطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج ٣، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٤

● **البيمارستان:** كلمـــة فارســـية مركـــبة مـــن كلمتيـــن، بيمار: أي مريض، ستان: أي مكان أو دار [سهيل زكار: "فلســـطين في عهـــد المماليـــك- مـــن أواســـط القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي". الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج ٢ ، بيروت، ١٩٩٠م، ص٦٠١].

الكماليـة، وجـامع القلعـة، وزاويـة الشـيخ محمد أبي العزم([1]). أما فيما يتعلق بـالمدارس التي أنشئت في غزة في العهد العثماني فيذكر المبيض أن "أول مدرسة أنشـئت بمديـنة غزة في عام ١٨٨٧م بعد تولي السلطان عبد الحميد، وكانت تقع مكـان ما يسمى الآن مدرسة الرملة الإعدادية للبنات"([2])، هذه المدرسة انتقلت فيما بعـد إلـى البناء الجديد عام ١٩١١م الواقع أمام زاوية أبي العزم للجهة القبلية من مقـبرة علـي بن مروان([3])، والمبنى الجديد هو المبنى القديم السفلي بمدرسة هاشم بـن عـبد مناف الحالية، وأصبحت مدرسة رشدية عام ١٩٠٨م([4])، وكان بالقرب مـن المدرسـة الرشـدية يوجد مكتب بنات المسلمين([5])، وذكر "العارف" مدرسة ابتدائـية للأوقـاف أنشأها المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى عندما تسلم الأوقاف المدرسـة، وأنشئت بمكان يعرف بحاكورة الباز، وقد ألف المجلس لجنة من أعيان غـزة برئاسة مفتيها لتشرف على عمارتها المؤلفة من جناحين يفصلهما بهو كبير، وكـل قسم يتألف من أربع غرف وبهو كبير، واختارت اللجنة لها اسماً هو مدرسة الفلاح الإسلامية الوطنية([6]).

---

١ - عارف العارف: تاريخ غزة، مرجع سابق، ص ٢٠٩

٢ - سـليم المبـيض: "رواد المعـارف فـي غـزة ١٨٥٠-١٩١٧م"، المؤتمر الدولي الثاني للدراسـات الفلسـطينية [التعلـيم الفلسـطيني، تاريخاً - واقعاً - وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣-١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧م، ص ١١٤

٣ - عارف العارف: تاريخ غزة، مرجع سابق، ص ٢٥٩

٤ - إبراهيم سكيك: غزة عبر التاريخ، ج ٣، غزة، ١٩٨٠م، ص ٥٨

٥ - سليم المبيض: رواد المعارف في غزة، مرجع سابق، ص ١١٤

٦ - عارف العارف: تاريخ غزة، مرجع سابق، ص ص ٢٦٠، ٢٦١

ومــن المــدارس الأخرى التي ورد ذكرها في مخطوطة الطباع، مدرسة الطواشي بمحلة الجديدة من الشجاعية، والتي أنشئت في أواخر القرن الثامن الهجــري، ولقــد زارهــا العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي في أثناء رحلته لبلاد الشام ١١٠١هــ([1])، وذكر الطباع كذلك مدرسة الكاملية والجاولية([2])، ومدرســة الغصــين التــي أنشئت مكان مدرسة أنشأها الظاهر بيبرس سنة ١٦٢٧م، وهُدمــت ، فأعــاد بناءها قايتباي، وبعد الألف هجرية جددها والي غــزة حسين باشا فصارت تعرف باسمه وسميت المدرسة الحسينية واتخذها العلامــة عبد القادر الغصين مدرسة وزاوية([3])، وإلى تلك المدارس أضاف المبيض مدرسة جامع ابن عثمان في حي الشجاعية([4]).

وبالنســبة للبــنات وتعليمهــن في غزة فقد كانت ثلاث مدارس واحدة حكومية، وأخــرى بلديــة، وثالــثة أهلــية، بالإضــافة إلى وجود مدرسة للمكفوفين أنشأتها مصــلحة الوقــف قــبل الحرب العالمية ١٩١٤م والغاية منها تعليم العجزة القرآن الكــريم واســمها المدرســة الهاشمية، وهي واقعة في جامع السيد هاشم([5])، وفي العــام ١٨٤٣م قــام الشــيخ محمــد كمال الدين البكري ببناء مدرسة داخل الجامع

---

١ – عــثمان الطــباع: إتحــاف الأعزة في تاريخ غزة، تحقيق ودراسة، عبد اللطيف أبو هاشم، مج٢، غزة، مكتبة اليازجي، ص ص ١٤٠، ١٤١

٢ – المرجع السابق، ص ٢٢١-٢٢٤

٣ – عثمان الطباع: إتحاف الأعزة في تاريخ غزة، مرجع سابق، ص ١٨٤

٤ – سليم المبيض: رواد المعارف في غزة، مرجع سابق، ص ٩٩

٥ – عارف العارف: تاريخ غزة، مرجع سابق، ص ص ٢٦١، ٢٦٢

العمـــري الكبـــير أطلـــق عليها اسم "المدرسة العلمية"([1])، وأضاف الطباع مدارس أخـــرى فـــي غـــزة مثل: البسطية، ومدرسة الشيخ رضوان، ومدرسة عبد الرحمن الزيـــن، ومدرســـة السيدة رقية([2])، وعندما ذكر جامع البيمارستان الذي كان مقابل الجـــامع العمري الكبير قال بأنه كان يشمل على مدرسة ومكتبة ومستشفى وجنينة واســـعة، وقـــد تهدم هذا الجامع في أوائل القرن الثالث عشر هجري([3])، وأضاف المبـــيض وجـــود "مكتـــب الفنون" في غزة، والذي كان يطلق عليه " كتاب الفنون" ويقـــع داخـــل مسجد بزاوية أبي العزم عند الحافة الشرقية لمدينة غزة، وكان هذا المكتـــب عامـــراً في الثمانينيات من القرن التاسع عشر ميلادي ويتألف من أربعة فصـــول يـــدرس فـــيها باللغـــة التركـــية مواد الجغرافيا والتاريخ، ومبادئ العلوم الطبيعية واللغة العربية([4]).

ومـــن خـــلال عـــرض تلك المدارس في غزة في العهد العثماني تبين أن عددهـــا ٢٢ مدرسة، هذا بالإضافة إلى أن "الدباغ" يورد أن الحكومة التركية فتحـــت مدرسة في القسطينة لأولاد شيوخ القبائل، وشيدت مدرسة داخلية قبل الحـــرب العالمية الأولي في مدينة بئر السبع، وهي في قرية الكوفخة، ويذكر أنهـــا بنيـــت فـــي عهد المرحوم السلطان عبد الحميد الثاني([5])، وبذلك يكون عدد المدارس في غزة وبئر السبع ٢٤ مدرسة في العهد العثماني.

---

١ – سليم المبيض: رواد المعارف في غزة، مرجع سابق، ص ١٠١

٢ – عثمان الطباع: إتحاف الأعزة في تاريخ غزة، مرجع سابق، مج٢، ص ٢٦٩

٣ – المرجع السابق، ص ٢٢٨

٤ – سليم المبيض: رواد المعارف في غزة، مرجع سابق، ص ١١٧

٥ – مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، الديار الغزية، مرجع سابق، ج١، ق ب، ص ٢٧٩

وفــي ضــوء مــا سبق يمكن عرض مدارس متصرفية القدس من خلال جدول على النحو التالي:

جدول رقم (٥)

مدارس متصرفية القدس

القضاء	عدد المدارس	حتى عام
القدس	٩١	١٩١٥م
يافا	٢٢	١٩١٣م
الخليل	١١	١٩٠٦م
غزة	٢٢	١٩١٤م
بئر السبع	٢	١٩١٤م
المجموع	١٤٨	١٩١٥م

ومــن خــلال قراءة الجدول السابق يتضح لنا أن المدارس الحكومية في متصــرفية القــدس بلغت ١٤٨ مدرسة دون كتاتيب وزوايا وربط وخوانق، وقــد نقل "العسلي" عن أوليا جلبي الذي زار القدس سنة ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م أن مجمــوع عــدد المــدارس والزوايا في القدس بلغ حوالي ٣٦٠ مدرسة وزاويــة بين كبيرة وصغيرة([١])، فإذا كان في متصرفية القدس وحدها ٣٦٠ مدرسة وزاوية لغاية العام ١٦٤٩م فقد تم حصر اسم ٢٥ مدرسة أخري بعد

١ - كامل العسلي: معاهد العلم في بيت المقدس، مرجع سابق، ص ٥٣

هــذا التاريخ وورد ذكرها في الجدول [رقم ٤]، وبذلك يكون في متصرفية القــدس ٣٨٥ مدرســة وزاوية حتى العام ١٩١٥م، ولكن الباحث لم يتطرق هــنا إلـــى أعــداد الكتاتيب والزوايا والربط والخوانق ؛ لأن هذا يحتاج إلى دراسة خاصة.

ويتبيــن كذلــك من خلال الجدول أن مدينة القدس تحتل المركز الأول من حيث عــدد المــدارس، ليس في متصرفية القدس فقط بل ومقارنة مع المدن الفلسطينية جمــيعاً، وهــناك تشــابه في عدد المدارس بين يافا وغزة، وقلة عددها في الخليل وندرتهــا في بئر السبع وربما يعود السبب إلى عدد السكان وكذلك كون بئر السبع مــنطقة صــحراوية يعــيش فيها البدو، عكس يافا وغزة الساحليتن والقريبتين من المواصــلات واتصــالهما بالعلمــاء والرحالة، ووجود الأماكن الأثرية يلعب دوراً كبيراً في وجود مدارس لتلقي العلم فيها.

ثانياً : المدارس في لواء عكا

لقــد ســبقت الإشارة إلى أن هذا اللواء يتبع ولاية بيروت من الناحية الإدارية، وكــان يضــم أقضــية حيفا وصفد والناصرة وطبريا، أما من الناحية التعليمية فقد أورد "رافــق" جــدولاً يلاحظ من خلاله أن عكا تحتل المكانة الأولى من حيث عدد المكاتــب والطلاب في سنة ١٨٨٤–١٨٨٥م حيث كان عدد المكاتب الابتدائية ٤٥ مكتــباً وعــدد الطلاب ١٢٥٧ طالباً(١)، وفيما يتعلق بهذه المدارس في مدينة عكا

---

١ – عــبد الكــريم رافق: "فلسطين في عهد العثمانيين: (١) من مطلع القرن العاشر الهجري/ الســادس عشــر المــيلادي إلى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، (٢)

نفسها والعديد من القرى فقد أورد غنايم المدرسة الأحمدية التي أنشأها أحمد باشا الجزار في عكا، سنة ١١٩٦هـ/١٧٨١م بالقرب من الجامع الذي أقامه في المدينة([1])، وأضاف "غنايم" أن عكا كانت تضم في أوائل سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م أربعة مكاتب ابتدائية، اثنين للذكور واثنين للإناث([2])، هذا وقد أنشئت في عكا مدرسة رشدية سنة ١٨٧٦م، وفي سنة ١٨٩٧م أنشأت الجمعية الأدبية الخيرية مدرسة بلغ عدد تلامذتها الخمسين، ومعلميها أربعة، كما أنشأت الجمعية مدرسة للبنات([3])، وعكا هي المدينة الوحيدة في اللواء التي أنشئ فيها مكتب إعدادي، وقد صدر القرار بإنشائه سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م وضم ٧٠ طالباً في سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م([4]). هذا فيما يتعلق بمدينة عكا، أما بالنسبة للمدارس في قرى عكا فقد حدد غنايم مجموعة من المدارس بأسماء القرى التي أنشئت فيها، وتاريخ تأسيس كل مدرسة وهي كما في الجدول التالي:

من مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي إلى العام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م"، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج٢، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٩٣٦، جدول رقم (٥ - ٥)

١ - زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٦٧

٢ - المرجع السابق، ص ٢٧١

٣ - عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة، مرجع سابق، ص ٦٦

٤ - زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩م، ص ٢٧٣

جدول رقم (٦)

أسماء بعض المدارس في لواء عكا وأماكنها وتواريخ تأسيسها

الرقم	المدرسة	تأسيسها
١	مجد الكروم	١٢٩٨هـ/١٨٨٠م
٢	المكر	١٢٩٩هـ/١٨٨٢م
٣	البروة	١٢٩٩هـ/١٨٨٢م
٤	البصة	١٢٩٩هـ/١٨٨٢م
٥	الزيب	١٢٩٩هـ/١٨٨٢م
٦	يركا	١٣٠٣هـ/١٨٨٥م
٧	العباسية	١٣٠٣هـ/١٨٨٥م
٨	الدامون	١٣٠٣هـ/١٨٨٥م
٩	كويكات	١٣٠٣هـ/١٨٨٥م
١٠	سحماتا	١٣٠٣هـ/١٨٨٥م
١١	شعب	١٣٠٤هـ/١٨٨٦م
١٢	عمقا	١٣٠٤هـ/١٨٨٦م
١٣	دير حنا	١٣٠٤هـ/١٨٨٦م
١٤	البقيعة	١٣٠٥هـ/١٨٨٧م
١٥	طمرة	١٣٠٥هـ/١٨٨٧م
١٦	سخنين	١٣٠٥هـ/١٨٨٧م
١٧	عرابا	١٣٠٥هـ/١٨٨٧م
١٨	نحف	١٣٠٥هـ/١٨٨٧م

ولقد أضاف الدباغ أسماء قرى أخرى في عكا أنشئت فيها مدارس وهي:

- الجديدة ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م
- الغابسية ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م
- ميعار ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م(١).

وقد ذكر رافق وجود مكتب ابتدائي في قرية (فراضية) سنة ١٣١١هـ/ ١٨٣٩م ومدرسة في قرية اعبلين تأسست في السنة نفسها وأخرى في قرية شفا عمر(٢).

حيفا:

من الواضح أن مدينة حيفا تقع على الشاطئ الجنوبي لخليج عكا، وهي تنتشر على سطح جبل الكرمل، وهي إحدى المدن التابعة للواء عكا في العهد العثماني، وفي حيفا اهتم السكان بالناحية التعليمية كباقي المدن الفلسطينية، ولوحظ إنشاء المدارس الحكومية في نهاية القرن التاسع عشر فمثلاً في سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م افتتحت الدولة العثمانية مكتباً ابتدائياً للإناث في المدينة ضم ٢٥ طالبة، وفي سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م أنشأت أيضاً مدرسة رشدية بلغ عدد طلابها سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م ٢٠ طالباً

---

١ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج٧، ق٢، ص ٣٥٤-٣٨٤

٢ - عبد الكريم رافق: "فلسطين في عهد العثمانيين: (٢) من مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي إلى العام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م"، مرجع سابق، ص ٩٣٨، جدول رقم (٥-٧)

يعلمهم معلمان([1])، والكتاب السنوي لوزارة المعارف العمومية العثمانية لعام ١٣١٩هـ/١٩٠١م ذكر أيضاً تأسيس مدرسة في الحي الشرقي من حيفا سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م([2])، أما فيما يتعلق بالمدارس في القرى التابعة لقضاء حيفا، فقد ذكر غنايم أسماء تلك المدارس وتاريخ إنشائها كالتالي([3]):

جدول رقم (٧)

المدارس في القرى التابعة لقضاء حيفا وتاريخ إنشائها

الرقم	القرية	تأسيسها
١	مدرسة كفر لام	١٢٩٩هـ/١٨٨٢م
٢	مدرسة عرعرة	١٢٩٩هـ/١٨٨٢م
٣	مدرسة قيسارية	١٣٠١هـ/١٨٨٣م
٤	مدرسة عين غزال	١٣٠٢هـ/١٨٨٤م
٥	مدرسة جبع	١٣٠٢هـ/١٨٨٤م
٦	مدرسة بلد الشيخ	١٣٠٣هـ/١٨٨٥م
٧	مدرسة الريحانية	١٣٠٤هـ/١٨٨٦م
٨	مدرسة عرب الغبيات	١٣٠٥هـ/١٨٨٧م

---

١ - زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٧٣، عن/ سالنامة ولاية بيروت لعام ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، ص ص ٢٤١، ٢٤٢

٢ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج٧، ق٢، ص ٤٩٩

٣ - زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٧٢، عن/ ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية، مرجع سابق، ص ٣٣١-٤٤٦

١٣٠٥هـ/١٨٨٧م	مدرسة اجزم	٩
١٣٠٥هـ/١٨٨٧م	مدرسة عين حوض	١٠
١٣٠٦هـ/١٨٨٨م	مدرسة الفريديس	١١
١٣٠٦هـ/١٨٨٨م	مدرسة الطنطورة	١٢
١٣٠٦هـ/١٨٨٨م	مدرسة دير الكرمل	١٣
١٣٠٦هـ/١٨٨٨م	مدرسة الكفرين	١٤
١٣٠٦هـ/١٨٨٨م	مدرسة عسفيا	١٥
١٣٠٦هـ/١٨٨٨م	مدرسة أم الزينات	١٦
١٣٠٦هـ/١٨٨٨م	مدرسة الغابية	١٧

وقد ذكر "الحصري" تلك المدارس أيضاً وأضاف إليها مدرسة البريكة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م([١]).

وأضاف "رافق" عدداً آخر من المدارس في قضاء حيفا في العام ١٣١١ هـ/١٨٩٣-١٨٩٤م مبيناً عدد الطلاب في كل واحدة منها([٢]):

١ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج٧، ق٢، ص ٦١٣

٢ - عبد الكريم رافق: فلسطين في عهد العثمانيين، ص ٩٣٨، جدول رقم (٥-٧)

جدول رقم (٨)

المدارس في قضاء حيفا في العام ١٣١١هـ/١٨٩٣-١٨٩٤م وعدد الطلاب في كل منها

الرقم	مكان المدرسة	أعداد الطلاب الذكور
١	محلة غربية	٥٠
٢	قرية طيرة	٤٠
٣	قرية قيرة	٢٠
٤	قرية سنديانه	١٥
٥	قرية صرفند	١٠
٦	قرية كفر قرع	٢٥
٧	قرية صبارين	٤٠
٨	محلة شرقية	٣٠
٩	قرية كفر حتا	٥
١٠	قرية أم الشوف	١٥
١١	قرية جيزة	٥
١٢	قرية عتليت	٥
١٣	قرية كريكة	٥
١٤	قرية باقة شرقية	٥
١٥	قرية دالية الكرمل	٥
١٦	قرية عقبا	١٥

ومن خلال الجدولين السابقين يتضح لنا أن جميع المدارس في حيفا قد أنشئت في الفترة ما بين ١٨٨٢-١٨٩٤م، مما يدل على أن المدينة عاشت تطوراً كبيراً في التعليم في فترة أثني عشر عاماً، ومن خلال ذلك يتبين لنا أن عدد المدارس الموجودة في حيفا حتى تلك الفترة كانت ٣٧ مدرسة، ولا يعتقد الباحث أن هذا هو العدد النهائي للمدارس في حيفا بخاصة أنها مدينة ساحلية مهمة في فلسطين، وأنها افتقرت للمدارس في القرن السادس والسابع عشر الميلاديين، حتى وإن كان ذلك العدد هو النهائي فإن العثمانيين بذلك أعطوا هذه المدينة اهتماماً بالغاً ببناء هذا العدد الكبير من المدارس في هذه الفترة المحدودة.

صفد:

إن قضاء صفد يتبع لواء عكا أيضاً، ولا تكاد أحوال التعليم فيه تختلف عن قضاء حيفا فقد شهد إنشاء العديد من المدارس في نهاية القرن التاسع عشر، ويذكر بعضاً منها غنايم، ففي سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٧م أنشئت مدرسة رشدية في صفد ضمت ٢٥ طالباً سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م، وفي سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥م افتتحت مدرسة للإناث في مدينة صفد([1])، وقد جاء في الكتاب السنوي لوزارة المعارف العثمانية لعام ١٣١٩هـ/١٩٠١م أنه في كل من القرى الخمس الآتية مدرسة واحدة للبنين([2]):

---

١ - زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٧١

٢ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج٧، ق٢، ص ٧٠

جدول رقم (٩)

مدارس البنين في قرى صفد وتاريخ تأسيسها

تأسيسها	القرية	الرقم
١٢٩٨هـ/١٨٨٠م	الحسينيه	١
١٣٠١هـ/١٨٨٣م	الجاعونة	٢
١٣٠٤هـ/١٨٨٦م	عين الزيتون	٣
١٣٠٧هـ/١٨٨٩م	سعسع	٤
١٣٠٧هـ/١٨٨٩م	صفصاف	٥

وأضاف "غنايم" مدراس أخرى في القرى التالية في صفد([1]):

جدول رقم (١٠)

مدارس أخرى في قرى صفد وتاريخ تأسيسها

تأسيسها	القرية	الرقم
١٢٩٨هـ/١٨٨٨م	ترشيحا	١
١٣١٩هـ/١٩٠١م	برعم	٢
١٣١٩هـ/١٩٠١م	الجش	٣
١٣١٩هـ/١٩٠١م	ديشوم	٤

١ - زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٧١

وهـــناك أربـــع مدارس أخرى أنشئت في قرى صفد ذكرها "رافق" مبيناً أعداد الطلاب فيها في العام ١٣١١هـ/١٨٩٣-١٨٩٤م وهي:

جدول رقم (١١)

مدارس أخرى في قرى صفد وأعداد طلابها الذكور

الرقم	القرية	أعداد الطلاب الذكور
١	قرية علما	٢٠
٢	قرية بيت جن	٢١
٣	قرية بقيعة	١٥
٤	قرية دير القاصي	١٨

ومـــن خـــلال الجداول السابقة يتضح وجود ١٨ مدرسة في قضاء صفد وهـــذا العـــدد من المدارس لغاية العام ١٨٩٥م وربما ظل هذا العدد ثابتاً أو زاد قليلاً في نهاية العهد العثماني.

الناصرة:

لقـــد ظـــل هذا القضاء تابعاً للواء عكا كبقية الأقضية السابقة، لكنه فصل فـــي سنة ١٩٠٦م عن لواء عكا وألحق بالقدس، وأحدث هذا دهشة بالغة لأنه تجـــاوز لواء نابلس وألحق بلواء القدس(١)، أما من الناحية التعليمية ووجود المـــدارس فـــي هـــذا القضاء ففي سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م أنشأ أسعد أفندي

---

١ - أسعد منصور: تاريخ الناصرة، الناصرة، دار الهلال، ١٩٢٣، ص ١٠٢

قائمقـــام الناصرة، مكتباً ابتدائياً للذكور، وفي السنة نفسها أنشأ مكاتب ابتدائية أخـــرى للذكور في قرى صفورية والمجيدل وكفر كنا، وفي سنة ١٣٠٤هـــ/ ١٨٨٧م فتح مكتباً ابتدائياً للإناث في الناصرة([1]).

وأنشـــأ شكري العسلي قائمقام الناصرة عدداً من المكاتب في قرى القضاء فيها سـنة ١٣٢٨هـــــ/١٩١٠م ثــلاث مــدارس ابتدائــية للذكــور في قرى المجيدل وصـــفورية ودبوريـــة، بعد أن تعهد الأهالي بالإنفاق عليها([2])، وفي ولاية بيروت ذكـــرت مدرســـة في قرية الرينة أثناء الحرب العالمية الأولي([3])، وذكر الدباغ أن الكـــتاب الســـنوي الذي أصدرته وزارة المعارف العثمانية لعام ١٣٢١هـــ/١٩٠٣ أورد ثـــلاث مــــدارس فــــي قضـــاء الناصـــرة، واحدة في سولم والثانية في أندور بالاشـــتراك مـــع نيـــن، وثالثة في الناعورة بالاشتراك مع تمرة ([4])، وبذلك يكون عـــدد المـــدارس الحكومـــية فـــي الناصـــرة حتى الحرب العالمية الأولى هو ١٢ مدرسة.

طبـريا:

وتعتـــبر طـــبريا القضاء الخامس التابع للواء عكا، ولقد أنشئت فيها عدة مـــدارس أورد الكـــتاب الســـنوي لـــنظارة المعارف العمومية العثمانية لعام

---

١ - زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٧٠

٢ - المرجع السابق، الصفحة نفسها

٣ - محمـــد بهجـــت، ومحمد رفيق التميمي: ولاية بيروت-القسم الجنوبي، بيروت، مطبعة الإقبال، ١٩١٧م، ص٣٨٤

٤ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج٧، ق٢، ص ٣١

١٣٢١هـ/١٩٠٢م أن عدد القرى التي فيها مدارس بلغت في العام المذكور خمس وهي: لوبيا وحطين وكفر كما، وحدثا، ومعذر(١)، إلا أنه ذكر في العام ١٩١٤م أنه في ولاية بيروت زادت هذه المدارس لتصبح أثناء الحرب العالمية الأولى سبع وهي: سمخ، ولوبيا، ونمرين، وكفر كما، والعبيدية وحطين(٢)، ونقل "غنايم" عن صحيفة المقتبس أنه كان في طبريا سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م مكتب ابتدائي للذكور افتتح سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٦م، وضم ١٠٠ طالب، ومكتب ابتدائي للإناث ضم ٣٢ طالبة تدرسهن معلمتان، إضافة إلى مكتب رشدي افتتح سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م(٣)، وحسب الكتاب السنوي السادس لوزارة المعارف العمومية العثمانية لعام ١٣٢١هـ/١٩٠٢ ذكر الدباغ أنه أنشئ في طبريا عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م مدرسة ابتدائية تقيم في جامع الظاهر الزيداني (٤)، وأضاف رافق إلى هذه المدارس وجود مكتبين في العام ١٣١١هـ/١٨٩٣-١٨٩٤م، الأول في قرية بورية وعدد طلابه ٦٥ طالباً، والثاني في قرية جيني زوقاغي وعدد طلابها ٢٠ طالباً(٥).

---

١ - المرجع السابق، ص ٣١

٢ - محمد بهجت، ومحمد رفيق التميمي: ولاية بيروت، القسم الجنوبي، مرجع سابق، ص ٣١

٣ - زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٧٤

٤ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج٦، ق٢، ص ٣٣٠

٥ - عبد الكريم رافق: فلسطين في عهد العثماني (٢) الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق، مج٢، ص٩٣٩، جدول رقم (٥-٧)

ومـــن خلال العرض لهــذه المدارس تبين وجود ١٤ مدرسة في طبرية علـــى الأقل، أربع منها في المدينة وعشرة في القرى، واستناداً إلى الجداول السـابقة الخاصــة بلواء عكا يتبين أن عدد المدارس الحكومية في اللواء كله ١٢٦ مدرسة موزعة على النحو التالي(١):

جدول رقم (١٢)

المدارس الحكومية في لواء عكا موزعة حسب القضاء

الرقم	القضاء	عدد المدارس
١	عكا	٤٥
٢	حيفا	٣٧
٣	صفد	١٨
٤	الناصرة	١٢
٥	طبريا	١٤
	المجموع	١٢٦

وفي ضوء الجداول السابقة لمدراس لواء عكا يمكن توزيعها كالتالي:

---

١ - المرجع السابق، ص٩٣٨، جدول رقم (٥-٧)

جدول رقم (١٣)

مدراس لواء عكا موزعة حسب القضاء والقرى والمدن

الرقم	القضاء	عدد المدارس: المدن	عدد المدارس: القرى	حتى عام
١	عكا	٩		١٩١٤م
			٢٤	١٨٩٧م
٢	حيفا	٣		١٨٨٩م
			٣٤	١٨٩٤م
٣	صفد	٢		١٨٩٥م
			١٦	١٩٠١م
٤	الناصرة	٢		١٨٨٧م
			١٠	١٩١٤م
٥	طبريا	٤		١٨٨٧م
			١٠	١٩١٤م

ومـــن خـــلال قراءة هذا الجدول يتضح أن عدد المدارس في القرى أكثر مـــن المـــدن، وهذا يدل على أن الدولة العثمانية لم تحرم الأهالي في القرى مـــن التعلـــيم، ويـــبدو كذلك أن معظم تلك المدارس أنشئت في نهاية القرن التاســـع عشـــر، وهـــذا يؤكد حركة التطور التي حصلت في التعليم في عهد التنظـــيمات، وإصرار الدولة العثمانية على وجود مدرسة في كل قرية ،ومن خـــلال ذلك استطاعت الدولة العثمانية تطبيق مبدأ إلزامية التعليم، وهذا يُعد

اتجاهـــاً إيجابـــياً فـــي سياسة الدولة العثمانية التعليمية ويتفق مع الاتجاهات المعاصرة في التعليم.

وبالنســـبة لأعـــداد المدارس فهو ١٢٦ مدرسة ، ولا يعتقد الباحث أن هذا هـــو العـــدد النهائي، فعلي سبيل المثال يظهر الجدول وجود ٣٣ مدرسة في عكـــا بيـــنما ذكر رافق وجود ٤٥ مدرسة في عكا وحدها، وبناء عليه يكون عـــدد المدارس في هذا اللواء ١٣٨ مدرسة ، وهذا يعني أن لواء عكا لا يقل أهمـــية فـــي عدد المدارس عن متصرفية القدس التي بلغ عدد المدارس فيها ١٤٨ مدرسة، بمعني أنه يأتي في المرتبة الثانية من حيث عدد المدارس.

ثالثاً: المدارس في لواء نـابـلس

إن هـــذا اللـــواء يتبع ولاية بيروت كما سبق ذكره في التقسيمات الإدارية لفلســـطين، وكـــان يضم قضاء نابلس وقضاء جنين وقضاء طولكرم وناحية بيســـان، وظـــل كذلـــك حـــتى نهاية الحرب العالمية الأولي، أما من الناحية العلمـــية فقـــد رأى الدباغ أن سكان نابلس عرفوا بحبهم للعلم منذ القدم، كما اشـــتهر أبـــناؤها بذكائهم وفطنتهم، وقلما نجد في العهد العثماني قرية بدون مدرســـة، ففـــي الإحصـــاءات التي أوردها الكتاب السنوي لوزارة المعارف العثمانـــية الصـــادرة عـــام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، ذكر بأن مجموع المدارس القـــروية التي أنشأها العثمانيون في الديار النابلسية حتى ذلك العام بلغت ٩٠ مدرسة ابتدائية توزع كما يلي :

قضاء نابلس ٤٧ مدرسة

قضاء جنين ٣٠ مدرسة

قضاء طولكرم ١٣ مدرسة([1]).

وقد نقل الدباغ _ عن سالنامة نظارة معارف عمومية_ أسماء قرى نابلس التي كان العثمانيون قد أنشأوا فيها ٤٧ مدرسة حتى عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م وهي كالتالي([2]):

جدول رقم (١٤)

أسماء قرى نابلس التي كان العثمانيون قد أنشأوا فيها ٤٧ مدرسة حتى عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م

دير بلوط	٤٣	دير استيا	٣٦	الساوية	٢٩	ياسوف	٢٢	سلفيت	١٥	مردا	٨	جماعين
عقرباء	٤٤	الزاوية	٣٧	سنيرية	٣٠	كفر الديك	٢٣	ابروقين	١٦	بديا	٩	فرخة
بيت ايبا	٤٥	عورتا	٣٨	روجيب	٣١	بيت فوريك	٢٤	بيت دجن	١٧	سالم	١٠	عزموط
اماتين	٤٦	رفيديا	٣٩	قريوت	٣٢	تلفيت	٢٥	قبلان	١٨	قصرى	١١	بيتا
برقة	٤٧	عينبوس	٤٠	حوارة	٣٣	جيت	٢٦	تل	١٩	بورين	١٢	كفر قليل
		بيت امرين	٤١	سبسطية	٣٤	دير شرف	٢٧	كفر قدوم	٢٠	حجة	١٣	جنصافوت
		حارس	٤٢	عقابة	٣٥	طوباس	٢٨	طمّون	٢١	طلوزة	١٤	عصيرة الشمالية

---

١ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٢، ق٢، مرجع سابق، ص ص ٥٤،٥٥

٢ - المرجع السابق، ص ٨٩

وقـــد جـــاء فـــي كـــتاب ولاية بيروت أنه في "قضاء مركز نابلس ٥٣ مكتباً ابتدائـــياً للذكـــور مـــنها أربعـــة نموذجات في قصبة نابلس، وفي المركز ثلاثة مكاتـــب ابتدائـــية للإنـــاث"([1])، إلا أنه فيما يتعلق بعدد المكاتب في قرى نابلس ذكـــر المصـــدر نفســـه بأنها ٤٩ مكتباً([2])، وهذا يدل على أن عدد المدارس في نـــابلس ٥٦ مدرســـة وليس ٤٧ مدرسة، ولربما كان القصد من كلمة "نموذجات" يعنـــي مـــدارس رســـمية وكبـــيرة والدلـــيل على ذلك أن الدباغ عندما صنف المدارس الموجودة في مدينة نابلس في العام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م قال بأنها:

أ- **مدارس رسمية، وعددها أربعة، اثنتان ابتدائيتان:**

الأولى: تأسست عام ١٢٩٧م/ ١٨٨٠م في حي الحبلة

الثانية: أقيمت بعد ذلك بسنتين ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م

الثالـــثة: رشدية تأسست عام ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م في الحي الغربي من المدينة

الرابعة: المدرسة الإعدادية أنشئت عام ١٣١٣هـ/١٨٩٦م

ب- **مدراس إسلامية:** مدرستان

الأولى: في حي الحبلة تحمل اسم الصلاحية

الثانية: تحمل اسم الحي الموجودة فيه (القريون)([3]).

---

١ - محمد بهجت، ومحمد رفيق التميمي: ولاية بيروت، القسم الجنوبي، مرجع سابق، ص ص ١٧٣، ١٧٤

٢ - المرجع السابق، ص ١٧٥

٣ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج٢، ق٢، ص ٢١٣

ويتحدث النمر كذلك عن وجود أربع مدارس في نابلس ظلت عامرة حتى القرن الحادي عشر الهجري لكنه لم يذكر أسماءها أو تاريخ إنشائها(١)، إلا أنه في موضع آخر ذكر تأسيس ثلاث مدراس أخرى في نابلس وهي في سنة ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م تأسست مدرسة ابتدائية في الجهة الغربية من سوق السلطان، أطلق عليها مكتب الخان، ثم يليها مدرسة أعلى منها تسمى مكتب الرشدية، وقد أسست سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٨م، وكانت دارها بجانب السراية القديمة (ساحة المنارة) وفي سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٣م، تلتها مدرسة أخرى باسم مكتب الإعدادي(٢) وربما كانت المدرسة الأولى هي المدرسة نفسها التي ذكرها الدباغ في حي الحبلة والتي تأسست عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٢م.

وتعتبر مدرسة العماد بن بدران أقدم مدرسة في نابلس وبنيت في عام ٦٨٠هـ/١٢٨٠م وتليها مدرسة القاضي فخر الدين التى بنيت في بداية القرن الرابع عشر(٣)، ويؤكد هذا الخالدي في رحلات النابلسي إلى الشام،حيث إنه عندما واصل سيره إلى نابلس خرج أهلها للقائه حتى دخل مدرسة الشيخ بدران(٤)، وربما كانت هاتان المدرستان اللتان تحدث عنهما الدباغ في حي الحبلة (الصلاحية) وفي حي القريون.

---

١ - إحسان النمر: تاريخ نابلس والبلقاء، مرجع سابق، ج١، ص ٢١٣

٢ - المرجع السابق، ج٤، ص ٩٧

٣ - عبد الله القطشان: التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني، مرجع سابق، ص ٢٥

٤ - أحمد سامح الخالدي: رحلات في ديار الشام، مرجع سابق، ص ٤٥

ومن خلال هذا العرض لمدارس نابلس يتضح أن عددها كالتالي:

٤٩ مدرسـة في القرى، ١٢ مدرسة في المدينة مما يعني وجود ٦١ مدرسة فـي قضـاء نابلس وبذلك تكون نابلس أكبر ثاني مدينة من حيث عدد المدارس فـي العهـد العثماني بعد القدس التي بلغ عدد مدارسها ٩١ مدرسة، وهذا يؤكد بـالفعل مـا قالـه الدباغ بأن أهل نابلس عرفوا بحبهم للعلم ويؤكد أيضاً مدى الـتزام الدولـة العثمانـية واستجابتها لإقامة هذا العدد من المدارس في نابلس، ويؤكـد هـذا ما قاله النمر بأن "الأستاذ شريف صبوح مفتش المعارف أكد بأن تأسـيس مدرسـة في كل قرية يعود فضله للعهد العثماني وليس لعهد الانتداب، وان بعـثات مدينة نابلس واللواء كانت تفد إلى الأزهر الشريف وإلى دار العلوم بمصـر، والجامعـات العالية في بيروت واستنبول بحيث بلغت نسبة طلاب لواء نـابلس فـي جامعـة اسـتنبول العثمانـية أعلى نسبة بين ألوية الدولة العثمانية جمـيعها الـبالغة نحـو مائتي لواء([1]) وهذا يدل أيضاً على أن التعليم في نابلس وصـل إلـى مـرحلة راقـية، ومما يدعو إلى الاعتزاز بذلك ما جاء في ولاية بـيروت أنـه قـد تـم تأسيس مكتب حضانة تحت عنوان "مكتب الإناث الليلي" وكـان لكـل ولـد يـتراوح سـنه من الأربع سنين إلى الستة أن يدخل مكتب الحضـانة سـواء كان غلاماً أو ابنة([2])، ومن هنـا يبدو أن فرص التعليم كانت متوفرة حتى للأطفال في فلسطين في عهد الدولة العثمانية.

---

١ - إحسان النمر: تاريخ نابلس والبلقاء، مرجع سابق، ج٣، ص ص ١٢٩، ١٣٠

٢ - محمد بهجت، ومحمد رفيق التميمي: ولاية بيروت، القسم الجنوبي، مرجع سابق، ص ص ١٧٣،١٧٤

قضاء جنين:

يتبع هذا القضاء لواء نابلس كما سبق ذكره، ويشتمل هذا القضاء على ٧٠ قرية(١) ومن الناحية التعليمية ورد ذكر مكتبين ابتدائيين في قصبة جنين أحدهما للذكور والآخر للإناث، في الأول أكثر من ٢٠٠ طالب وفي الثاني ٦٠ طالبة(٢)، بينما ذكر القطشان أن تلك المدارس كانت ثلاثة في مدينة جنين، وأن الحكومة العثمانية أسست أول مدرسة ابتدائية للبنين سنة ١٨٨٠م، ومدرسة رشيدية ١٨٨٦م ومدرسة للبنات ١٩١٤م(٣).

أما فيما يتعلق بالمدارس في قرى قضاء جنين فقد ورد في الكتاب السنوي لوزارة المعارف العثمانية الصادر في عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م أنها ٣٠ مدرسة تأسست في القرى التالية(٤):

جدول رقم (١٥)

أسماء قرى جنين التي كان العثمانيون قد أنشأوا فيها المدارس

نورس	٢٦	الجلمة	٢١	أم الفحم	١٦	سيلة الحارثية	١١	برقين	٦	عرابة
صانور	٢٧	ميثلون	٢٢	جبع	١٧	سيلة الظهر	١٢	كفر راعي	٧	يعبد
كفر دان	٢٨	قباطية	٢٣	الطيبة	١٨	رمانه	١٣	عجة	٨	سيريس
اليامون	٢٩	كفر قود	٢٤	مسلية	١٩	دير أبو ضعيف	١٤	عنزة	٩	رابا
جلبون	٣٠	زرعين	٢٥	فقوعة	٢٠	عرقة	١٥	البارد	١٠	مقيبلة

---

١ – محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص ٢٧٥

٢ – محمد بهجت، ومحمد رفيق التميمي: ولاية بيروت، القسم الجنوبي، مرجع سابق، ص ٢٢١

٣ – عبد الله القطشان: التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني، مرجع سابق، ص ٢٥

٤ – مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج٣، ق٢، ص ٣١

هـذا بالإضـافة إلى ناحية بيسان التي كانت تعتبر من نواحي **جنين** في نهاية الحكم العثمانـي، وقـد أشـار الكتاب السنوي لوزارة التعليم العثماني بأن منطقة بيسان زودت بـثلاث مـدارس فـي قرية شطة، قومية، وأخرى في مدينة بيسان([1]) وبذلك يصبح عدد المدارس في قضاء **جنين** في العهد العثماني حتى سنة ١٩١٤م ٣٦ مدرسة.

قضاء طولكرم:

هـذا القضـاء أحدثـه العثمانيون عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، ودُعي باسم قضاء بني صـعب، ومركـزه **طولكرم**، وفـي عـام ١٩١٠م كـان يضـم ٤٤ قرية ومدينتي **طولكرم** وقلقيلـية([2]) ولقـد عـرف سكان هذا القضاء بعنايتهم في تحصيل العلم وقد ظهـرت فـيه حـركة علمـية نشيطة منذ أواخر القرن الماضي، ففي الكتاب السنوي الـذي أصـدرته وزارة المعارف العثمانية لعام ١٣٢٠هـ/١٩٠٣م، أنه في قضاء بني صـعب ١٣ مدرسـة أنشـئت فـي القـرى التالية ([3]): بلعا، الطيبة، قلقيلية، شويكة، قـاقون، باقـة الغربـية، علار، دير الغصون، بيت ليد، عزون، كفر قاسم، قفين، كفر ثلث.

وأضـاف الدبـاغ عـدداً مـن القرى التي كانت فيها مدارس في طولكرم في العهد العثماني وهي(٤): عتيل، باقة الشرقية، نزلة عيسى، أرتاح، فرعون، كفر عبوش.

ولكـن رافقـاً ذكر عدداً آخر من المدارس في قرى بني صعب في العام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣-١٨٩٤م وأعداد الطلاب فيها(١):

---

١ - عبد الله القطشان: التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني، مرجع سابق، ص ٢٦

٢ - مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج٣، ق٢، ص ٢٢٩

٣ - المرجع السابق، ص ٢٤١

٤ - المرجع السابق، ص ٣٢٥-٣٢٧

جدول رقم (١٦)

المدارس في قرى بني صعب وأعداد الطلاب الذكور

الرقم	القرية	أعداد الطلاب الذكور
١	طيرة	٤٨
٢	كور	٣٧
٣	كفر سابا	٥٥
٤	عنبتا	٧٩
٥	زيتا	٥٠
٦	كفر زيباد	٦٤
٧	كفر صور	٣٠
٨	بني صعب	١٥٠

وبذلك يكون عدد المدارس في القضاء ٢٧ مدرسة مع العلم أنه ورد في ولاية بيروت أن عدد المكاتب في القضاء بلغ ٢٥ مدرسة من ضمنها مكتب قرية عنبتا الذي كان يضم ٩٠ طالباً ومكتب قرية كفر اللبد (لعلها كفر زيباد) ومكتب قرية ننابة ([2])، وبمدرسة ننابه يصبح عدد المدارس ٢٨ مدرسة، بالرغم من أن القطشان يرجح وجود مدرستين رسميتين في طولكرم إضافة إلى ذلك([3])، وبذلك يصبح عدد المدارس في قضاء طولكرم حتى العام ١٩١٤م ٣٠ مدرسة، وبناءً على ما سبق يمكن توزيع مدارس لواء نابلس في الجدول التالي:

---

١ - عبد الكريم رافق: "فلسطين في عهد العثمانيين: (٢) من مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي إلى العام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م، مرجع سابق، ص٩٣٩، جدول رقم (٥-٩)

٢ - محمد بهجت، ومحمد رفيق التميمي: ولاية بيروت، القسم الجنوبي، مرجع سابق، ص ١٨٢-١٨٤

٣ - عبد الله القطشان: التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني، مرجع سابق، ص ٢٦

جدول رقم (١٧)

مدارس لواء نابلس موزعة حسب القضاء

حتى عام	عدد المدارس		القضاء	الرقم
	القرى	المدن		
١٩١٤م		١٢	نابلس	١
١٩١٤م	٤٩			
١٩١٤م		٣	جنين	٢
١٩٠٣م	٣٣			
١٩١٤م		٢	طولكرم	٣
١٩١٤م	٢٨			

ومن خلال قراءة هذا الجدول يتضح أن مجموع مدارس لواء نابلس حتى العام ١٩١٤م بلغت ١٢٧ مدرسة، وأن نصف هذه المدارس تركز في قضاء نابلس التي اعتبرت ثاني أكبر مدينة بعد القدس من حيث عدد المدارس، وهذا العدد أقرب إلى الحقيقة؛ خاصة أنه للعام ١٩١٤م يؤكد القطشان أن في لواء نابلس يوجد ١٢٧ مدرسة([1])، ومن خلال الجداول السابقة يتضح العدد النهائي للمدارس العربية الإسلامية الحكومية في فلسطين في العهد العثماني وهي كالتالي:

متصرفية القدس	١٤٨
لواء عكا	١٣٨
لواء نابلس	١٢٧
المجموع =	٤١٣ مدرسة حكومية

---

١ - المرجع السابق، ص ٣١

وهـذا العـدد ينافي ما أورده "سمعان" بأن عدد المدارس الابتدائية والثانوية في متصـرفية القـدس وولايتـي عكـا ونابلس سنة ١٩١٦م (٥٠٠) مدرسة بما فيها المـدارس الخاصـة(١)، حيث إن العدد الذي توصل إليه الباحث خاص بالمدارس الحكومـية الرسـمية، وبالنسـبة للمدارس الخاصة لم يتم إحصاؤها، وربما العدد الـذي ذكـره "سمعان" ينطبق على متصرفية القدس وحدها؛ لأنه كما مر ذكره أن فـي القـدس ٣٨٥ مدرسـة وزاوية إلى جانب مدارس وزوايا يافا والخليل وغزة وبئر السبع ، وقد يتعدى ذلك الرقم بكثير.

وبالنسـبة للـواء عكا أيضاً الذي اشتمل على ١٣٨ مدرسة بدون المدارس الخاصة، كالـزوايا والكتاتيـب والخوانـق والربط، ولو أحصيت هذه المؤسسات التربوية لربما وصـل العـدد إلـى٢٠٠ مدرسـة وزاوية، وكذلك الحال بالنسبة للواء نابلس الذي لا يخـتلف فـي عدد مدارسه عن لواء عكا، فبالإضافة إلى ١٢٧ مدرسة في لواء نابلس كانـت هـناك الزوايا والكتاتيب أيضاً، وهذا يدل في مجمله أن التعليم في فلسطين في العهـد العثمانـي قـد وصـل إلـى معظم المدن والقرى الفلسطينية، حيث شهد القرن التاسـع عشـر حـركة قوية من التطوير وبناء المدارس، وهذا أيضاً يؤكد مدى اهتمام الدولـة العثمانـية لولاياتهـا، وحرصـها علـى التعلـيم مـن المنطلق الديني أولاً ثم الاجتماعي لمواكبة التطور الذي يحدث في العالم.

هـذا بالإضـافة إلـى وجـود أعداد أخرى من المدارس المسيحية واليهودية سيتم عرضـها فـي الفصـل القـادم بالتفصيل لمعرفة حجم المدارس التي كانت تعطي العلم والثقافة على امتداد فلسطين دون تمييز بين جنس أو عرق.

---

١ - سمير سمعان: المؤتمرات الصهيونية لتجهيل عرب فلسطين، دار البيرق، ١٩٨٧م، ص ٣٣

الفصل السادس

التعليم الأجنبي في فلسطين في العهد العثماني

١- التعليم المسيحي

أولاً: المدارس البروتستانتية

ثانياً: المدارس الأرثوذكسية

ثالثاً : المدارس الكاثوليكية

٢- التعليم اليهودي

١- التعليم المسيحي

ارتبط التعليم الأجنبي في فلسطين مباشرة بأوضاع الدولة العثمانية السياسية، ومدى تدخل الدول الأجنبية في شئونها الداخلية، وتزامن هذا التدخل تحديداً مع ضعف الدولة العثمانية، وبداية انحسارها وانهيارها، ولقد تغلغل التعليم الأجنبي في بلادنا عن طريق الإرساليات التبشيرية. فقد كان المشرق العربي هدف المسيحيين الغربيين ؛ لأنه مهد المسيحيين من جهة، وللثأر من الإسلام الذي أمكنه أن يبسط جناحيه على أرض شاسعة في العالم وخاصة على بيت المقدس ومناطق أخرى من جنوب أوروبا من جهة ثانية، وأهمية موقعه من جهة ثالثة، ولما فشلت الحروب الصليبية في تحقيق هذه السيطرة، غير الأوروبيون مخططاتهم التوسعية، فعولوا على الكنيسة للقيام بحركة تبشيرية واسعة بدأت إرسالياتها تفد إلى بلاد الشام منذ القرن السابع عشر، ولم يحل القرن التاسع عشر إلا والإرساليات قد كثر عددها، وتنوعت طوائفها من فرنسيين وإنجليز وأمريكان وروس..الخ. وكان عمل المبشرين غير مقتصر على الجانب الديني، بل اتخذ ميادين أخرى لكسب المزيد من المسيحيين وبالتالي من الحلفاء الدائمين للغرب المسيحي، ومن أبرز هذه الميادين التعليم" (١).

وكان نشاط هذه الإرساليات مرتبطاً بالأوضاع السياسية "فأثناء الاحتلال المصري لبلاد الشام وفي أعقابه، شهدت المنطقة تكثيفاً لنشاطات الإرساليات التبشيرية الأجنبية في مجال التعليم" (٢)، وهذا كان سببه سياسة التسامح الديني

---

١ -محمد الهادي المطوي: أحمد فارس الشدياق [١٨٠١- ١٨٨٧م] حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٩م، ص ٣١

٢ - عبد الرءوف سنو: النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية ١٨٧٧-١٨٨١م [بلاد الشام- الحجاز- كردستان- ألبانيا]، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، ص ٣٤

التي مارسها إبراهيم باشا عندما فتح المجال أمام تلك البعثات التبشيرية، فاتخذت التعلـيم وفـتح المراكز التعليمية ستاراً تختبئ من خلفه وعلى رأسهم البعثات الفرنسية والأمريكية (١).

واللافـت للـنظر أن الـدول الأوروبـية الكبرى منذ انتهاء الحكم المصري لفلسطين أخذت تعمل على زيادة نفوذها السياسي والاقتصادي والعسـكري والثقافي في فلسطين خاصة وبلاد الشام عامة. وقد وجدت في التعليم وسيلة لتحقيق أهدافها المختلفة فتسابقت الإرساليات التبشيرية الأوروبية على إنشاء المدارس من أجل ذلك ([٢]).

أهداف التعليم الأجنبي:

يرى المستشرق الألماني بروكلمان أن النصارى قد تمتعوا بالحرية المدنية والدينـية الكاملـة، خاصة إذا كانوا من اليونان (روم ملتي) وأن بطريرك الروم في القسطنطينية كان له من القوة والسلطان في ظل العثمانيين أكثر مما كـان له في عهد بيزنطة نفسها. وكانت مراسم العمودية والزواج والدفن تقام علانية وفي فخامة وأبهة في معظم الأحيان([٣]). هذا إلى جانب جميع الحقوق

---

١ - سـليم عـرفات المبيض: غزة وقطاعها- دراسة خلود المكان وحضارة السكان من العصـر الحجـري الحديث حتى الحرب العالمية الأولى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ٣٤٦

[٢] - زهـير غـنايم عـبد اللطيف: التعليم في مدينة الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسـع عشـر ١٨٥٠-١٩٢٠م، المؤتمـر الدولـي الثانـي للدراسات الفلسطينية[التعليم الفلسـطيني، تاريخاً - واقعاً - وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣ -١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧م، ص ١٤٠

[٣] - قيس جواد العزاوي: الدولة العثمانية- قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، مركز دراسات الإسلام والعالم، فلوريدا، ١٩٩٤، ص ٨٣

في ظل الدولة العثمانية، ومن أبرزها حقهم في التعليم، وقد أنشأوا من المدارس ما أرادوا، وتعلموا فيها كيفما شاءوا، وقد كانت المدارس الأجنبية تؤسس بوجه خاص في القرى المسيحية والمدن التي يكثر فيها المسيحيون فكانت تجذب وتجمع في الدرجة الأولى، أطفال غير المسلمين بطبيعة الحال، وأن حصة الولايات العربية من هذه المدارس الأجنبية وهذا النفوذ الغربي كانت كبيرة، ولاسيما في حلب والموصل وبيروت والقدس([1]).

ولقد ارتبط مجيء الإرساليات التبشيرية بامتيازات خاصة من الدولة العثمانية أدت إلى سرعة انتشارها وتوسعها، وعرفت تلك الفترة بعهد التنظيمات التي " بدأت في عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م. واستمرت طوال عهد السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز، أي حتى عام ١٨٧٦م/١٢٩٣ هـ، وعرفت بهذا الاسم ؛ لأنها امتازت بتنظيم أمور الدولة على أسس جديدة في جميع الحقوق الإدارية والمالية والقضائية والتعليمية" ([2]). وقد أدت سياسة الدولة العثمانية إلى نتائج غريبة جداً، حيث لم يتمتع المسلمون من العرب بشيء من التنظيمات والامتيازات التي كان يتمتع بها المسيحيون في أمور التعليم ([3]). ولقد لعبت المدارس الأجنبية في العهد العثماني دوراً خطيراً في البلاد العربية حيث تأسست هذه المدارس بادئ الأمر على أيدي إرساليات دينية، وكانت كل واحدة من هذه الإرساليات تعتمد على حماية دولية من

---

[1] - ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٠م، ص٩٥

[2] - محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة [١٢٩٩-١٩٢٤م]، بيروت، دار المحروسة، ١٩٩٥م، ص ٤٠٩

[3] - كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠-١٩٦٠م، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ص ٢٩، ٣٠

الـدول الأجنبـية، وتصـبح واسطة لنشر لغة تلك الدولة بجانب تعليم العلوم المختلفة من جهة وتعليم اللغة العربية من جهة أخرى ([1]). ولم يقتصر الأمر علـى ذلـك فالحقـيقة أن الإرسـاليات التبشيرية كانت تقوم بمحاولة تنصير المسـلمين، وتغريـب المجـتمع عـن طـريق الخدمـات التعليمية والطبية والمساعدات المادية، وعن طريق إشاعة أنماط الحياة الغربية كما كانت تنمي الشعور الطائفي لدى الأقليات غير المسلمة وتسعى إلى إقناعها أنها حريصة على مصالحها وأقرب إليها من غيرها([2]).

وهـذا الوضع كان كافياً لأن يوجه كثير من الباحثين انتقاداتهم لفترة التنظـيمات، حيـث ذهـب بعضـهم إلى القول بأن "المسلمين اعتبروا التنظيمات خيانة للإسلام وأن السلطان عبد المجيد الأول الذي أصدرها لـيس سـوى خائن خسر بفعلته هذه ولاءهم، وأن بلادهم لم تعد تحت نفوذه الفعلي بسبب تنازله غير الشرعي أمام المسيحيين" ([3]).

وعندما أبدى السلطان عبد الحميد الثاني رأيه في أثر تلك التنظيمات وما نتج عنها من الإرساليات الأجنبية ذكر أنها "تشكل خطراً كبيراً على بلادنا، وقد كان خطؤنا جسيماً إذ سمحنا لكل دولة في كل زمان ومكان

---

[1] - سـاطع الحصـري: حولـية الثقافية العربية الثانية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥١م، ص ١١

[2] - جمـال عـبد الهـادي محمد مسعود، وآخرون: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ [الدولة العثمانية ١٢٩٩- ١٩٢٤م]، ط ٢، ج ١ ، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٥م، ص ٦٣

[3] - عـبد الرءوف سنو: النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية ١٨٧٧-١٨٨١م [بلاد الشام- الحجاز- كردستان- ألبانيا]، مرجع سابق، ص ٣٦

بإنشـــاء المدارس التي يرغبونها، والآن نجني ضرر ما زرعنا، سمحنا لهـم بفتح هذه المدارس، فقاموا يعلمون الطلاب أفكاراً معادية لبلادنا" ([1])، وكـــان هذا واضحاً تماماً في نتائج تلك المدارس التي أنشأتها تلك الإرســاليات، فلم يكن الهدف من إنشائها تعليم وتثقيف المجتمع العربي بقــدر ما كانت تهدف إلى نشر الدين المسيحي، بمذاهبه الأوروبية بين الســكان المســلمين والـيهود والمسيحيين الشرقيين ([2]). كذلك جاءت المناهج التدريسية تخدم هذا الجانب، فتم التركيز على الدراسات الدينية، وهــذا يــدل على أن الكنائس والجمعيات الدينية هي التي كانت تشرف على التعليم.

وقــد كانــت المدارس (التبشيرية) تتمتع بحرية في التعليم لم تتمتع بها المــدارس الوطنية، وكان ذلك يشكل خطراً على عقول الناشئة العرب، حيث أخذ المعلمون الأجانب يبذلون كل جهدهم لاستمالة تلاميذهم إلى بلادهم ([3]). ولقد انتقد جورج أنطونيوس صراحة التعليم الأجنبي معتبراً أن انتشار التعليم

---

[1] - عــبد الحمــيد الثاني: مذكراتي السياسية، ط ٣ ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م، ص ١٨٧

[2] - محســن يوسف: مقدمة في تاريخ التعليم في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي حتى الاحتلال البريطاني، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الفلسطينية[التعليم الفلسطيني، تاريخاً - واقعــاً - وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣-١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧م، ص ٣٨

[3] - محمد حسين العمايرة: رؤية جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين خلال العهد العثماني، مجلة صامد الاقتصادي، السنة التاسعة عشر، ع ١٠٩ ، دار الكرمل للنشر، عمان ، أيلول ١٩٩٧م، ص ٢٣٨

الغربـي كـان له آثـار سيئة، مشيراً إلى أن ذلك هو الحق بعينه، وأن تنوع المدارس والكليات كان شراً جديداً في بلاد كانت فريسة للانقسامات الداخلية، وذلـك لأن بعـض البعـثات التبشـيرية أصبحت أدوات للمطامع السياسية. فاختلطـت مسـاوئ المنافسـة الدولية وشرورها بحسنات التعليم ونعمه ([1]). ويـتفق "محمد كرد علي" مع "أنطونيوس" على ذلك حيث يرى أن التعليم في تلـك المدارس الطائفية تسبب بانقسام الأمة وتباعد مساحة الخلاف بين أبناء الـبلد الواحـد([2])، لأن ذلك خلق انتماءات للدول الأوروبية أكثر من الانتماء والولاء للوطن الفلسطيني.

ومـن هنا يتبين الخطر الكبير لهذا التعليم على المجتمع الفلسطيني، لأنه في الوقـت الذي "حاولت المدارس العربية الإسلامية إذكاء الروح الوطنية العربية لـدى طلابهـا، حاولـت الجمعـيات التبشيرية من خلال مدارسها نشر الديانة المسـيحية بمذاهـبها الغربـية (كاثولـيك وبروتستانت) والفكر والحضارة الأوروبـية بيـن المسلمين واليهود والمسيحيين الشرقيين، هذا إلى جانب إنشاء الـيهود لمـدارس عديـدة خاصة بهم تهدف إلى إحياء اللغة العبرية والتراث الـيهودي فـي فلسطين" ([3])؛ لذلك يعتبر التعليم الأجنبي أحد أهم الأسباب التي أضرت دينياً ووطنياً وثقافياً بالتعليم العربي الإسلامي في مجتمعنا الفلسطيني في

---

[1] - جورج أنطونيوس: يقظة العرب- تاريخ حركة القوميين العرب، ترجمة: ناصر الدين الأسـد وإحسـان عـباس، بيروت -نيويورك، دار العلم للملايين بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٢م، ص ص ١٦٤، ١٦٥

[2] - محمـد كرد علي: خطط الشام، ط ٣ ، ٦ أجزاء، دمشق، مكتبة النوري، ١٩٨٣م، ص ٧٢

[3] - محسـن يوسف: مقدمة في تاريخ التعليم في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي حتى الاحتلال البريطاني، مرجع سابق، ص ص ٤١، ٤٢

حين ادعى كثير من المثقفين بأن تلك المرحلة من التعليم مرحلة حداثة، في حين أنهـــا كانت مرحلة تغريب ؛ لأنها أعطت ظهرها للتعليم العربي الإسلامي بدلاً مـــن إصلاح التعليم، وقد دعمت تلك الفئة من المثقفين التعليم الأجنبي الطائفي الذي كان هدفه الأول غزو منطقتنا فكرياً واجتماعياً وسياسياً.

ولكـــن علـــى الـــرغم مما قيل عن التعليم الأجنبي ينبغي عرض أحوال تلك المـــدارس وأعدادها ومناهجها. مع العلم أن النشرة العثمانية الرسمية لا تعطي معلومات وافية بالمرة عن المدارس المذكورة:

I. لأن تلك المدارس كانت تأبى الخضوع لمراقبة وزارة المعارف، مستندة إلى الامتيازات الأجنبية.

II. لأن معظمهـــا أغلـــق عند نشوب الحرب العالمية الأولى، ولم يبق مفتوحاً منها-خلال الحرب – سوى المدارس الألمانية والأمريكية ([1]).

إن تلك المدارس والمؤسسات التعليمية الحديثة التي أقامها الأوروبيون في مد ن فلســـطين كان لها دورٌ مهمٌ في رفع المستوى الثقافي، وخصوصاً في أوساط الطبقة الوســـطى مـــن أبناء المدن، وكان المسيحيون المستفيد الأكبر من تلك المؤسسات، فـــازدادت الفجـــوة الثقافية بينهم وبين أغلبية المسلمين الذين لم يرسلوا أولادهم إلى تلـــك المـــدارس التبشيرية ([2]). ولهذا السبب كان معظم الكتاب والمؤلفين والخطباء الذيـــن ظهروا في الولايات العربية في العهد العثماني مسيحيين بالرغم من قلة عدد هؤلاء بالنسبة إلى المسلمين ([3]). وبالفعل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تبدلـــت النخـــبة الثقافية، وحل أولئك الكتاب والصحافيون والأدباء من خريجي تلك

---

[1] – ساطع الحصري: حولية الثقافية العربية الثانية، مرجع سابق، ص ص ٨، ٩

[2] – عـــادل مـــناع: تـــاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني [١٧٠٠-١٩١٨م] قراءة جديدة، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩م، ص ٢٢٥

[3] – ساطع الحصري: حولية الثقافية العربية الثانية، مرجع سابق، ص ١١

المدارس الحكومية والتبشيرية الحديثة، مكان خريجي الأزهر وغيره من المدارس الإسلامية، وهكذا نشأت نخبة ثقافية جديدة أخذت دور المتعلمين التقليديين وخصوصاً (مشايخ الطرق الصوفية) الذين فقدوا سيطرتهم على شئون الثقافة والتعليم، ومع أن المجتمع ككل لم يشهد تغييراً جذرياً نحو العلمانية، فإن رياح التغيير في هذا الاتجاه قد بدأت تهب في هذا العهد، وكانت نسبة المسيحيين كبيرة بين النخبة الثقافية الجديدة وفئة التجار، ولا سيما في المدن الساحلية([1]). وأن تأثير الطائفية كان واضحاً على تلك المؤسسات الأجنبية حيث كانت تتبع المذاهب البروتستانتية أو الكاثوليكية أو الأرثوذكسية أو اللاتين أو اليهود، ولقد كان الصراع بين تلك المذاهب جلياً على المؤسسات التعليمية .

أولاً: المدارس البروتستانتية ●:

لقد توافد على البلاد العربية كثير من الإرساليات البروتستانتية، وكان فيها الايرلندية والدانمركية والإنجليزية والأمريكية، وكانت الإرساليات الإنجيلية الأمريكية أغناها وأنشطها، فصارت واسطة فعالة لنشر اللغة الإنكليزية والثقافة الإنكلوسكسونية في بعض البلاد العربية([2]). ويذكر لوتسكي " أن

---

[1] - عادل مناع: أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني [١٨٠٠-١٩١٨م]، ط ٣ ، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧م، ص ١٧

● **البروتستانتية:** حركة دينية، نشأت عن حركة الإصلاح ومبادئها، والاسم يستعمل للدلالة على معان كثيرة، لكنه بمعناه الواسع يطلق على الذين لا ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، أو إلى كنسية شرقية، وتنطوي البروتستانتية على أفكار تحررية في الأمور الدنيوية والدينية، وكذلك في إعطاء الفرد حرية التقدير، والحكم على الأمور، وفي التسامح الديني، وهذا مضاد للتقليد وللسلطة الدينية، وروح البروتستانتية هي في مسئولية الفرد تجاه الله وحده وليس تجاه الكنيسة [محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، مج١، مرجع سابق، ص٣٥٧].

[2] - ساطع الحصري: حولية الثقافية العربية الثانية، مرجع سابق، ص ١٣

إنجلترا ساندت البروتستانت وخطط المستعمرين الألمان في فلسطين، وأنشأت فـي القـدس عام ١٨٤١ م /١٢٥٧ هـ أسقفية إنكليزية- بروسية، وشجعت إنجلـترا كذلك خطط الاستيطان اليهودي وبدأت تلهم مختلف أنواع المشاريع الصهيونية" ([١]).

ومـن أوائـل المـدارس التي افتتحت للبروتستانت في القدس كانت مدرسـة الصـناعة في عام ١٨٤٣م / ١٢٥٩هـ التي اشتهرت بتجليد الكتب ونحت خشب الزيتون وصناعة الهدايا التذكارية التي كانت تصدر إلى بريطانيا ([٢]). ولقد بدأ النشاط البروتستانتي بفتح المدارس في القدس حيث "افتتحت المدرسة الراعوية عام ١٨٤٧م بعشرة طلاب بإدارة سيدة إنجلـيزية، وفي عام ١٨٤٨ م / ١٢٦٤هـ بلغ عدد الطلاب فيها ستة وعشـرين طالباً([٣]). وفي نابلس افتتحت كذلك مدرسة للبروتستانت في الخـامس مـن أيلول ١٨٤٨م بواحد وعشرين طالباً، وبعد أسبوع من افتتاحها حرم البطريرك الأرثوذكسي كل من يرسل أبناءه إلى المدرسة الإنجلـيزية ([٤]). وهـذا ما يؤكد وجود صراع قوي بين تلك الطوائف انعكس على التعليم.

---

[١] - لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيف البستاني، موسكو دار التقدم، ب.ت، ص ١٥٨

[٢] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، رسالة دكتورة منشورة، مطبعة الصفدي، عمان، ١٩٩٣م، ص٣٢٥

[٣] - المرجع السابق، ص ٣٤٠

[٤] - المرجع السابق، ٣٤١

ولقد اعترفت السلطنة العثمانية بالبروتستانتية ملة رسمية أسوة بغيرها من الكنائس، وصدر الفرمان● في نيسان ١٨٥١ م / ١ محرم ١٢٦٧هـ، وكان الأسقف الفرنسي غوبات والدبلوماسية البريطانية قد قاموا بجهود واتصالات مكثفة في الآستانة، فكانت زعامة هذه الملة لـ"غوبات" دون منازع، وآنذاك غزت الجمعيات البروتستانتية فلسطين بمختلف جنباتها وأنواعها، وانضمت للعمل تحت راية غوبات في ظل النظام الملي ([1])، وفي سنة ١٨٥١ م / ١٢٦٧هـ افتتحت في القدس مدرستان: الأولى "طاليتا قومي" والثانية عرفت باسم "شارلوطة بلز" ([2]).

وفي عام ١٨٥١م / ١٢٦٧هـ فتح المرسلون المبشرون في الناصرة مدرسة للصبيان في بيت مستأجر، وفي سنة ١٨٥٢ م / ١٢٦٩هـ أوقف ميخائيل كرم بيتاً في الجرينه نقلت إليه المدرسة، وفي سنة ١٨٥٥ م / ١٢٧٢هـ فتحت مسز هوبر أرملة المرسل هوبر مدرسة يومية للإناث، وفي سنة ١٨٦٧ م / ١٢٨٤هـ أسست المرسلة مس هوبس ميتماً في بيت مستأجر ونقل إلى بيت جديد في العام ١٨٧٤ م / ١٣١١هـ، ويعرف هذا الأهالي باسم (البروسيا) لأن بنائه ومهندسه ونظاره بروسيون([3])، أما في قضاء يافا فقد

● **فرمانات:** جمع فرمان وهي كلمة فارسية الأصل معناها الأمر، وكانت تستعمل في الدولة العثمانية للأوامر السلطانية أو ما يسمى اليوم بالمراسيم الملكية[فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٩].

[1] – حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٣٤٧

[2] – المرجع السابق، ص ٣٤٩

[3] – أسعد منصور: تاريخ الناصرة، الناصرة، دار الهلال، ١٩٢٣م، ص ص ١٨٢، ١٨٣

أنشأت الإرساليات البروتستانتية الإنجليزية والبروسية عدداً من المدارس، وتعود أقدم إشارة إلى ذلك سنة ١٨٥٦م / ١٢٧٣هـ، حيث قام المطران صموئيل غوبات بإنشاء مدرستين من مدارس الكتاب المقدس، واحدة للذكور تضم ٢٨ طالباً، وأخرى للإناث تضم ٥٣ طالبة (١).

وفي سنة ١٨٦٠ م / ١٢٧٧هـ أوفدت جمعية بيت المقدس الأخ مللر من أخوة كريشونا إلى بيت لحم فأنشأ مدرسة بالتعاون مع غوبات، واشترى مللر أرضاً خارج البلدة بنى عليها مدرسة ومنزلاً وقاعة للصلاة (٢). ومن أوائل وأهم المدارس الأجنبية التي أسست في مدينة القدس مدرسة دار الأيتام السورية التي عرفت باسم مدرسة شنلر على اسم مؤسستها عام ١٨٦٠م / ١٢٧٧هـ، ومما يميز هذه المدرسة عن غيرها من المدارس أنها اهتمت بالتدريب المهني والحرفي واليدوي حيث أنشأ شنلر عدداً من المشاغل مثل: الخياطة، والنجارة، والحدادة، وتجليد الكتب، والطباعة، وصناعة الأحذية، والخراطة، وصناعة الفخار (٣).

وفي حوالي سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م افتتحت المس حنه - بنت جورج أرنوط دوكر الإسكتلندية - مدرسة ابتدائية للبنات في مدينة يافا، وقد أشارت

---

١ - محمد سالم الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧، ص ٤٩٦

٢ - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٣٥٥

٣ - محسن يوسف: مقدمة في تاريخ التعليم في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي حتى الاحتلال البريطاني، مرجع سابق، ص ٣٨

إلـــيها الوثـــائق الشرعية باسم مدرسة الست أرنوط الإنجليزية ([1]). أما في نابلس فقد ذكر الدباغ وجود مدرستين إنكليزيتين للبروتستانت: واحدة للبنين أقيمـــت عام ١٢٨٣هـــ / ١٨٦٧ م ضمت ٣٥ طالباً، والثانية للبنات تأسست عام ١٢٨٨هـــ / ١٨٦٧ م ضمت ٣٠ طالبة([2])، كما ذكر أيضاً وجود ثلاث مدارس إنكليزية للبروتستانت في رفيديا (قرى نابلس) في عام ١٣٢١هـــ / ١٩٠٣م:

- الأولـــى: أسســـت علم ١٢٩٣هـــ / ١٨٧٦ م، وضمت عشرة طلاب.
- الثانية: للبنات، وضمت ٢٥ بنتاً.
- الثالثة: للبنين ضمت ٣٠ طالباً أسستا في عام قرى ١٢٧٨هـــ / ١٨٦١م ([3]).

وقد ذكر كذلك وجود مدرسة إنجليزية في نصف جبيل في عام ١٣٢١هـــ / ١٩٠٣م تأسست عام ١٢٨٠هـــ/ ١٨٧٦م ضمت ٢٠ طالباً ([4]) وفي قضاء نابلس أيضاً أسس البروتستانت الإنجليز مدرسة في طوباس عام ١٢٩٣هـــ / ١٨٧٦م بلـــغ عـــدد طلابها ٨ طلاب ([5])، ومدرسة أخرى في بيت أمرين ١٢٩٨هـــــ / ١٨٨١م كـــان فيها أيضاً ٨ طلاب([6]) ، وفي سبسطية مدرسة

---

[1] - محمد سالم الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٤٩٧

[2] - مصـــطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٢، ق ٢، فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١م، ص ٢١٣

[3] - المرجع السابق، ص ٣٣٧

[4] - مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٢، مرجع السابق، ص ٤٠٩

[5] - المرجع السابق، ص ٤٤٨

[6] - المرجع السابق، ص ٤١٢

أخــرى في عام ١٣٠٠هــ / ١٨٨٣م ضمت ٨ طلاب وطالبتين ([1]). وفي الــرملة افتتحت مدرستان للبروتستانت واحدة للبنات بها ٦٠ طالبة، والثانية للبنيــن بها ٤٤ طالباً في عام ١٢٧٧هــ / ١٨٦٠م ([2]). وفي اللد مدرستان للبروتستانت واحدة للبنين تأسست عام ١٢٨٢هــ / ١٨٦٥ م، والثانية للبنات أحدثــت عام ١٢٨٤هــ / ١٨٦٧م كان بهما في العام المدرسي المذكور ٣٠ طالباً ٦٠ طالبة ([3])، ويظهر أن المدارس البروتستانتية واجهت مشكلة تتمثل في نقص المعلمين المؤهلين للتدريس في المدارس التي تم إنشاؤها، مما دفع القس زلر إلى تأسيس مدرسة الشباب في الناصرة عام ١٨٧٣م/ ١٣١٠هــ لإعــداد المعلميــن، ولكن هذه المدرسة لم تستمر طويلاً في المدينة إذ نقلت المدرســة إلى القدس بعد أن نقل إليها القس زلر وجعل المدرسة جزءاً من مدرسة صهيون [الشبان في القدس]([4]).

وفــي إحصــائية لأسقفية القدس الإنكليكانية بين عامي ١٨٥٦ – ١٨٧٩ م، يذكر كلداني أن عدد مدارس الأسقفية في القدس بلغ سبع مدارس في العام ١٨٦٠م / ١٢٧٧هــ، وهي كالتالي:

- المدرسة الراعوية الابتدائية – ذكور
- المدرسة الراعوية الابتدائية – إناث
- المدرسة الراعوية الإعدادية – ذكور
- المدرسة الراعوية الإعدادية – إناث

---

[1] – المرجع السابق، ص ٤٠٦

[2] –مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٤، ق ٢، ص٤٣٢

[3] – المرجع السابق، ص٤٧٦

[4] – أسعد منصور: تاريخ الناصرة، مرجع سابق، ص ١٨٣

- مدرسة الشماسات الألمانيات - إناث
- مدرسة جمعية لندن اليهودية - ذكور
- مدرسة جمعية لندن اليهودية - إناث ([1]).

وفي يافا تأسست مدرستان الأولى سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢ م، والثانية ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، ضمتا ٢٢٠ طالباً ([2]). ومن المدارس التابعة لطائفة البروتستانت المدارس التي أنشأها الهيكليون الألمان في قضاء يافا والتي يعود تاريخ إنشائها إلى سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م حيث تشير سالنامة نظارات معارف عمومية لسنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م أنهم أنشأوا مدرستين مختلطتين واحدة تقع في مستعمرة يافا والأخرى في مستعمرة سارونا، كما أوردت السالنامه نفسها أن الجماعة الإنجيلية الألمانية في مستعمرة يافا قد أسست مدرسة ابتدائية مختلطة سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩م وأن عدد الطلبة فيها سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م بلغ عشرة طلاب وثلاث طالبات ([3]).

وفي العام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م أنشأ البروتستانت مدرسة للبنين في رام الله جمعت عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م [٣٠] طالباً ([4])، وفي العام

---

[1] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٣٥١

[2] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٤، ق ٢، ص ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

[3] - محمد سالم الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٤٩٨، نقلاً عن سالنامة نظارات معارف عمومية لسنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، ص ص ١٦٦٠، ١٦٦١

[4] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٢٤٧

نفســـه أنشأوا مدرسة في قرية عابود قضاء رام الله بها ١٦ طالباً ([1])، وفي الطيبة كذلك أنشأوا مدرسة في العام نفسه ضمت سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م [٣٥] طالــباً ([2])، وفـــي بيرزيــت أقيمت للبروتستانت عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م مدرسة كان بها في عام ١٣١٩هـ ١٩٠١م [٣٠] طالباً ([3]). وفي جفنة [قضاء رام الله] أقيمت مدرسة للبروتستانت في العــام نفســه جمعت ١٦ طالباً ([4]). أما في الخليل فقد كانت مدرستان للبروتســتانت الأولـــى تأسست عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨١ م ضمت ١٦ طالــباً، والثانية تأسست ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧ م ضمت أيضاً ١٦ طالباً ([5])، وحسب الكتاب السنوي لنظارة المعارف العثمانية لعام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م كان في بيت لحم مدرسة للبروتستانت بإدارة راهبات إنكليزيات ضمت ٦٧ طالبة تأسست عام ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م([6])، وفي سنة ١٨٨٩ م / ١٣٠٦هـــ أسس غالي جونس الأمريكي مدرسة الفرندز الداخلية للبنات في رام الله، وفي سنة ١٩٠٠م / ١٣١٨هـ أسس الياهو كرانت وهو المؤرخ الأمريكي المشهور مدرسة الفرندز للبنين ([7]).

---

[1] - المرجع السابق، ص٢٨٨

[2] -المرجع السابق، ص٢٤٣

[3] -المرجع السابق، ص٣١٩

[4] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٣٢٦

[5] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٥ ، ق ٢، ص١٣٥

[6] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٤٢٤

[7] -المرجع السابق، ص٢٤٦

وهــنا تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة، وهي أن المؤسسات الإنكليزية ازدهــرت فــي فلســطين، وقويت شوكتها بعد احتلال بريطانيا لمصر ١٨٨٢ م / ١٣٠٠هــــ، وقد بلغ عدد مدارس جمعية المرسلين الكنسية خمســاً وثلاثيــن مدرســة وعدد طلابها ١٦٣٥ طالباً ([1])، وقد ازداد الصــراع القائم بين الطوائف الأجنبية في بناء المدارس لدرجة أنه "في بيــت جالا تعرض النشاط البروتستانتي الذي رعته جمعية بيت المقدس لهــزة عنــيفة على أثر مقتل فتاة أرثوذكسية في شجار بين الأرثوذكس والبروتســتانت إلــى جــلاء البروتستانت عام ١٨٨٥م/١٣٠٣هــ إلى الكــرك لمــدة ســتة أشهر عادوا بعدها إلى منازلهم بعد أن دفعوا دية القتــيلة([2])، ومع ذلك كان عدد المدارس البروتستانتية عام ١٨٨٦ م / ١٣٠٤هــ في متصرفية القدس وحدها ٥٧ مدرسة موزعة على المدن والقرى، وفي العام ١٨٩٥م/١٣١٣هــ بلغ عدد المدارس التابعة لجمعية التبشــير الكنســية Church Missionary Society (وهي واحدة من الجمعيات البروتستانتية العاملة في فلسطين) ٤٧ مدرسة، علماً أن عدد المدارس والطلاب الذين درسوا في المدارس التابعة للجمعيات التبشيرية الكاثوليكــية والأرثوذكسية لم يكن أقل من عدد الذين التحقوا بالمدارس البروتســتانتية ([3])، وفــي العام ١٨٧٨ م / ١٢٩٥هــ قامت الإرسالية

---

[1] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٣٦٥

[2] - المرجع السابق، ص ٣٥٥

[3] - محســن يوسف: مقدمة في تاريخ التعليم في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي حتى الاحتلال البريطاني، مرجع سابق، ص ٣٧

التبشيرية الكنسية C.M.S وعلى رأسها المستر ريتشارد –، الذي استوطن غزة مدة – بفتح أربع مدارس: اثنتان للذكور، وأخريان للإناث([1])، وكانت تلك المدارس في محلة الزيتون. وقد بلغ عدد تلاميذها نحو ٣٠٠ طالب ثم اتسعت حتى زاد العدد إلى ٤٠٠ طالب في عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥ م وذلك في عهد الدكتور استرلنيغ، الذي أطلق اسمه على المستشفي الإنجليزي في غزة المعروف بالمعمداني [الأهلي العربي حالياً] ([2]). ويورد كلداني إحصائية لعدد المدارس البروتستانتية من خلال ما يسمى بأبرشية القدس تبين أن عدد المدارس البروتستانتية ازداد من ثلاثة في العام ١٨٥٢م / ١٢٦٨هـ إلى ٦٥ مدرسة في العام ١٨٨٢م/١٣٠٠هـ([3]). وهذا يعني أن عدد المدارس قد ارتفع إلى ستين مدرسة في خلال ثلاثين عاماً أي بمعدل مدرستين في كل عام، واللافت للنظر أن هذا التطور لم يحظ به التعليم الإسلامي في القدس، هذا في حين لم يتوقف إنشاء المدارس عند هذا التاريخ.

ولقد كان للإنكليز مدرسة في صفد على مستوى الإعدادي تأسست عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م ضمت ٥١ طالباً، ويشير الدباغ كذلك إلى وجود ٢٢ مدرسة غير رسمية في قضاء صفد في الحرب العالمية الأولى، وقد اغلق منها ١٣ مدرسة بسبب انتسابها للدول المحاربة أو لأنها بدون رخصة ([4]).

---

[1] – عارف العارف: تاريخ غزة، القدس، مطبعة دار الأيام السورية، ١٩٤٣م، ص ١٠٠

[2] – إبراهيم سكيك: غزة عبر التاريخ، ج ٣ ، غزة، ١٩٨٠م، ص ٥٩

[3] – حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٣٥٨

٤ –مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٦ ، ق ٢، ص ص ١٢٣، ١٢٤

وفـــي بيت لحم كذلك ذكر "الدباغ" وجود مدرسة للبروتستانت بإدارة راهبات إنكلــيزيات ضــمت ٦٧ طالــبة تأسست عام ١٣٠٦هــ / ١٨٨٨م([1]). وفي طــبريا وجدت المدرسة الإسكتلندية وهي أجنبية بروتستانتية تأسست في عام ١٣٠٩هــ / ١٨٩١م كان بها ٨٠ طالباً و٤٠ طالبة ([2]).

وفـــي العـــام ١٨٩٦م / ١٣١٤هــ أنشأت جمعية بيت المقدس داراً للأيتام في بيت لحم لإيواء الأطفال الأرمن ([3])، ومن المدارس الأجنبية في الناصرة كان يوجد في العام الدراسي ١٣١٨ - ١٣١٩هــ / ١٩٠٠ -١٩٠١ م مدرستان للإنجليز وهما للبنات، واحدة في مستوى المرحلة الابتدائــية فــيها ٨٣ طالــبة، والثانــية ضمت في مرحلتيها الابتدائية والإعداديــة ٩٨ طالبة، هذا إلى جانب مدرستين ابتدائيتين الأولى فيها ٩٢ طالباً والثانية ٧٥ طالبة ([4]). أما في عكا فقد كان في العام الدراسي ١٣١٨ - ١٣١٩هــــ / ١٩٠٠ - ١٩٠١ م مدرســـتان للبروتستانت، الأولى للبنين وهي إنجليزية- ابتدائية، ضمت ٨٥ طالباً، والثانية للبنات إنجلــيزية ابتدائية ضمت ١٥٠ طالبة ([5])، وفي كفر ياسيف التابعة لعكا تأســـــت مدرســــة للإنجليز في العام نفسه ضمت ٨٠ طالباً و ٧٠ طالبة ([6]).

---

[1] -المرجع السابق، ص ص ٤٢٣، ٤٢٤

[2] -المرجع السابق، ص٣٣١

[3] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٣٥٥

[4] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٧ ، ق ٢، ص٥٣

[5] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٧ ، ق ٢، ص٢٨٦

[6] -المرجع السابق، ص٣٦٥

أمـــا فـــي حـــيفا فقد كان فيها في العام ١٣١٩هـ / ١٩٠١ م ثلاث مـــدارس ألمانـــية، مدرســـتان بمستوى الرشدية ٣٠ طالباً، ٢٥ طالبة، والثالثة بمستوى المرحلة الابتدائية للإنجليز ٧٠ طالباً، ١٥٠ طالبة ([1]) وذكـــر بـــيدكر فـــي دليله عام ١٩١٢ م / ١٣٣٠هـ أن في بيت جالا مدرسة للبروتستانت الألمان ([2]).

وبعد هذا العرض لعدد كبير من المدارس البروتستانتية في فلسطين يتبين لدينا كم كانت الدول الأجنبية حريصة على التغلغل والسيطرة على بلادنا من خـــلال تلـــك الإرســـاليات التبشيرية، وهنا تنبغي الإشارة للمناهج التي كانت تدرسها تلك المدارس لطلبتها، وعلى ما يبدو أن المدارس البروتستانتية كانت تركـــز علـــى تدريـــس اللغـــة الإنجليزية، فعلى سبيل المثال "كانت المدرسة الإنجلـــيزية فـــي حيفا تدرس اللغات الإنجليزية والعربية والتركية والفرنسية والحســـاب والجـــبر، والطبيعيات، والجغرافية، والتاريخ، والفزيولوجيا (علم الأحياء)، والتصوير والموسيقى، والأدب، والكتاب المقدس " ([3]).

ويلاحـــظ كذلـــك أن المدارس البروتستانتية اتبعت مجانية التعليم في بداية إنشـــائها، إلا أنها غيرت سياستها وبدأت تفرض الرسوم على طلابها([4]). أما فـــيما يـــتعلق بالمعلميـــن في تلك المدارس التبشيرية والطائفية فقد كانوا من

---

[1] -المرجع السابق، ص ص ٤٩٩، ٥٠٠

[2] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٤٦٤

[3] - زهـــير غـــنايم عبد اللطيف: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩م، ص٢٩٨.

[4] - المرجع السابق، ص١٤٤

الرهبان والراهبات([1])، وقد وجدت مدارس بروتستانتية في فلسطين تابعة لجمعيات أخرى حيث ذكر كلداني وجود مدرسة كبيرة في الناصرة تابعة لجمعية نهضة التربية النسائية في الشرق([2])، ومن الجمعيات البروتستانتية كانت جمعية الفرندز(Freinds) الأمريكية التي فتحت مدرسة للبنات ثم للأولاد في رام الله([3]).

وبذلك تكون المدارس البروتستانتية قد قامت بدور خطير في التعليم الأجنبي في فلسطين؛ بسبب أعدادها، ومناهجها، وفلسفتها، وأهدافها. ومن الملاحظ أن "الدولة العثمانية أرادت تغيير سياستها التعليمية بعد الانقلاب الذي حدث سنة ١٩٠٨ م / ١٣٢٦م، وحاولت أن تفرض رقابتها على المدارس الطائفية والأجنبية غير أنها لم تستطع أن تغير شيئاً من هذه الأوضاع تغييراً فعلياً، لأن المدة التي مضت بين حدوث هذا الانقلاب وبين حدوث الحرب العالمية الأولى لم تتجاوز ست سنوات، كما أنها كانت مليئة بشتى القلاقل والحروب والثورات" ([4]). وفي ضوء ذلك يذكر منصور أن الحكومة العثمانية أقفلت المدارس الأجنبية أثناء الحرب العالمية الأولى، ومنعت المكاتبة باللغة الإنجليزية([5]).

وفي الجدول التالي يعرض الباحث أعداد المدارس البروتستانتية وكيفية توزيعها على المدن في فلسطين:

---

[1] - المرجع السابق، ص٢٩٩

[2] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٣٥٣

[3] - المرجع السابق، ص ٣٥٦

[4] - ساطع الحصري: حولية الثقافية العربية الثانية، مرجع سابق، ص ص ١٣، ١٤

[5] - أسعد منصور: تاريخ الناصرة، مرجع سابق، ص ١١٨

جدول رقم (١٨)

توزيع المدارس البروتستانتية على المدن الفلسطينية

عدد المدارس	المدينة	الرقم
١٢	القدس	١.
١٠	نابلس	٢.
٩	صفد	٣.
٨	الناصرة	٤.
٨	يافا	٥.
٧	رام الله	٦.
٦	بيت لحم	٧.
٥	حيفا	٨.
٤	غزة	٩.
٣	عكا	١٠.
٢	اللد	١١.
٢	الرملة	١٢.
٢	الخليل	١٣.
١	طبريا	١٤.
٧٩	المجموع	

ومــن الجــدول السابق يتضح أن عدد المدارس البروتستانتية في فلسطين حتى العــام ١٩١٥م كــان ٧٩ مدرســة، ومعظمها أنشئ في النصف الثاني للقرن التاسع عشــر، وهــي موزعــة على المدن الفلسطينية من أقصى الشمال الفلسطيني حتى الجــنوب. وأن هــناك بعــض الــتفاوت والتركيز على المدن الرئيسية مثل القدس ونابلس وصفد والناصرة ويافا ورام الله وبيت لحم. وهذا يدل على أن هناك اهتماماً كبــيراً مــن قبل الإنجليز بفلسطين والسيطرة عليها عبر هذه المؤسسات التبشيرية التعليمية.

ثانياً: المدارس الأرثوذكسية*:

إن الطائفة الأرثوذكسية أيضاً كان لها دور بارز على الساحة الفلسطينية، ودخلت الصراع مع الطوائف الأخرى في مجال الإرساليات التبشيرية والمؤسسات التعليمية، وفيما يتعلق بالدول الكبرى التي كانت حامية للأرثوذكس فقد " كان الأرثوذكس العرب ينظرون إلى روسيا كأكبر دولة أرثوذكسية في العالم، وأكثر المسيحيين العرب في فلسطين هم الأرثوذكس" ([1])، لذلك السبب اهتمت الحكومة الروسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بإنشاء المدارس لتعليم أبناء الطائفة الأرثوذكسية في بلاد الشام في إطار خططها لتقوية المذهب الأرثوذكسي بين أتباعه من المسيحيين المحليين، ونشر الثقافة الروسية بينهم والتصدي للإرساليات التبشيرية الغربية التي تسعى لتحويل الأرثوذكس إلى المذاهب المسيحية الغربية ([2]).

---

* **الأرثوذكس**: معناها ذو العقيدة السوية أو مستقيمو الرأي، والأرثوذكس هم مجموع المسيحيين الشرقيين الذين حافظوا على تقاليد الكنيسة الأولي وتمسكوا بالعقائد التي صبغت خلال المجامع المسكونية السبعة الأولي، وقد وقع الانفصال بينهم وبين المسيحيين الغربيين الملتفين حول أسقف روما، والذين يؤلفون الآن الكنيسة الكاثوليكية، عام ١٠٥٤م وهم ينتظمون في كنائس وطنية مستقلة أهمها الكنائس الرسولية الأربع (القسطنطينية، الإسكندرية، إنطاكية، القدس) وكنائس روسيا واليونان وقبرص وغيرها في أوربا الشرقية والمهاجر وفي أوروبا الغربية والأميركيتين عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، مج١، ص٤٢٢

[1] - عمر محاميد: فلسطين في أدب الرحالة الروس، أم الفحم، المركز العربي للدراسات الروسية، ١٩٩٣م، ص٩١

[2] -زهير غنايم عبد اللطيف: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، مرجع سابق، ص٢٨٠

وحســب الكــتاب السنوي لنظارة المعارف العمومية العثمانية لعام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م تبين أن أقدم مدرسة لطائفة الأرثوذكس كانت في بيــت لحــم وهي رشدية ضمت ٢٠ طالباً، وتأسست عام ١١٢٠هـ / ١٧٠٦م ، وفي المدينة نفسها أيضاً وجدت مدرسة للروم الأرثوذكس (ابتدائــية) ضــمت ٩٥ طالباً وتأسست عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م ([1])، وعن المدارس في رام الله ذكر تقرير المعارف العمومية العثمانية لعام ١٣٢١هـــ / ١٩٠٣م أن بطريركية الروم أنشأت مدرسة ابتدائية عام ١١٩٠هـــ / ١٧٧٦م ضــمت في العام ١٩٠٣م ٣٠ طالباً، وفي عام ١٢٢٠هـــ / ١٨٠٥م مدرســة ابتدائية ثانية جمعت عام ١٩٠٣م ٤٠ طالباً([2])، وفي الكتاب السنوي لوزارة المعارف العثمانية لعام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ذكر الدباغ وجود مدرسة للروم الأرثوذكس في قرية عابود [قضاء رام الله] تأسست عام ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م بها ٢٥ طالباً ([3]).

وفي الكتاب السنوي لوزارة المعارف العمومية العثمانية الصادر عام ١٣١٩هـــ / ١٩٠١م ذكر أنه في بيرزيت [قضاء رام الله] تأسست مدرســة للروم الأرثوذكس عام ١١٩٠هـ/١٧٧٦ م، ضمت في العام ١١٩هـــ / ١٩٠١ م ٣٠ طالــباً ([4])، وفي الكتاب نفسه ذكر وجود مدرســة فــي قــرية جفنة القريبة من بيززيت [قضاء رام الله] وهي

[1] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٤٢٣

[2] -المرجع السابق، ص٢٤٧

[3] -المرجع السابق، ص٢٨٨

[4] -المرجع السابق، ص٣١٩

ابتدائية للروم الأرثوذكس تأسست في عام ١١٩٠هـ / ١٧٧٦ م ضمت ٣٥ طالباً ([1])، وكذلك تأسست مدرسة للروم الأرثوذكس في الطيبة [قضاء رام الله] سنة ١١٩٠هـ / ١٧٧٦ ضمت عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ٣٠ طالباً ([2]).

وتأسست في بيت جالا مدرسة للبنين للروم الأرثوذكس عام ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م بها ١٢ طالباً ([3])، وفي بيت ساحور كان للروم الأرثوذكس ثلاث مدارس: مدرسة للبنين تأسست عام ١١٩٠هـ / ١٧٧٦ م، والثانية للبنين أيضاً تأسست ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠ م ضمت ١٨٦ طالباً، ومدرسة للبنات يعود إنشاؤها إلى عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤ م ضمت ٦٠ طالباً، وجميع هذه المدارس ابتدائية ([4]).

ومن خلال ما ذكر عن هذه المدارس يسجل الباحث ملاحظتين:

الأولى: أن معظم تلك المدارس تركزت في قضاء رام الله وبيت لحم، وهذا بسبب كثافة الوجود المسيحي المميز في هاتين المدينتين.

الثاني: أن معظم تلك المدارس تأسست في العام ١١٩٠هـ / ١٧٧٦ م، وهذا له دلالة خاصة حيث يرجع الباحث السبب في ذلك لعلاقة الدولة العثمانية في تلك الفترة بروسيا، حيث تميزت بضعف الدولة العثمانية ، مما اضطرها لتوقيع اتفاقية تسمى [كوتشك قينارجي] في العام ١٧٧٤م، ومن

---

[1] -المرجع السابق، ص٣٢٦

[2] -المرجع السابق، ص٣٤٣

[3] -المرجع السابق، ص٤٦٤

[4] -المرجع السابق، ص٤٧٤

خلال قراءة متأنية لبنود تلك المعاهدة يتضح أن روسيا "حصلت على امتيازات حق الحماية لطائفة الروم الأرثوذكس، ضمن البلاد العثمانية، كما أصبحت إحدى الدول الأكثر تفضيلاً من حيث المعاملة"([1]). وهذا ما أعطى الأرثوذكس الحرية المطلقة في بناء المدارس التي لم تقف عند هذا التاريخ بل ازدادت وازدهرت، فيذكر الدباغ أنه في قرية عين عريك [قضاء رام الله] تأسست مدرسة للروم الأرثوذكس سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م ضمت في عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م [١٠٣] طلاب ([2])، وفي يافا تأسست مدرسة ابتدائية للروم الأرثوذكس عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٣م ضمت في العام ١٣١٨-١٣١٩ هـ/ ١٩٠٠-١٩٠١م [٦٠] طالباً ([3]).

وفي عام ١٨٤٨م / ١٢٦٤هـ دخل المبشر صموئيل حوبت [رام الله] وافتتح فيها مدرسة خارجية للبنات ([4])، وفي العام ١٨٥١م / ١٢٦٧هـ بدئ بإنشاء مدرسة دير الصليب اللاهوتية [غربي القدس] وهي أرثوذكسية وبدأ التدريس فيها في ٤/١٠/١٨٥٥م ([5]). وقامت الإرسالية الروسية سنة ١٨٥٨م / ١٢٧٥هـ بافتتاح مدرسة صغيرة للبنات في القدس ومدرسة للمعلمات في بيت جالا ([6]).

---

[1] - محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة [١٢٩٩-١٩٢٤م]، مرجع سابق، ص ص ٢٩٨، ٢٩٩

[2] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٣٦١

[3] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٤ ، ق ٢، ص ص ٢٠٧، ٢٠٨

[4] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٢٤٦

[5] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٤٤

[6] - المرجع السابق، ص ٩٨

وفـــي القدس أيضاً كان للأرمن الأرثوذكس نشاط مميز حيث أقاموا العديد مـــن المؤسسات التعليمية، وأنشأوا لهم مطبعة عام ١٨٣٣م. وكانت لهم مجلة نصــف شــهرية تسمى " صهيون" صدرت باسم البطريركية عام ١٨٦٦م / ١٢٨٣هـــ، وفي العام ١٨٤٣م/ ١٢٥٩هـ أسس البطريرك الأرمني المعهد الاكليركـــي اللاهوتي الذي تخرج منه الرهبان وكهنة الطوائف ورجال الفكر والقـــيادة، واحتلت بطريركية القدس مكانة مهمة من الناحية الكنسية والثقافية، وكـــان يوجد في جوار البطريركية بالقدس مدرسة للبنين أسست عام ١٨٦٣م / ١٢٨٠هـــ([1]). حـــتى أن هذه البطريركية قامت بإنشاء مدرسة للإناث في يافـــا ســـنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م، وقد بلغ عدد طالباتها في سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م [٨٥] طالـــبة. ووجـــدت مدرســـة أخرى للذكور في المدينة نفسها ولكـــن لم يعثر على تاريخ إنشائها([2])، وفي نابلس ذكر "الدباغ" وجود مدرسة واحـــدة للروم الأرثوذكس تأسست عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١ م ضمت عشرة طلاب([3]).

ولكـــن الحدث الأهم كان في نشاط الأرثوذكس سنة ١٨٨٢م / ١٣٠٠هـ حيـــث نشأت في روسيا جمعية عرفت باسم الجمعية الأرثوذكسية الفلسطينية، وقـــد أطلق عليها سنة ١٨٨٩م / ١٣٠٧هـ لقب إمبراطورية، وأصبحت من الجمعـــيات العظيمة في البلاد كلها([4])، وقد تركز نشاط الجمعية بشكل أساسي

---

[1] – حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٣٩٠

[2] – محمد سالم الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٤٩٥

[3] –مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٢ ، ق ٢، ص٢١٤

[4] – عـــبد الرحمـــن ياغـــي: حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة، ط ٢ ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١م، ص ٣١

في المدن الفلسطينية والقرى التي كان يسكنها أبناء الطائفة الأرثوذكسية ([1]). وقامت هذه الجمعية بإنشاء المدارس في فلسطين وافتتحت أول مدرسة لها في قرية (المجيدل) على الطريق بين حيفا والناصرة سنة ١٨٨٢م / ١٣٠٠ هـ، وفي سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م افتتحت الجمعية أيضاً مدرسة أخرى للإناث في قرية الشجرة التابعة لقضاء عكا ([2]). وكذلك افتتحت الجمعية مدرسة الرامة (قرى عكا) عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م وتحولت في العام ١٨٩٤ م / ١٣١٢هـ إلى مدرستين إحداها للبنات والأخرى للبنين ([3]). وفي عام ١٨٨٥م / ١٣٠٣هـ تم افتتاح سبع مدارس أخرى في كل من قرية معلول، طرعان، كفر كنا، البعنة، شعب، البقيعة. وفي مدينة حيفا وفي العام ١٨٨٦م / ١٣٠٤هـ تم تأسيس دار للمعلمين [السمينار] في مدينة الناصرة، وتم فيما بعد إقامة دار للمعلمين للبنات في بيت جالا سنة ١٨٩٠م بالقرب من بيت لحم ([4]). وافتتحت كذلك مدرستان إحداهما في الرينة سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م، وفي قانا مدرسة أخرى سنة ١٨٨٧م([5]).

---

[1] - عمر محاميد: صفحات من تاريخ مدارس الجمعية الروسية في فلسطين بين أعوام ١٨٨٢-١٩١٤م، الطيبة، مركز إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م، ص ٦١

[2] - أسعد منصور: تاريخ الناصرة، مرجع سابق، ص ١٠١

[3] - عمر محاميد: صفحات من تاريخ مدارس الجمعية الروسية في فلسطين بين أعوام ١٨٨٢-١٩١٤م، مرجع سابق، ص ص ٨٠، ٨١

[4] - عمر محاميد: صفحات من تاريخ مدارس الجمعية الروسية في فلسطين بين أعوام ١٨٨٢-١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٥٢

[5] - زهير غنايم عبد اللطيف: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، مرجع سابق، ص٢٨١

كما أنشأت الجمعية المدارس الابتدائية والرشدية في الناصرة، وفيها مدرسة داخلية للذكور، ومدرستان خارجيتان: مدرسة للذكور افتتحت عام ١٨٨٩م / ١٣٠٧هـ وأخرى للإناث صدرت الموافقة على إنشائها عام ١٨٨٥م / ١٣٠٣هـ، وفي عام ١٨٨٩/ ١٣٠٧هـ أنشئت مدرسة خارجية للذكور في الناصرة ([1]). وفي الكتاب السنوي لنظارات المعارف العثمانية لعام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م كان في بيت لحم مدرسة للأرمن الأرثوذكس (ابتدائية) ضمت ٤٠ طالبة، تأسست عام ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م ([2]). ويذكر محاميد أنه حتى عام ١٨٩٩م / ١٣١٧هـ وصل عدد المدارس التابعة للجمعية في منطقة القدس والجليل إلى ٢٣ مدرسة تعلم فيها أكثر من ١٠٧٤ تلميذاً منه ٥٧٧ تلميذاً و٤٩٧ تلميذة([3]).

ولما زار "الغرندوق سرجيوس" الناصرة سنة ١٨٨٨م / ١٣٠٦هـ التمست منه الطائفة الأرثوذكسية فتح مدرسة خارجية للصبيان، وبالفعل تم ذلك في شباط ١٨٨٩م / ١٣٠٧هـ وسميت مدرسة الناصرة الخارجية النموذجية ([4])، وأورد الدباغ أنه في العام ١٣١٨-١٣١٩هـ /١٩٠٠-١٩٠١م كان في طبرية مدرسة للروم الأرثوذكس تأسست عام ١٣١٢هـ/

---

[1] - زهير غنايم عبد اللطيف: التعليم في مدينة الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٥٠-١٩٢٠م، مرجع سابق، ص ص ١٤٥،١٤٦

[2] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨ ، ق ٢، مرجع سابق، ص٤٢٤

[3] - عمر محاميد: صفحات من تاريخ مدارس الجمعية الروسية في فلسطين بين أعوام ١٨٨٢-١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٥٢

[4] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٩٧

١٨٩٤م وكـــان بهـــا ١٦ طالـــباً و ٨ طالبات ([1]). هذا فيما أشارت "سالنامة نظارات معرف عمومية" لسنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م إلى وجود مدرسة رشدية تابعة للطائفة الأرثوذكسية في مدينة يافا يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة ١٢٨٠ هـــ / ١٨٦٣ م ([2]) وقـــد أشارت السالنامة نفسها إلى وجود مدرسة ابتدائية للذكـــور تابعة لطائفة الروم الأرثوذكس في قصبة الرملة بلغ عدد طلابها ٤٢ طالباً، ومدرستين ابتدائيتين في قصبة اللد: واحدة للذكور وأخرى للإناث([3]).

ولـــم تقتصـــر المـــدارس الأرثوذكسية على المدارس الروسية، بل أنشأت الطائفـــة الأرثوذكسية مدارس خاصة بها،، فقد كان للأرثوذكس في الناصرة عـــام ١٩٠٠م / ١٩٠١ مدرستان، ضمت مدرسة الذكور ٨٠ طالباً، وضمت مدرســـة البنات ٨٢ طالبة، وقد عرفت مدارس الأرثوذكس المحلية بمدارس الدير، وضمت مدارس الدير للذكور عام ١٩١٤م [١٠٠] مائة طالب يدرسهم ٦ معلمين، بينما ضمت مدارس الدير للبنات ١٥٠ طالبة تدرسهن ٥ معلمات ([4]).

هـــذا بالإضافة إلى وجود مدارس أخرى في الناصرة كانت موجودة سنة ١٩١٤م وهي مدارس المسكوب، والتي تنقسم إلى:

---

[1] -مصـــطفى مـــراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٦ ، ق ٢، ص ص ٣٣٠، ٣٣١

[2] - محمد سالم الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٤٩٥

[3] - محمد سالم الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٤٩٥

[4] - زهـــير غـــنايم عـــبد اللطيف: التعليم في مدينة الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٥٠-١٩٢٠م، مرجع سابق، ص ١٥٥

I. **الداخلية:** وعدد تلامذتها ٨٦ تلميذاً، ومعلموها عشرة.

II. **اليومية للصبيان:** وعدد تلامذتها ١٣٠ تلميذاً، ومعلموها خمسة.

III. **اليومية للبنات:** وعدد تلميذاتها ١٨٠ تلميذة، ومعلماتها خمس [١].

وذكر في الكتاب السنوي لوزارة المعارف العثمانية لعام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣ م وجود مدرسة ابتدائية للروس في حيفا بها ٣٠ طالب ٥٠ طالبة [٢]. وجاء في ولاية بيروت أنه "كان في عكا مكتب ذكور ابتدائي للروم الأرثونكس، ومكتب للحضانة تديره امرأة مسيحية، وفي كل مكتب منهما من الستين إلى السبعين تلميذاً[٣]. وذكر الدباغ أيضاً أنه كان يوجد في عكا في العام الدراسي ١٣١٨هـ/١٣١٩هـ مدرسة للروم الأرثونكس للبنين يعادل مستواها الرشدية وعدد طلابها ١٠٢ طالباً، ومدرسة للبنات ابتدائية ضمت ٤٠ طالبة [٤]. ومن مدارس الأرثونكس في غزة ذكر "المبيض" ظهور مدرسة على خريطة "بيدكر" لمدينة غزة عام ١٨٨٧م / ١٣٠٥هـ وهي لأولاد الروم، وتقع في كنيسة الروم الأرثونكس [٥].

---

[١] - أسعد منصور: تاريخ الناصرة، مرجع سابق، ص ١٦٧

[٢] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٧ ، ق ٢، ص ص ٤٩٩، ٥٠٠.

[٣] - محمد بهجت، ومحمد رفيق التميمي: ولاية بيروت-القسم الجنوبي، بيروت، مطبعة الإقبال، ١٩١٧م، ص٢٧٧

[٤] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٧ ، ق ٢، ص٢٨٦

[٥] - سليم المبيض: رواد المعارف في غزة ١٨٥٠-١٩١٧م، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الفلسطينية [التعليم الفلسطيني، تاريخاً - واقعاً - وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣-١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧م، ص ص ١١٤، ١١٥

وبعـــد هـــذا العرض لهذه المدارس الأجنبية التي كانت موجودة في فلســـطين، وكانت ترعاها الطائفة الأرثوذكسية. والتي يرى كلداني أن عددهـــا ســـنة ١٨٩٥م / ١٣١٣هـــ كان ثلاث عشرة مدرسة ، وكانت تشـــرف علـــيها الجمعـــية الأرثوذكسية، إلا أنه في في سنة ١٨٩٦م / ١٣١٤هـــ اتفقت الجمعية والبطريركية الأنطاكية على أن تتسلم سائر مدارســـها، وبلـــغ إنشاء المدارس أوجه سنة ١٨٩٩م / ١٣١٧هـــ فبلغ عـــدد المدارس في فلسطين ثلاثاً وعشرين مدرسة، عدد طلابها ١٥٤٧ طالباً بمعدل سبعة وأربعين طالباً للمدرسة ([1]).

واللافـــت للـــنظر أن الحكومة العثمانية لم تعترف بالمدارس الروسية، لذا فتحـــت الجمعـــية المـــدارس باسم البطريركية عادة، ونتيجة مفاوضات بين الروس والآستانة أسفرت عن اعترافها في ١ آذار ١٩٠٢م بمدارس الجمعية السبع والثمانين، وكان الاعتراف حدث الساعة في روسيا وسوريا وفلسطين، وأقيمت الاحتفالات والأعياد بهذه المناسبة ([2]). وهذا يؤكد أن الدولة العثمانية لم تكن راضية عن ذلك النشاط الأجنبي، والإرساليات التبشيرية.

وفيما يتعلق بعدد المدارس لربما كانت السبع والثمانين مدرسة تشمل مـــدارس الجمعـــية فـــي سوريا وفلسطين، خاصة وأن "ياغي" يرى أن "مـــدارس الجمعية كانت مقتصرة على فلسطين في بادئ الأمر إلا أنها سنة ١٨٩٥ م / ١٣١٣هـــ امتدت إلى سوريا" ([3]).

---

[1] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٩٩

[2] - المرجع السابق، ص ٩٩

[3] - عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة، مرجع سابق، ص ٣٢

وعلـــى الرغم من ذلك استطاع الباحث الوصول إلى أسماء ٥٨ مدرسة أرثونكسية، وتواريخ إنشائها في فلسطين موزعة على الجدول التالي:

جدول رقم (١٩)

عدد ومكان المدارس الأرثوذكسية وسنوات إنشائها

الرقم	مكان المدرسة	إنشائها	الرقم	مكان المدرسة	إنشائها
١.	بيت لحم	١١٢٠هـ / ١٧٠٦م	٢٦.	عكا	١٣٠١هـ / ١٨٨٣م
٢.	بيت لحم	١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م	٢٧.	عكا	١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م
٣.	رام الله	١١٩٠هـ / ١٧٧٦م	٢٨.	الناصرة	١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م
٤.	رام الله	١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م	٢٩.	الناصرة	١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م
٥.	رام الله	١١٩٠هـ / ١٧٧٦م	٣٠.	الناصرة	١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م
٦.	رام الله	١١٩٠هـ / ١٧٧٦م	٣١.	عكا	١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م
٧.	رام الله	١١٩٠هـ / ١٧٧٦م	٣٢.	عكا	١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م
٨.	رام الله	١١٩٠هـ / ١٧٧٦م	٣٣.	عكا	١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م
٩.	بيت لحم	١١٩٠هـ / ١٧٧٦م	٣٤.	حيفا	١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م
١٠.	بيت لحم	١١٩٠هـ / ١٧٧٦م	٣٥.	الناصرة	١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م
١١.	بيت لحم	١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م	٣٦.	بيت لحم	١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م
١٢.	بيت لحم	١٢٦٠هـ / ١٨٨٤م	٣٧.	الناصرة	١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م
١٣.	رام الله	١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م	٣٨.	عكا	١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م
١٤.	يافـــا	١٢٥٠هـ / ١٨٣٣م	٣٩.	الناصرة	١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م
١٥.	رام الله	١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م	٤٠.	الناصرة	١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م
١٦.	القدس	١٢٦٧هـ / ١٨٥١م	٤١.	الناصرة	١٣٠٩هـ / ١٨٨٩م
١٧.	القدس	١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م	٤٢.	بيت لحم	١٣١٤هـ / ١٨٩٦م
١٨.	بيت لحم	١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م	٤٣.	الناصرة	١٣٠٩هـ / ١٨٨٩م

١٣١٢هـ / ١٨٩٤م	طبرية	.٤٤	١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م	القدس	.١٩
١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م	يافا	.٤٥	١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م	القدس	.٢٠
١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م	الرملة	.٤٦	١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م	يافا	.٢١
١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م	اللد	.٤٧	١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م	يافا	.٢٢
١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م	اللد	.٤٨	١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م	نابلس	.٢٣
١٣١٩هـ / ١٩٠١م	الناصرة	.٤٩	١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م	الناصرة	.٢٤
١٣١٩هـ / ١٩٠١م	الناصرة	.٥٠	١٣٠١هـ / ١٨٨٣م	عكا	.٢٥

تابع جدول رقم (١٩)

عدد ومكان المدارس الأرثوذكسية وسنوات إنشائها

إنشائها	مكان المدرسة	الرقم	إنشائها	مكان المدرسة	الرقم
١٣٣٢هـ / ١٩١٤م	عكا	.٥٥	١٣٣٢هـ / ١٩١٤م	الناصرة	.٥١
١٣٣٢هـ / ١٩١٤م	عكا	.٥٦	١٣٣٢هـ / ١٩١٤م	الناصرة	.٥٢
١٣١٩هـ / ١٩٠١م	عكا	.٥٧	١٣٣٢هـ / ١٩١٤م	الناصرة	.٥٣
١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م	غزة	.٥٨	١٣٢١هـ / ١٩٠٣م	حيفا	.٥٤

ومن خلال الجدول السابق يتضح أن هناك ثمانية مدارس أرثوذكسية أنشـــئت في نهاية القرن الثامن عشر، في حين أنه لم يكن للبروتستانت مدرسة واحدة في فلسطين في ذلك القرن. كما نلاحظ أن باقي المدارس الأرثوذكسية أنشئت في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وهي فترة الصراع الحاسم للدول الأجنبية على فلسطين.

وبالنســـبة لعدد تلك المدارس فقد أشرنا أن "كلداني" ذكر بأن عددها ٨٧ مدرسة، وتوصل الباحث إلى ٥٨ مدرسة منها، وهي موزعة على المدن الفلسطينية على النحو التالي:

جدول رقم (٢٠)

توزيع المدارس الأرثوذكسية على المدن الفلسطينية

عدد المدارس	المدينة	الرقم
١٥	الناصرة	١.
١٠	عكا	٢.
٩	بيت لحم	٣.
٨	رام الله	٤.
٤	القدس	٥.
٤	يافا	٦.
٢	حيفا	٧.
٢	اللد	٨.
١	نابلس	٩.
١	طبريا	١٠.
١	الرملة	١١.
١	غزة	١٢.
٥٨	المجموع	

ويبدو من خلال الجدول السابق أن العدد الأكبر لمدارس الأرثوذكس تركـز في مدينة الناصرة ثم عكا ثم بيت لحم ورام الله. وأن المدارس انتشرت كذلك في عدد كبير من المدن الفلسطينية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، وهي نفسها المدن التي أقيمت فيها مدارس بروتستانتية، وهـذا يعكـس مـدى الصـراع القائم بين تلك الطوائف على بناء المدارس.

أحوال التعليم الأرثوذكسي (الروسي) في فلسطين:

لقد تميزت المدارس الروسية في فلسطين عن باقي المدارس الأجنبية بشدة إقبال المواطنين عليها، والسبب في ذلك مجانية التعليم. فقد "طبقت الجمعـية "الإمـبراطورية الروسـية" التعليم المجاني في كل مدارسها، ومنعـت مديـري المدارس من تكليف أى أحد من الأولاد غنياً كان أم فقيراً أن يدفع قرشاً واحداً فيها، بل كان الطلاب يأخذون الكتب والدفاتر والأقـلام والحـبر والورق وكل ما يحتاجون إليه مجاناً بلا ثمن على الإطلاق، مما شجع الآباء والأمهات على إرسال أولادهم إلى المدارس الروسية تخلصاً من نفقات التعليم وأثمان الكتب" ([1]).

هـذا بالإضـافة إلى أن المدارس كانت في الغالب مدارس ابتدائية، وربما كان هذا عامل ترغيب للمواطنين في إرسال أبنائهم لتلك المدارس.

ويصـف "ياغـي" المدارس الروسية بأنها كانت تهتم بالعربية أكثر بكثـير من المدارس الرسمية، وكانت تولي العربية عناية فائقة، فكانت لغـة التعلـيم في مدارسها عربية، وهي التي أنشأت مدرسة المعلمين ومدرسة المعلمات لإعداد المعلمين للتعليم باللغة العربية([2]) أو مما جعل المواطنيـن أيضـاً يقـبلون على مدارس الجمعية الروسية "مراعاتها للخصائص القومية للسكان العرب، فعملت على إدخال موضوع تاريخ

---

[1] - زهـير غـنايم عـبد اللطيف: التعليم في مدينة الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٥٠-١٩٢٠م، مرجع سابق، ص ١٤٨

[2] - عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة، مرجع سابق، ص ٦٩

الخلافة العربية في برامج التعليم، وفي هذه المدارس تعلم التلاميذ تاريخ الأدب العربـــي الحديث بطريقة عصرية" ([1]). وقد "كانت دار المعلمين الروســية فـــي الناصرة الأولى في العالم العربي التي اهتمت بتدريس الأدب العربي، وفن التربية والتعليم" ([2]).

أمـــا فـــيما يتعلق بمناهج تلك المدارس فقد كانت تختلف عن بقية مناهج الطوائــف الأخرى، حتى أن فيما بينها كان يوجد اختلاف، فعلى سبيل المثال المدارس الابتدائية كانت الموضوعات التي يتعلمها الطلاب في المدرسة هي: القراءة والكتابة بالعربية، الحساب. وكتب التدريس هي [نخب الملاح] وكتاب [الســراج المنــير] ([3]). أمـــا فـــيما بعد المرحلة الابتدائية، وتحديداً في دار المعلميــن الروســية، فقد كانت الموضوعات التي يتعلمها الطلاب هي: **علم اللاهــوت**●، اللغة العربية، اللغة الروسية، اللغة اليونانية، التاريخ، الجغرافيا، الحساب، الخط العربي، الرسم، النشيد، المهن الحرفية، الرياضة البدنية" ([1]).

---

[1] - عمــر محامــيد: صفحات من تاريخ مدارس الجمعية الروسية في فلسطين بين أعوام ١٨٨٢-١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٥٤

[2] -زهــير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، مرجع سابق، ص ٢٩٧

[3] - عمــر محامــيد: صفحات من تاريخ مدارس الجمعية الروسية في فلسطين بين أعوام ١٨٨٢-١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٧٤

● **علم اللاهوت**: THEOLOGY يعني البحث في الله، أو العلم الذي يعالج الألوهية، ومع انــه كثيراً ما يكون ضمنياً محدوداً في صورته المسيحية، فان العمل اللاهوتي مناسب في أغلب النصوص الدينية كتعبير منظم عن المعتقدات، وبيان مصادرها وسلطتها، وتوضيح علاقــتها بنواحي الاعتقاد الأخرى، وقد اعترف الفكر الغربي تقليداً بنوعين من اللاهوت: اللاهــوت الطبيعي الذي يمكن بلوغه بالعقل الفكري، NATURAL THEOLOGY وعلم

وفي الوقت نفسه كان التعليم بالروسية سبباً في إحجام بعض المواطنين عن إرسال أبنائهم إلى المدارس الروسية؛ لأنهم أرادوا تعليمهم اللغتين الإنجليزية والفرنسية، لما يأملونه من دراسة هاتين اللغتين من العمل في التجارة مع الشركات الفرنسية والإنجليزية، بينما كانت دراسة اللغة الروسية لا تفيدهم في هذا المجال، لذلك أجبر هذا الأمر الروس على تغيير برامجهم الدراسية وإدخال تعليم اللغتين الفرنسية والإنجليزية في مدارسهم ([2]). وتحولت بعد ذلك هذه اللغات اختيارية ([3]) في حين كان هناك اختلاف عن مناهج المدارس اللاهوتية، مثل مدرسة دير الصليب – التي مَرّ ذكرها– فقد ضم المنهاج المواد التالية: اللغات اليونانية واللاتينية والعربية والفرنسية والروسية،والحساب،والهندسة،والجبر،والمثلثات، والفيزياء،والكيمياء،والتاريخ الطبيعي،وعلم المعادن،والفلك،وعلوم العهد الجديد والعهد القديم،والتاريخ القديم والوسيط والحديث،وعلم

اللاهوت الوحي القائم على الوحي الإلهي، وهذا طبعاً ما تدعي الكنيسة المسيحية أنه تلقته سهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، ج٣ ، دمشق، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧، ص٥٩٥

[1] - عمر محاميد: صفحات من تاريخ مدارس الجمعية الروسية في فلسطين بين أعوام ١٨٨٢-١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٥٥

[2] -زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، مرجع سابق، ص ٢٩٧

[3] - زهير غنايم عبد اللطيف: التعليم في مدينة الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٥٠-١٩٢٠م، مرجع سابق، ص ١٤٩

النفس،والمنطق، والميتافيزيقيا•، وتاريخ الفلسفة، والقانون العام، والقانون الكنسي، والترازة ، والموسيقى، والليتورجة، وتدريس العلوم العامة، والكتابة معاً ([1]).

وفيما يتعلق بالموسيقى فقد كانت المدارس الروسية تهتم بتعليمها للطلاب، وكانوا ينشدون أناشيد مثل: فليرع الله القيصر، والمجد لقيصرنا. وكانت صور نيقولا الثاني وزوجته تعلق في هذه المدارس ([2]). ويرجح أن خريجي هذه المدارس كانوا يكملون دراستهم في الجامعات بالخارج، أما فيما يتعلق بالطلاب الذين ينهون المرحلة الابتدائية فيتوجهون لدار المعلمين أو للمدارس التجارية. قد اهتمت طائفة الروم الأرثوذكس بالتعليم المهني أيضاً، فأنشأت على سبيل المثال: مدرسة تجارية في يافا سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦ م ([3]).

• **الميتافيزيقا:** فرع من الفلسفة، يبحث عن الحقيقة الأولية للوجود، سماها أرسطو الفلسفة الأولى وسميت ما بعد الطبيعة لأن مصنفي المؤلفات الأرسطية وضعوا رسائل أرسطو الخاصة بالفلسفة الأولى بعد علم الطبيعة في ترتيب مؤلفاته، والوجود موضوع الميتافيزيقا، باعتباره معنى مجرداً، لا يقتصر على ماهية معينة، وينشأ إما عن التجريد الذي يقوم به العقل مستخلصاً إياه من الموجودات العينية، وإما أن يكون روحياً بطبيعته غير مجسم من المحسوسات الجزئية، كالله والنفس البشرية محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، مج٢، مرجع سابق، ص ص١٧٩٥،١٧٩٤

[1] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ٤٦

[2] - زهير غنايم عبد اللطيف: التعليم في مدينة الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٥٠-١٩٢٠م، مرجع سابق، ص ١٦٩

[3] - محمد سالم الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٤٩٦

وكانت المناهج الدراسية في المدرسة التجارية على النحو التالي: جغرافية المدن التجارية، القانون التجاري، والتاريخ التجاري، ومسك الدفاتر، والمراسلات التجارية، والرياضيات، والتمارين التجارية، بالإضافة إلى الخط والرسم، والموسيقى، والرياضة، ومبادئ الكيمياء، وتهذيب الأخلاق، والتاريخ المسيحي والكنسي. وكان نظام التعليم التجاري يشترط على التلميذ قبل أن يتخرج من المدرسة أن يتعلم ثلاث لغات من الخمس التي تدرس فيها، وهي: العربية والإنجليزية والعثمانية واليونانية والفرنسية ([1]).

ثالثاً: المدارس الكاثوليكية •

كما كانت إنجلترا حامية الطائفة البروتستانتية، وروسيا حامية الطائفة الأرثوذكسية، فإن فرنسا "اعتبرت نفسها حامية الكاثوليك، فأوفدت إلى البلاد العربية كثيراً من الإرساليات الكاثوليكية، وأنشأت بواسطتها كثيراً من المدارس الفرنسية. كما أنها أخذت تحمي وتساعد وتوجه المدارس التي تنشئها الطوائف الكاثوليكية. وفي الأخير أرادت أن تجتذب إلى مدارسها أولاد المسلمين، وأولاد الطوائف غير الكاثوليكية من المسيحيين أيضاً، وكذلك أوجدت الإرساليات العلمانية، وأخذت تنشئ

---

[1] - المرجع السابق، ص ٤٩٦

• **الكاثوليكية**: مذهب المسيحيين الذين يعتبرون بابا روما زعيمهم الروحي، فحسب التعاليم الكاثوليكية عندما قال المسيح للبطرس انه الصخرة التي سيبني عليها كنيسته، فإنه قد اختاره لأن تكون لهذه الكنيسة زعيماً أعلى، وبابا روما، الذي يعتبر خليفة القديس بطرس، يضمن وحدة الكنيسة في المكان وهويتها في الزمان، ولأنه يمثل هذه الوحدة وهذه الهوية، فإنه في نظر الكاثوليكيين معصوم من الخطأ في كل ما يتعلق بشؤون الدين [عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، مج ٥ ، مرجع سابق ، ص٢٠]

المدارس الفرنسية العلمانية التي تلتزم الحياد في الأمور الدينية فلا تدخل في مناهجها أي دين من الأديان" ([1])، وكان لفرنسا كذلك أهداف وأطماع سياسية من وراء ذلك فقد رأى "كلداني" أن "وجود الجمعيات الرهبانية الكاثوليكية ارتبط بسياسة بلادها الأصلية. ونشرت هذه الجمعيات لغاتها من خلال التعليم، كالألمانية والفرنسية والإيطالية. وقد رأى بعض المحللين لتاريخ فلسطين الديني في القرن التاسع عشر أن هذه الجمعيات بمدارسها ومستشفياتها ومؤسساتها، حققت التوازن تجاه الجمعيات الإنجليزية البروتستانتية والروسية الأرثوذكسية" ([2]).

ولقد كانت مدارس اللاتين - على يد البعثات الفرنسية - من أول المدارس التي أنشئت في البلاد، وكانت تتبع منذ إنشائها المنهج الفرنسي في التربية والتعليم. وكانت منزلتها العلمية إجمالاً أرقى من مدارس الحكومة أو مدارس الروم، لكنها أسوة بسائر المدارس الأجنبية، صرفت جهداً كبيراً على تدريس الشئون الدينية والصلوات ([3]). ولقد كان الكاثوليك الرومان "اللاتين" أول من أدخل التأثير التعليمي المسيحي، الذي كان في الأساس فرنسياً إلي حيفاً، حيث أعادوا تأسيس تأثيرهم الديني من خلال بناء دير مهيب على جبل الكرمل في الثلاثينيات من

---

[1] - ساطع الحصري: حولية الثقافية العربية الثانية، مرجع سابق، ص ١٣

[2] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص٢٦٢

[3] - بيان نويهض الحوت: فلسطين: القضية- الشعب- والحضارة، بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٩١م، ص ص ٤١٨، ٤١٩

القـــرن التاســـع عشر ([1]). ولكنْ من أقدم مدارس اللاتين في فلسطين مدرســـتان ابتدائيتان في بيت ساحور تم تأسيسهما ١١٧٠هـــ / ١٧٥٦م ([2])، ومدرســـتان ابتدائيتان لأطفال اللاتين في بيت جالا، واحدة للبنين، والثانـــية للبنات أنشئتا عام ١١٧٠هـــ / ١٧٥٦م([3])، مع العلم أنه ورد ذكـــر أول مدرسة أنشأها الآباء الفرنسيسيون في بيت لحم في مذكرات الـــرحالة [يوهانـــي كوتفيك] الذي حج إلى القدس عام ١٥٩٨م، فوجد مدرسة للأطفال في بيت لحم في دير الرهبان الأصاغر، وهي موجودة من قبل([4]).

ولقـــد ظهـــرت المـــدارس الفرنسية في فلسطين لتزويد حراسة الأراضي المقدســـة بعدد من المترجمين للعمل في الأديرة ولخدمة الحجاج المسيحيين، وكـــان نصـــيب فلسطين فيها ست مدارس. وعما تعمله هذه المدارس، كتب الأب "برنارد نيوسوريد" الذي عاش في فلسطين بين عامي ١٦٤٤-١٧٤٧م يعلـــم رهبانـــنا الأولاد الإيمـــان الكاثوليكـــي والعلوم، فيخلف الأولاد آباءهم كمترجمين، وفي ذلك فائدة لخيرهم الروحي والجسدي ([5]).

ولقـــد نعمـــت حراسة الأراضي المقدسة منذ منتصف القرن التاسع عشر بفـــترة ازدهـــار وسلام. فشرعت بترميم أديرتها ومدارسها وتحسين مستوى

---

[1] – مي إبراهيم صيقلي: حيفا العربية ١٩١٨م-١٩٣٩م التطور الاجتماعي والاقتصادي، ط ٢ ، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٨م، ص ٣٦

[2] –مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٤٧٤

[3] –المرجع السابق، ص٤٦٤

[4] – حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص١٥٣

[5] – المرجع السابق، ص١٥٤

التعليم، وتحويل المدارس من مدارس خاصة إلى عامة، وفتحها لكافة المواطنين. وحتى عام ١٨٤١م اقتصرت المدارس على الذكور، فافتتحت أول مدرسة للإناث في القدس ثم في الناصرة وبيت لحم، وعين الرئيس العام للرهبنة الفرنسية مفتشاً عاماً للمدارس واجبه العمل على ازدهار المدارس وتنظيمها وزيادة عددها ([1]).

وجمعية راهبات القديس يوسف أول جمعية راهبات تستقر في فلسطين منذ العهد الصليبي، فأنشأت مدرسة في القدس سنة ١٨٤٨م / ١٢٦٥هـ، ومستشفى سنة ١٨٥١م/١٢٦٨هـ، ومدرسة ومستوصفاً في كل من بيت لحم ويافا سنة ١٨٤٩م/١٢٦٦هـ ([2]). وفي يافا افتتحت البطريركية اللاتينية مدرسة ابتدائية للذكور في سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م ، وقدرت سالنامة نظارت عمومية سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م أن عدد طلاب تلك المدرسة ٤٠ طالباً ([3]).

وأنشأت "راهبات الناصرة" مدرسة وميتماً في نهاية سنة ١٨٥٤م / ١٢٧١هـ ([4]). وفي ألمانيا أُسست جمعية كولون ١٨٥٥م / ١٢٧٢هـ لدعم الكثلكة بفلسطين، وكان لهذه الجمعية خمس مدارس بشمال فلسطين هي: دير حنه، وسخنين، وعيلبون، وعرابة، ومغار. وكانت مدرسة المغار المدرسة المختلطة الأولى في فلسطين. ولقد كرس الكاثوليك

---

[1] - المرجع السابق، ص١٥٤

[2] - المرجع السابق، ص٢٢٤

[3] - محمد سالم الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤- ١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٤٩٩

[4] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص٢٢٥

الفرنسيون والألمان جل اهتمامهم لدعم المدارس الكاثوليكية وتقويتها ([1]). وفي العام ١٨٥٦م / ١٢٧٣هـ فتحت البطريركية اللاتينية (الكاثوليكية) مدرسة في رام الله بلغ عدد طلابها ٤٠ طالباً ([2])، وفي الكتاب السنوي لوزارة المعارف العثمانية الصادرة عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م ذكر لمدرستين للاتين في قرية جفنه القريبة من بيرزيت ([3])، إحداها للذكور وبها ٣١ طالباً، والثانية للبنات وبها ٨٠ طالبة، تأسستا عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م ([4]).

وفي الطيبة كذلك أنشأ اللاتين سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨ م مدرستين: واحدة للبنين ضمت عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣ م [٢٥] طالباً، والثانية للبنات جمعت في العام المذكور ١٥ طالبة([5]). وفي عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨ م أيضاً افتتح اللاتين بإدارة الخوري أنطون مدرسة ابتدائية للبنين في رام الله، كان بها عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٣ م [١٨] طالباً ([6]). وحسب الكتاب السنوي لوزارة المعارف العمومية العثمانية الصادر عام ١٣١٩هـ / ١٩٠١ م ذكر أنه في بيرزيت تأسست مدرسة للاتين عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨ م جمعت في عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م [١٥] طالباً ([7]). وفي بيت ساحور قام

---

[1] - المرجع السابق، ص٢٧٨

[2] - المرجع السابق، ص٢١٧

[3] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٣٢٦

[4] -المرجع السابق، ص٣٤٣

[5] -المرجع السابق، ص٢٤٧

[6] -المرجع السابق، ص٢٤٧

[7] -المرجع السابق، ص٣١٩

الأب موريتان بشراء أرض وشيد عليها ديراً وكنيسة ومدرسة صغيرة لأبناء الطائفة البطريركية في العام ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م ([1])، وجاء في ولاية بيروت أن راهبات الناصرة افتتحن في حيفا ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨م، وأخرى في شفا عمرو سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م ([2]).

والملاحظـة الجديـرة بالذكر أن المدارس الأجنبية بدأ انتشارها في العام ١٨٥٨م ومـا بعـده. ويـرجع الباحـث السـبب في ذلك إلى صدور الخط الهمايونـي ١٨٥٦م والـذي سـبق ذكره إذ إن هذا الخط قد "كفل للمسيحيين حـرية العبادة والحق في ترميم وإصلاح الكنائس وإنشاء كنائس جديدة.وكفل لهـم الحـق فـي الانتسـاب إلـى معـاهد التعليم الرسمية ووظائف الدولة المدنـية،وخول لهـم الحق في إنشاء مدارس للعلوم والفنون والصناعات([3]). وبدأت المدارس الكاثوليكية بالانتشار، وترعاها فرنسا. ويذكر أن الفرنسيكان فـتحوا مدرسة بعد أن سكنوا الناصرة، لكنه لم يُعرف تاريخ فتحها، وأن لهم مدرستين:

- ♦ يومـية طائفـية للصبيان في بناء خاص بجوار الدير، يتراوح تلامـيذها سـنة ١٩١٤م بين ١٠٠- ١٣٠ ، ومعلموها بين ٦-٨ نحو نصفهم رهبان.

---

[1] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص٢١٨

[2] - محمد بهجت، ورفيق التميمي: ولاية بيروت-القسم الجنوبي، بيروت، مطبعة الإقبال، ١٩١٧م، ص ٢٦

[3] - محمـد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة [١٢٩٩-١٩٢٤م]، مرجع سابق، ص ٤١٥

◆ مدرسة استعدادية يستعد تلاميذها ليكونوا رهباناً، تأسست عام ١٨٦٣م، وهـي لا تفـتح دائمـاً بل عندما تدعو الظروف ([1]). وفي قرية نصف جبيل [الشمال الغربي من نابلس] تأسست مدرسة للفرنسيين سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣ م ضمت ١٠ طلاب و ٧ طالبات ([2]).

وجاء في حولية نظارة المعارف العمومية العثمانية لعام ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م حول التعليم في متصرفية القدس وقصبتها في بيت المقدس مجموعة لمدارس الطوائف العثمانية فيها:

مـدارس الـروم: لهـم ثلاث مدارس: واحدة ابتدائية للبنات وتأسست عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م، وجمعـت ١٠٠ بنـت، ومدرسـتان للصبيان: إعدادية وضـمت ٥٠ طالباً، وتأسست عام ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩م، رشدية ضمت ١٤٠ طالباً وفتحت أبوابها عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م([3]).

وفـي الكتاب السنوي لنظارة المعارف العثمانية لعام ١٣٢١ هـ /١٩٠٣م جاء أنـه كـان في بيت لحم "مدرسة الأيتام الكاثوليك"، وهي ابتدائية ضمت ٧٥ طالبة، وتأسسـت عـام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م ([4]) . وقد كان للفرنسيكان مدرسة قلبي يسوع ومـريم الأقدسين في صفد([5]). وفي سنة ١٨٦٧م / ١٢٨٤هـ أسس "الأب بلوني" أول مدرسـة زراعـية فـي فلسـطين قرية بيت جمال، وقد اشترى القرية بسخاء المحسنين، وأسس مدرسة أخرى فيما بعد في ضواحي بيت جالا ([6]).

---

[1] - أسعد منصور: تاريخ الناصرة، مرجع سابق، ص١٥٥

[2] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٢ ، ق ٢، ص٤٠٩

[3] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ١٠ ، ق ٢، ص١٣٦

[4] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٤٢٤

[5] - زهـير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، مرجع سابق، ص ٢٨٥

[6] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص٢٢٦

أمــا بطريركــية اللاتين في القدس فقد افتتحت مدرسة ابتدائية للذكور في مديــنة يافــا ســنة ١٢٨٢ هــ / ١٨٦٥م بلغ عدد طلابها في ١٣٢١ هــ / ١٩٠٣م [١٠٠] طالــب، وفي سنة ١٢٨٧ هــ / ١٨٧٠م افتتحت مدرسة ابتدائية أخرى للذكور بلغ عدد طلابها في سنة ١٣١٩ هــ / ١٩٠١م [١٠٠] طالــب. وفــي ســنة ١٣١٠ هــ / ١٨٩٢م افتتحت البطريركية اللاتينية مدرســة ابتدائــية للبنات في مدينة يافا بلغ عدد طالباتها ٤٥ طالبة ([١])، بينما يذكر الدباغ أنه كان في يافا:

- **مدرســة ضابيطا للبنات:** وتأسست عام ١٢٩٢ هــ / ١٨٧٥ وضمت ٦٩ طالبة.
- **ثــلاث مدارس مختلطة:** هيكلية وألمانية ضمت جميعها في عام ١٣١٨ هـــ / ١٣١٩هــ المدرسي ٢٤٥ طالباً، والرابعة للبنات جمعت في العام المذكور ١٥٠ طالبةً، تأسست في سنة ١٨٤٩م / ١٢٦٦م ([٢]). وفي نابلس كــان هــناك ثلاث مدارس للاتين الفرنسيين، واحدة مختلطة ضمت ٢٥ طالــباً و١٢ طالــبة، والثانــية للذكور وضمت ١٢ طالباً، والثالثة للبنات وضــمت ١٥ طالبة وتأسست عام ١٢٩٣ هــ / ١٨٧٥م ([٣]). كما أنشئت مدرســة للاتيــن في عين عريك [قضاء رام الله] في العام ١٢٩٥ هــ / ١٨٧٧م ضمت في عام ١٣٢١ هــ / ١٩٠٣م [٥] طلاب ([٤]).

---

[١] - محمد سالم الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٤٩٨

[٢] -مصــطفى مــراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٤ ، ق ٢، ص ص ٢٠٨، ٢٠٩

[٣] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٢ ، ق ٢، ص٢١٤

[٤] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٣٦١

ولقد أنشأت أخوة المدارس المسيحية [الفرير]● عام ١٨٨٢م / ١٣٠٠ هـ مدرسة في يافا، وفي عام ١٨٨٣م / ١٣٠١ هـ مدرسة في حيفا، وفتحت دار الابتداء في بيت لحم عام ١٨٨٥م لتنشئة الشباب العربي الراغبين في الانضمام لحياة الأخوة الرهبانية. وفي عام ١٨٩٢ م / ١٣١٠ هـ فتحت مدرسة لإعداد المعلمين في بيت لحم تهدف إلى إعداد الشباب الفلسطيني من أجل الحصول على التأهيل الضروري للتدريس في مدارس الأخوة فيما بعد([1])، إلا أن "الدباغ" يذكر حسب الكتاب السنوي لوزارة المعارف العثمانية لعام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م وجود ثلاث مدارس في حيفا، وهي:

I. **الفرير**: وبها ١٨٠ طالبة.
II. **راهبات المحبة**: ابتدائية وبها ٣٠ طالبة
III. **راهبات الناصرة**: ابتدائية وبها ١٥٠ طالباً ([2]).

وفي عام ١٨٨٢م / ١٣٠٠هـ افتتح معهد القديسة حنه بالقدس " الإكليركي" وكان المعهد يعتبر مدرسة فرنسية، وكان يتبع لروما مباشرة، وهو معهد إكليركي ملكي كاثوليكي شرقي بإدارة اللاتين، وقد صارت الدراسة في المعهد بقسميه الأصغر والأكبر ثلاثة عشر بدلاً من عشر سنوات، وتدرس فيه المواد التالية في الإكليركية الصغرى: العربية، الفرنسية، اللاتينية، اليونانية، التاريخ، الجغرافيا، العلوم، الترنيم الكنسي.

● **الفرير**: أخوة المدارس المسيحية هي جمعية رهبانية أسسها عام ١٦٨٠م جان بايتست دي لاسال (Jean Baptiste De La Salle) لتعليم الأولاد وتثقيفهم.

[1] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص٢٦٤

[2] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٧ ، ق ٢، ص٥٠٠

ولغة المخاطبة اليومية هي الفرنسية. أما مساقات الإكليركية الكبرى فهي: الفلسفة، اللاهوت العقائدي والأدبي والرعائي والروحي، الكتاب المقدس، الحق القانوني، التاريخ الكنسي، الليتورجيا، الترنيم البيزنطي، والخطابة. وبلغ عدد طلاب الإكليركية الصغرى عام ١٨٩٦م [٧٨] طالباً. وفي عام ١٩٠٢م [١٠٠] طالب، وفي عام ١٩٠٩ م [١١٠] طالباً. أما أعداد طلاب الإكليركية الكبرى فتراوح بين ٣٠-٣٥ طالباً، وبلغ عدد الخريجين الإجمالي ٧٩ كاهناً وشماساً حتى عام ١٩٠٩م([1]).

وفي غزة تم إنشاء دير اللاتين في عام ١٨٨٢م / ١٣٠٠ هـ وقد ألحقت به مدرسة أطلق عليهما كنسية ومدرسة دير اللاتين ([2]). كما افتتحت راهبات الناصرة ميتماً سنة ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ كان عدد يتيماته ٣٥ يتيمة، ومدرسة يومية عدد تلميذاتها بين ٨٠-١٢٠، وأكثر المعلمات من الراهبات، ومدرسة راهبات مار يوسف للبنات يومية تأسست سنة ١٨٩٩م/ ١٣١٧هـ عدد تلميذاتها ٣٠-٥٠ ومعلماتها من الراهبات، وميتم السلزيان أو ميتم يسوع الشاب الذي بني سنة ١٩٠٢م / ١٣٢٠ هـ وألحقوا به مدرسة في سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م وبلغ عدد الطلاب في الميتم والمدرسة سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤ م ٥٠ يتيماً، ١١٧ طالباً يدرسهم تسعة معلمين من الرهبان ([3]).

---

[1] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص٤٢٢

[2] - المرجع السابق، ص٢٥٨

[3] - أسعد منصور: تاريخ الناصرة، مرجع سابق، ص ١٥٤-١٥٦

وفــي نــابلس افتتحت البطريركية اللاتينية الأورشليمية مدرسة سنة ١٨٨٣م/١٣٠١هـــ في قرية رفيديا، ومدرسة أخرى في قرية الزبابدة القريبة من جنين سنة ١٨٨٧م/ ١٣٠٥هـ([1])، ومدرسة أخرى في قرية (يافة الناصرة) سنة ١٨٨٥م/١٣٠٣هـ ([2]). وفي يافا افتتحت راهبات الورديـــة فـــي القدس مدرسة للبنات سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م ([3]). وفي القــدس فتحــت (راهبات القدس شارل) مستوصفاً ومدرسة داخلية عام ١٨٨٦م/١٣٠٤هـ، وعرفت مدرستهن بمدرسة شميدت نسبة إلى مرشد الراهــبات الأب فلهــام شــميدت [Willhem Schmidt]([4]). وفي عام ١٣٠٨هـــ/[١٨٩٠-١٨٩١م] قــام الألمان بإدارة (ينمور يوقم هوشه) مدرســتين للبنات في رام الله، جمعت عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م [٨٢] بنتاً([5]).

وتشــير حجــة شــرعية لمحكمــة يافا تعود لسنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م أن راهــبات الفرير في القدس [أخوة المدارس اليسوعية] افتتحوا مدرسة ابتدائية مخــتلطة فــي مديــنة يافا تعرف باسم مدرسة الفرير، وقد أصبحت مدرسة ثانويــة عــام ١٩١١م، وعدد طلابها بلغ ٢٥٠ طالباً وطالبة وأصبح اسمها

---

[1] - حــنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص ص ٢٥٩، ٢٦٠

[2] - المرجع السابق، ص٢٢٤

[3] - محمد سالم الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٤٩٩

[4] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص٢٧٥

[5] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٨ ، ق ٢، ص٢٤٧

مدرسة القديس يوسف ([1]). وافتتحت الراهبات أيضاً مدرسة في مدينة الرملة ورد أول إشارة لها في وثيقة شرعية تعود إلى سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م([2]). وأقـــام السكان الكاثوليك كذلك مدرسة في طبرية عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، ضـــمت ١٥ طالـــباً([3]). ويذكر "الدباغ" أنه في العام نفسه ١٣١٨هـ/١٣١٩هـــكـــان في عكا مدرسة ابتدائية ضمت ٦٦ طالبة، ومدرسة للاتين [إيطالية] ضمت ٤٠ طالبة، ومدرسة الراهبات للبنات، وهي فرنسية - رشدية، ضمت ٢٥ طالبة ([4]). وحول مدارس عكا الكاثوليكية يؤكد "كلداني" أن الإحصائيات المـــتوفرة حـــول أبرشـــية عكا الذي تعود لعام ١٩٠٧م/١٣٢٥هـــ، أن عدد المـــدارس ١٧ للذكـــور، ١٠ للإناث مع العلم أن أبرشية عكا تضم ٣٢ قرية ومدينة مجموع كنائسها ٩٨ كنيسة ([5]).

وظـــل نشـــاط الكاثوليك في فلسطين حتى قبل الحرب الأولى، فقد افتتحت مدرسة الراهبات الكرمليات الإيطاليات سنة ١٩٠٧م/١٣٢٥هـــ في حيفا ([6])، كما افتتح الروم الكاثوليك مدرسة في الناصرة في أيلول سنة ١٩١٠م/١٣٢٧هـــ في دار مستأجرة، عدد معلميها ٤ وعدد تلامذتها بين ٩٠-١٢٠ ([7]).

---

[1] - محمد سالم الطراونة: قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م، مرجع سابق، ص ٤٩٩

[2] - المرجع السابق، ص ٤٩٩

[3] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٦ ، ق ٢، ص ٣٣٠

[4] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٧ ، ق ٢، ص٢٨٥

[5] - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص٤٠٩

[6] - مي إبراهيم صيقلي: حيفا العربية ١٩١٨م-١٩٣٩م التطور الاجتماعي والاقتصادي، مرجع سابق، ص ٣٦

[7] - أسعد منصور: تاريخ الناصرة، مرجع سابق، ص١٧٥

وفـيما يـتعلق بإقبال المواطنين على مدارس الكاثوليك فكان لا يقل عن إقبالهم على المدارس البروتستانتية أو الأرثوذكسية، خاصة وأن "الجمعيات الفرنسية كانت تمـول معظـم المدارس الكاثوليكية التي تقع في المدن الكبرى كالقدس ويافا وبيت لحـم وحـيفا والناصـرة"(1). أما بالنسبة لعدد المدارس الكاثوليكية في فلسطين فقد أشـرنا سابقاً لوجود ٢٧ مدرسة ضمن أبرشية عكا، فيما يؤكد "كلداني" أنه جاء في الإحصائيات الفرنسية الرسمية أن عدد المدارس قد بلغ - في عام ١٩٨٥—١٨٩٦ م - ٥٤ مدرسة في كافة أنحاء الحراسة المقدسة في فلسطين منها ٣٦ للذكور، ١٨ للإناث، ومجموع طلابها ٤٢٢٤ طالباً، وعدد المعلمين ٦٠ معلماً (2).

أمـا بالنسـبة لمـناهج المدارس الكاثوليكية فقد اهتمت بتدريس اللغتين الفرنسية والإيطالـية بشـكل عـام. لكن مدارس الآباء الفرنسيكان في الناصرة كانت تدرس اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية. وإلى جانب ذلك اهتمت المدارس الكاثوليكية بـتدريس الديانـة المسـيحية أي الصـلوات والطقوس والفروض الدينية (3). ولقد حظيـت اللغة العربية برعاية الأخوة في القدس، لدرجة أن أصبحت مدارس الفرير عمـاد اللغة العربية وركنها،والمدرسة العليا في فلسطين لمن رغب في التضلع في اللغـة العربـية (4). وبشـكل عام يمكن القول أن المواطنين استفادوا من تعلم تلك اللغـات الأجنـبـية للعمـل فـي مخـتلف القطاعـات التـجارية والمصرفية والمواصلات (5).

---

1 - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص٢٧٨

2 - المرجع السابق، ص١٥٥

3 - زهـير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، مرجع سابق، ص ٢٩٦-٢٩٨

4 - حنا سعيد كلداني: المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين، مرجع سابق، ص٢٦٦

5 - بـيان نويهـض الحوت: فلسطين: القضية- الشعب- والحضارة، مرجع سابق، ص ٤١٨

ويــرى الباحث أن الإرساليات والبعثات الأجنبية سعت بالدرجة الأولى لترسيخ دعائمهــا واثــبات وجودها ضمن إطار الصراع بين دولها الكبرى، ولكنها أسهمت بدرجــة معيــنة بخدمــة النهضـــة الأدبية، خاصة، وأنها أدخلت المطابع، وأسست الصـــحف، وأنشأت المدارس والمعاهد، وأدخلت مناهج متعددة، ونشرت الكثير من المؤلفـــات، وعلمت العديد من اللغات، ومازجت بين الثقافات، وساعدت البعض في الدراسات العليا.

وفـــي ضوء ما تم عرضة من مدارس كاثوليكية وسنوات إنشائها يتبين أن عدد تلك المدارس في فلسطين ٨٤ مدرسة في العهد العثماني، ويلاحظ أن أربعاً من تلك المـــدارس فقـــط أنشـــئت في القرن الثامن عشر، أما باقي المدارس فقد أنشئت في النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي، وهذا يشبه تماماً المدارس الأرثوذكسية والبروتستنتية مما يؤكد وجود صراع قائم بين تلك الطوائف الأجنبية على بناء تلك المـــدارس والمؤسســـات التبشـــيرية والتعليمـــية ، ويتضح أن هذه المدارس كانت موزعة على المدن الفلسطينية حسب الجدول التالي:

جدول رقم (٢١)

المدارس الكاثوليكية في فلسطين حسب المدن

الرقم	المدينة	عدد المدارس
١.	يافا	١٤
٢.	الناصرة	١٢
٣.	بيت لحم	١٢
٤.	رام الله	١٠
٥.	عكا	٩
٦.	القدس	٩
٧.	حيفا	٧

٥	نابلس	٨.
٢	صفد	٩.
١	غزة	١٠.
١	جنين	١١.
١	الرملة	١٢.
١	طبريا	١٣.
٨٤	المجموع	

ومـن خـلال هذا الجدول يتضح كذلك تركز وارتفاع عدد المدارس في المدن ذات الـتواجد المسـيحي، وهي: يافا والناصرة والقدس ورام الله وبيت لحم وعكا. ويلاحـظ كذلك أن مجموع المدارس الأجنبية في الناصرة أكبر عدداً في تلك المدن إذ يـبلغ ٣٥ مدرسة، وهذا مرجعه إلى كون المدينة مهد سيدنا المسيح عليه السلام، وما تمتاز به من مكانة عالية عند المسيحيين في العالم.

وفـي ضوء ما سبق من عرض للمدارس الأجنبية (المسيحية) في فلسطين في العهد العثماني يمكن توزيعها حسب الطوائف في الجدول التالي:

جدول رقم (٢٢)

المدارس الأجنبية حسب الطوائف

عدد المدارس	الطائفة	الرقم
٧٩	البروتستانت	١
٨٧	الأرثوذكس	٢
٨٤	الكاثوليك	٣
٢٥٠	المجموع	

ومــن خــلال هــذه الإحصائيات النهائية لمدارس الطوائف المسيحية في فلســطين فــي العهد العثماني، والتي يبلغ عددها ٢٥٠ مدرسة، يتبين لنا أن هناك عدداً كبيراً من المدارس ، وهذا له مؤشرات متعددة أهمها:

- أن الدولــة العثمانــية أعطــت تلك الطوائف الحرية الكاملة في إنشاء المدارس، وبالتالي منحتها الحرية في التعليم دون قيد أو شرط أو تمييز.

- أن أعــداد تلك المدارس لكل طائفة تكاد تكون متقاربة، مما يدل على أن الصراع فيما بينها كان على أشده، وأن الفوارق بسيطة جداً في عدد المدارس بينهم، مع وجود فارق في تقدم عدد مدارس الأرثوذكس، وهــذا يؤكــد مـــا ذكره "محاميد" سابقاً أن أكثر العرب المسيحيين في فلسطين هم من الأرثوذكس.

٣- التعليم اليهودي

إن وجــود اليهود غير الطبيعي في فلسطين في العهد العثماني تميز بعلاقــات ودلالات خطــيرة أهمها: أن هؤلاء اليهود لم يأتوا من مكان واحــد بــل جــاءوا من أماكن متعددة، لذلك فإنهم لم يشكلوا مجموعة متجانســة، وإنمــا اختلفت أجناسهم، ولغاتهم، وثقافاتهم، وانقسموا إلى مجموعات متمايزة لكل مجموعة منها عالمها الخاص. إذ حافظت على ماضــيها، واستبقت لغة موطنها الأصلي. ولكن غلبت على الجماعات اليهودية في فلسطين مجموعتان مختلفتان، تميزتا بتباين الأصل والثقافة والمذهب الديني وهما:

I. مجموعة اليهود [الاشكنازيم]• ولغتهم اليديش.

II. مجموعة اليهود [السفرديم]• ولغتهم اللادينو ([1]).

• **الأشكيناز:** اليهود من أوربا المسيحية، في العصور الوسطى المتأخرة عندما كانت العوالم الأوربية والأسيوية الغربية مقسمة من البلاد المسيحية والإسلامية، وجد الشعب اليهودي أيضاً نفسه مقسماً إلى مجموعتين رئيسيتين، والتعبير أشكيناز ASHKENAZI يعين بالأصل (ألمان) ويطبق على اليهود من وسط أوربا وشرقها [سهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، دمشق، دار الكتاب العربي، ج ١ ، ١٩٩٧م، ص ٧٤].

• **السفارديم** SAFERDIM : يهود من أصل أسباني أو برتغالي، تركوا شبه الجزيرة الأيبيرية في نهاية القرن ١٩ عندما طرد اليهود (اليهود الأوربيون EUROPEAN TEWRY) واستوطنوا في شمال إفريقيا، وبلدان الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط والشرق الأقصى، وشمال أوربا، وكانت الثقافة اليهودية والأسبانية متطورة إلى درجة عالية، ونزع اللاجئون السفارديم إلى الهيمنة على الطوائف اليهودية في مناطق استيطانهم الجديدة، وهذا يفسر لماذا عرف اليهود في البلاد الإسلامية بالسفارديم، مع أن كثيراً منهم ليسوا بالأصل من منشأ أسباني، وبعض المنحدرين بين اللاجئين السفارديم ما زالوا يصغون الملحق الأخير: (سفاردي تابور SEFARDI TOBÓR) أي السفاردي النقي بعد أسمائهم ويختلف اليهود السفارديم عن نظرائهم في الدين الاشكناز ASHKENAZI في عدد من الطرق الثقافية والطقوسية بعضها قابل للتفسير لوساطة الفروق بين الحضارة الإسلامية والمسيحية المضيفة التي عاشوا فيها، ويتألف أكثر من نصف صهاينة الأراضي المحتلة من فلسطين من يهود شرقيين سفارديم [سهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٦].

[1] - السيد ياسين، وعلي الدين هلال: الاستعمار الصهيوني في فلسطين [١٨٨٢-١٩٤٨ م]، القاهرة، دار نافع للطباعة والنشر، ١٩٧٥م، ص ١٤٥

ولهــذا الســبب يوجــد تنوع في المدارس والمناهج واختلاف في اللغــات، لكن الشيء الذي جمعهم بالنسبة للتعليم هي الناحية الدينية. ففي دراسة حديثة "للقطشان" يرى فيها أن "التعليم في العقيدة اليهودية ارتــبط بالعــامل الدينــي شــأنه شــأن التعليم في العقيدة الإسلامية والمسيحية في هذه المنطقة من العالم" ([1]).

ولكــن هــذا الارتباط بالعامل الديني لم يستمر طويلاً؛ لأن التعليم الــيهودي مرّ بثلاث مراحل. ويعرض القطشان وصفاً دقيقاً للمرحلة الأولــى الخاصة بالمدارس الدينية التقليدية في فلسطين عشية انتهاء الحكم العثماني كما يلي:

➢ **الحيدر:**

وتعنــي الحجــرة أو الغــرفة الملحقــة بالكنــيس الــيهودي SYNAGOGUE وكانت الدراسة في هذه المرحلة في مستوي التعليم الابتدائــي الأولي يقوم فيها المعلم بتلقين التلاميذ الموضوعات الدينية مــن الــتوراة والــتلمود● والتفسيرات لتلك النصوص ويتراوح عدد

---

[1] - عــبد الله عبد السلام القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣

● **التلمود:** TALMUD الــنص الرئيســي لليهود الربانية، وهو تفسير واسع للمجال للميشــنا MISHNA والتلمود الفلسطيني (أو المقدسي) تمت كتابته في نحو نهاية القرن (٤ م) أمــا الــتلمود البابلي وهو الأكثر نفوذاً وأصالة لدي اليهودية المتأخرة من النسخة الفلســطينية فقــد تــم تحقيقه في نهاية القرن (٥ م) وكلا التلمودين بالآرامية، (اللغات الــيهودية) والتفســير الباقــي للتلمود لا يغطي كل المراتب الستة للمشنا، ويفسر التلمود الفلســطيني ٣٩ مــن البحوث البالغة ٦٣ بحثاً أما البابلي فيشرح ٣٧، والتلمود البابلي مع

التلامـــيذ مـــا بين ثمانية وعشرة تلاميذ وقد يزداد العدد إلى أكثر من ذلك، وتتراوح أعمارهم ما بين ٤-١٢ سنة، والمدرسة تشبه إلى حد مـــا الكتاتيب حيث يقوم التعليم فيها على التلقين والتكرار والحفظ عن ظهر قلب[١].

➢ مدارس توراة تلمود:

وكانـــت تضـــم أطفال العائلات الفقيرة التي لا تستطيع إرسال أطفالها إلى مدرسة "الحيدر"، وهي أكثر تطوراً من مدارس الحيدريم، ويتلقى فيها التلاميذ دروساً في الموضوعات الدينية والعامة.

➢ مـــدارس اليشفا●: وتعرف هذه المدارس بالأكاديمية التلمودية، وتعتـــبر المـــرحلة الثانـــية في التعليم اليهودي التقليدي، يلتحق بها

ذلـــك أطـــول بكثير، ومناقشته للقضايا واسعة النطاق أكثر من التلمود الفلسطيني، وبشكل عـــام يمكـــن تقسيم المادة التلمودية إلى هالاخاه HALAKAH أي: الأمور القانونية والطقوســـية، وأغادا AGGADAH ، أي الأمور الدينية والأخلاقية والمسائل الشعبية [ســـهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، ج ١ ، ص٢٥٦].

١ - عبد الله القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨م، مرجع سابق، ص٦

● يشيفا YASHIVA: المؤســـسة التعليمـــية الرئيســـية في اليهودية التقليدية، مع مجموعـــة مـــن الطـــلاب الذكـــور يتراوحون عادة ما بين أوائل سن المراهقة ومنتصف العشـــرينيات، ويتركز منهاج اليشيفا على بحوث معينة في التلمود البابلي TALMUD وتفاســـيره الكثيرة، وتشمل طريقة الدراسة تحضير نص من قبل طالبين أو ثلاثة (كفروتا CHAVRUTA) معـــاً يناقشـــون مضـــامين موضوع خاص (سوغيا SUGYA) ويـــتجادلون في التفاسير، ثم تلقي محاضرة من قبل حبر على هيئة اليشيفا، ويثير الطلاب

الأطفال في سن الثالثة عشرة بعد إكمال دراستهم في مدارس الحيدريم والتوراة تلمود، ويناقش فيها التلاميذ موضوعات دينية كالقانون الشفوي في المشنا●، والجمارا●، وتركز على الموضوعات الدينية. وقد انتشرت في المدن التي يزعم اليهود بأهميتها المقدسة في الديانة أو التراث اليهودي، كطبريا، وصفد، والخليل، والقدس(١).

الاعتراضات والأسئلة، وبعد المحاضرة تستمر جلسات دراسة الكفروتا على (الكازارا SHAZARAH) محاضرة الحبر (شيور SHIUR) ووجهت الانتقادات بشدة من قبل المربين اليهود إلى المنهاج الضيق وطرق الإفتاء وتقرير مسائل الخير والشر في الدراسة (بلبول PILPUL) لبعض اليشفوت YESHIVOT ولكنه مع ذلك ابقي مميزاً لنظام اليشيفا [سهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب، مرجع سابق، ج٣، ص٩٤١].

● **الميشنا:** تعني باللغة العبرية (المعرفة) أو القانون الثاني بعد التوراة أو هي مجموعة الأسفار التي تشرح التلمود وعددها ٦٣ كتاباً في شؤون الدين والقانون والتاريخ [عبد الله القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠١، ص٧].

● **الجمارا:** هي مجموعة الأسفار التي تشرح الميشنا ومعناها باللغة العبرية (الإكمال) وهي مدونة باللغة الأرامية [عبد الله القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠١ ، ص٧].

١ - عبد الله عبد السلام القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨م، مرجع سابق، ص ٧

وفي الإطار نفسه يذكر "غنايم" أن اللغة العبرية هي لغة التدريس في تلك المدارس، إضافة إلى لغات الدول التي هاجروا منها. وبعد أن ينهي الطالب دراسته في تدريس تلمود توراه ينتقل إلى مدرسة أعلى تسمى "اليشيفا"، حيث يدرس التلمود والتاريخ والجغرافيا وآداب الحاخامين، وتعد هذه المدرسة طلابها ليصبحوا حاخامين([1]). ولقد طور "اليشوف" مؤسساته التعليمية التي تتكفل بدورها بتدعيم وإحياء العبرية، من الحضانة حتى الجامعة والمعاهد التكنولوجية ([2]).

وقد توزعت معظم المدارس الدينية السابقة في بداية القرن السابع عشر [١٦٠٣م] على النحو التالي:

صفد: وكانت تضم ١٩ مدرسة، غالبيتها من مستوى اليشفا.

القدس: وضمت ١٢ مدرسة. **طبرية:** وضمت مدرستين.

غزة: وكان بها مدرستين. **الخليل:** ويوجد بها أربع مدارس.

عين زيتون: وبها مدرسة واحدة ([3]).

ويعتقد الباحث أن اليهود في فلسطين كطائفة أفادوا كغيرهم من الأجانب من التنظيمات العثمانية. وقد مارسوا حياتهم التعليمية بحرية ولاسيما أنهم في تلك الفترة لم يعلنوا عن أطماع سياسية في فلسطين،

---

[1] - زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، مرجع سابق، ص ٢٨٩

[2] - السيد ياسين، وعلي الدين هلال: الاستعمار الصهيوني في فلسطين [١٨٨٢-١٩٤٨م]، مرجع سابق، ص ٣٦٦

[3] - عبد الله عبد السلام القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨م، مرجع سابق، ص ٨ ، نقلاً عن Elfenbien: Jewish Education opcit: p.18

ولكن التعليم اليهودي لم يبق على حالته الدينية، بل دخل مرحلة جديدة هي مرحلة التعليم الحديث، وظهور التيار العلماني، عندما بدأت المدارس الدينية تتأثر بالتعليم الحديث، وكان ذلك "منذ منتصف القرن التاسع عشر حيث وجهت المؤسسات اليهودية الأوروبية اهتمامها إلى أوضاع التعليم في منطقة الشرق، وكانت فلسطين من بين البلدان التي كانت محط أطماع تلك المؤسسات التي شيدت في فلسطين العديد من المؤسسات التعليمية الحديثة في وقت متزامن مع النشاطات الاقتصادية والتعليمية والدينية للقوى الاستعمارية في المنطقة العربية" (١).

وقد قام "القطشان" بعرض أهم **المؤسسات اليهودية الأجنبية** ودورها في مجال التعليم والتي مهدت الطريق أمام حركة الاستيطان الصهيوني منذ منتصف القرن التاسع عشر، وهي كالتالي:

١. **الأليانس الإسرائيلي العالمي**: وهي منظمة الأخوة اليهودية العالمية، تأسست في باريس منذ العام ١٨٦٠م على يد أغنياء اليهود الفرنسيين، وهدفها تشكيل اتحاد يهودي عالمي يقدم المساعدة الاقتصادية والثقافية والسياسية لليهود أينما وجدوا، وأدخلت هذه المنظمة نظام التعليم الأوروبي الحديث ، ومن أهم المدارس التي أقامها هذا التحالف سنة ١٨٧٠م: المدرسة الزراعية المعروفة باسم [مكفا إسرائيل] وتعني [أمل إسرائيل]، وسميت باسم مدرسة نيتر نسبة إلى مؤسسها كارل

(١) - المرجع السابق، ص ١٦

نيتر([1]). وهنا يظهر دور فرنسا الداعم بوضوح للاستيطان اليهودي في فلسطين، من خلال المؤسسات الزراعية التعليمية، وحرصها على تطور التعليم اليهودي إلى جانب أنها كانت حامية الكاثوليك في فلسطين، وأقامت العديد من المدارس المسيحية، وهذا بدوره كان يؤثر على التعليم العربي الإسلامي تأثيراً سلبياً.

٢. **الجمعية اليهودية – الإنجليزية**: وقد تأسست عام ١٨٧١م، ويبدو أنها انشقت عن الأليانس الإسرائيلي العالمي، وكان هدفها أيضاً تقديم العون ليهود فلسطين على وجه التحديد. وقامت بتأسيس أكبر وأحدث مدرسة للبنات في مدينة القدس، على نمط المدارس الإنجليزية، وعرفت باسم [ايفلندا دي روتشيلد Evelind de Rothchild]، واعتبرت أول مدرسة تُخرج معلمات مؤهلات للعمل في رياض الأطفال ([2]).

٣. **جمعية الهليسفرن الألمانية اليهودية [Hilfsverein Der Deutshen Juden]**:

تأسست عام ١٩٠١م، هدفها بعث الحياة اليهودية في الأرض العربية الفلسطينية، وامتد نشاط الجمعية ليشمل التجمعات السكانية اليهودية في شرق أوروبا والطوائف في الشرق، وكانت الجمعية تتحدث باسم اليهود الألمان وتشرف على عدد من المدارس ([3]).

---

[1] - المرجع السابق، ص ١٦

[2] - عبد الله عبد السلام القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨م، مرجع سابق، ص١٨

[3] - المرجع السابق، ص١٨

وأمـــام هـــذه المؤسسات اليهودية الأوروبية وجهودها لابد للتعليم الـــيهودي أن يـــتقدم ويـــتطور، وبخاصة أن تلك الدول كانت تخطو للأمـــام في مضمار التعليم، لذلك وجدنا ذلك قد انعكس بشكل إيجابي علـــى التعلـــيم اليهودي في فلسطين، وإن كان اليهود عارضوا في البداية التحول عن التعليم الديني، إلا أن التعليم الحديث أخذ حقه في مؤسسات التعليم اليهودية.

وتخـــتلف المصـــادر الصهيونية حول فكرة تأسيس أول مدرسة يهودية حديثة في فلسطين، فبعضها ذكر أن بناء أول مدرسة يهودية حديثة يعود إلى قبيل منتصف القرن التاسع عشر، وقد أسسها الثري الـــيهودي موســـى منتفـــيري ســـنة ١٨٣٧م، في حين ذكر مصدر صـــهيوني متخصص في قضايا التعليم الصهيوني أن مدرسة "لاميل Lamel" كانـــت أول مدرســـة يهودية حديثة للبنين أسست في القدس عـــام ١٨٥٦م(١). ومـــن المـــدارس الحديثة الأخرى أيضاً مدرسة "بلومنـــتال" في مدينة القدس، تأسست في عام ١٨٦٦م، وهي حديثة جمعـــت بيـــن الموضوعات الدينية والعلمانية، ومدرسة أخرى هي دورش زيون(٢).

هـــذا بالإضافة إلى عدد كبير من المدارس التي أقيمت في مناطق مختلفة في فلسطين، فمثلاً في القدس أورد "الدباغ" أن المدارس اليهودية بلغ عددها ٣٢ مدرســـة، وجمـــيعها في المرحلة الابتدائية، بينها خمس مدارس للبنات

---

١ - المرجع السابق، ص١١

٢ - المرجع السابق، ص١٢

وثــلاث مدارس مختلطة والباقية للصبيان، ضمت ٩٩ طالبة، ١٠٥٠ طالباً، أنشــئت جمــيعها بيــن عام ١٢٨٠هــ-١٣٠٩هــ، ومن المدارس الأجنبية لليهود ١٨ مدرسة بينها مدرستان ابتدائيتان للبنات ضمت ٢٢٢ طالبة، ومن مدارس الصبيان واحدة في مرحلة الرشدية (٨٠ طالبا)، وثانية في المرحلة الإعدادية وهي من مدارس الأليانس بها ٨٠ طالباً أيضاً، والباقية في المرحلة الابتدائــية، جمعــت في صفوفها ٥٨٢ طالباً، فتحت هذه المدارس اليهودية الأجنبية أبوابها عام ١٢٧٤هــ / ١٣٠٧هــ ([1]).

وأدخل التحالف اليهودي العالمي (الأليانس) ثورة أخرى في مجال التعليم عــندما فتحت أبواب المدارس أمام الفتاة اليهودية لأول مرة في حياة الجالية الــيهودية، كما قامت بتدريب عدد من الفتيات والفتيان على الأعمال المهنية والفنية في المدرسة بالقدس Technical School من العام ١٨٨٢م ([2]). أما بالنسبة لمدينة الخليل فقد حصر الدباغ مدارس اليهود الابتدائية فيها في العام ١٣٢١هــ/١٩٠٣م كالتالي:

- مدرســة مديــرها بخــور فيشل بها ١١ طالباً، فتحت أبوابها ١٢٨٠هــ/١٨٦٣م.
- مدرســة مديــرها وابنين حاسون بها ١٨ طالباً، فتحت أبوابها ١٣٠٠هــ/١٨٨٢م.
- مدرســة مديــرها يهــودا أسكري بها ٨٠ طالباً، فتحت أبوابها ١٣٠٠هــ/١٨٨٢م.

[1] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ١٠ ، ق ٢، ص١٣٧

[2] - عــبد الله عبد السلام القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨م، مرجع سابق، ص ١٦

◆ مدرســة مديــرها يعقوب ثوردول بها ٥ طلاب، فتحت أبوابها ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م([1]).

والملاحظــة الجديــرة بالاهتمام أن التعليم اليهودي في فلسطين كان خاصــاً بالــيهود، وكان من المستحيل أن تجد طلاباً عرباً في المدارس اليهودية، بمعنى أنه لم يستفد الفلسطينيون العرب من التعليم اليهودي ولا أيــة جالية أخرى في فلسطين، وهذا بعكس التعليم المسيحي الذي استفاد منه الفلسطينيون حيث التحقوا بالمدارس المسيحية وتعلموا فيها.

ويعرض غنايم المدارس اليهودية التي أنشأها الأليانس في لواء عكا حتى عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦ م، وهي كالتالي:

جدول رقم [٢٣] ([2])

المدارس اليهودية التي أنشأها الأليانس في لواء عكا

السنة	الجنس	المرحلة	المدينة
١٢٩٩هـ/١٨٨١-١٨٨٢م	ذكور	ابتدائية	حيفا
١٣١٣هـ/١٨٩٥-١٨٩٦م	إناث	ابتدائية	حيفا
١٣١٥هـ/١٨٩٧-١٨٩٨م	ذكور	ابتدائية	صفد
١٣١٥هـ/١٨٩٧-١٨٩٨م	إناث	ابتدائية	صفد
١٣١٥هـ/١٨٩٧-١٨٩٨م	ذكور	ابتدائية	طبريا
١٣١٨هـ/١٩٠٠-١٩٠١م	إناث	ابتدائية	طبريا

[1] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٥ ، ق ٢، ص١٣٥

[2] - زهــير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، مرجع سابق، ص ٢٩٠

في حين ذكر الدباغ وجود ٦ مدارس لليهود في طبريا تابعة لجمعية الأليانس، ذكر منها مدرسة تأسست في العام ١٣١٣هـ/١٨٩٥ م، كان بها ١٣٥ طالباً و ١٦٠ طالبة[1]، ويدعم هذا القول ما جاء في ولاية بيروت أنه كان في طبريا لليهود مكتب ابتدائي وطلابه [٦]، ومكتب صبياني وطلابه [٢٠]، وقد أسست هذه المكاتب جمعية الأليانس[2].

أما بالنسبة لمدن أخرى في فلسطين فقد ذكر الدباغ وجود مدرستين لليهود في يافا:

الأولى للبنات: تأسست عام ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م ضمت ١٢٥ طالبة.

الثانية للبنين: تأسست عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م ضمت ١٦٠ طالباً [3]، وفي الرملة مدرسة أهلية لليهود تأسست عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١ م ضمت في العام ١٣١٨هـ/ ١٣١٩هـ ١٤ طالباً [4].

وهناك إحصائية لـ ٢٦ مدرسة أشرفت عليها مؤسسات التعليم اليهودية الأجنبية، ضمت ٤١٥ تلميذاً في العام ١٩١٢م، وهي كالتالي:

جدول رقم (٢٤)

المدارس التي أشرفت عليها مؤسسات التعليم اليهودية الأجنبية

اسم المؤسسة	عدد المدارس	عدد التلاميذ
الأليانس الإسرائيلي العالمي	١٤	١٧٠٠
الجمعية الانجلو – يهودية	١١	٦٥٠
الجمعية اليهودية – الألمانية	١١	١٨٠٠
المجموع	٢٦	٤١٥٠

---

[1] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٦ ، ق ٢، ص٣٣٠

[2] – محمد بهجت، ورفيق التميمي: ولاية بيروت-القسم الجنوبي، مرجع سابق، ص ٣٦٨

[3] -مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ج ٤ ، ق ٢، ص٢٠٨

[4] -المرجع السابق، ص٤٣٢

ومما يلفت الانتباه في هذا الجدول أن عدد التلاميذ في هذه المدارس يزيد على عدد التلاميذ في المدارس التقليدية، التي ظلت تسهم في رعاية التعليم منذ القرون الوسطى مع الأخذ بعين الاعتبار الفوارق في أهداف وفلسفة كل منهما (١). وهذا يؤكد انحسار التعليم الديني اليهودي في فلسطين إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى.

أما في المرحلة الثالثة في التعليم اليهودي، وهي مرحلة التعليم الصهيوني، وهذه المرحلة يحددها "القطشان" بالأعوام ١٨٨٠- ١٨٨٢م والتي شهدت ميلاد التعليم القومي العبري (الصهيوني)، عند ظهور المدارس الصهيونية في المستوطنات الزراعية، التي أقامتها حركة المهاجرين الأولى"البيلو"●، ومنذ العام ١٩٠٤م وحتى عام ١٩١٤م تعزز دور المدارس العبرية ذات التوجهات الصهيونية في المستوطنات وخارجها بعد وصول الحالوتسيم● "موجة الهجرة الثانية"، الذين بدعوا

---

[1] - عبد الله عبد السلام القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨م، مرجع سابق، ص ١٨

● **البيلو:** هي حركة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين، وقد جاءوا في الأعوام ١٨٨٠-١٨٨٢م وقد ضمت المجموعة الأولي من البيلو ٥٠٠ من الطلبة اليهود الذين تخلوا عن دراستهم في الجامعات الروسية والبولندية واللتوانية بدافع الاستيطان في الأرض العربية الفلسطينية لإعادة بعث الأمة اليهودية كما تزعم المصادر الصهيونية، والبيلو كلمة عبرية من الأحرف الأولي من الكلمات العبرية (دعنا ندخل إلى بيت يعقوب BEIT YAACOV LECHU VENELECHU هذا هو شعار الهجرة الأولي [عبد الله القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨م، مرجع سايق، ص٢٠].

● **الحالوتسيم:** منذ العام ١٩٠٤م حتى عام ١٩١٤م وصلت أفواج الصهاينة الطلائع PIONEERS إلى فلسطين، وكان يطلق عليهم الحالوتسيم HALUTZEM وهو الاسم الذي

بتأسيس المدارس القومية الحديثة المشبعة بالأفكار والقيم الصهيونية والتي أخذت تُعلم باللغة العبرية، وفي تلك المدارس كان التلاميذ يتلقون دروسهم حسب الموضوعات الحديثة التي تدرس في المدارس الأوروبية، كما أدخلت التربية الرياضية، والموسيقى، والغناء، والرقص، والتعليم([1])، وفي هذه المرحلة كان اليهود في فلسطين يتحركون وفق قرارات الحركة الصهيونية التي اتخذت في مؤتمرها الأول عام ١٨٩٧ في بازل بسويسرا كما مر ذكره، والتي استندت إلى أساطير وخرافات ببناء وطن قومي لهم في فلسطين. ومن هذا المنطلق استندت العملية التعليمية اليهودية في فلسطين في تلك المرحلة إلى الفلسفة الصهيونية. ويؤكد ذلك "خلف" في دراسة حديثة عن قيم اليهود في القصص القرآني حيث رأى أن " الكيان الصهيوني تَمكن من توظيف واستثمار الفلسفة الصهيونية في التربية وأساليبها وأصولها، وفي تشكيل شخصية المواطن الإسرائيلي، وعقليته، كما استغل الكيان الصهيوني في اتجاهاته التربوية المشاعر الدينية وعقيدة الانطواء لدى اليهود، وتعميق فلسفة الاضطهاد والقومية اليهودية ومقوماتها، وربطها بالتعصب الديني والعدوانية" ([2]).

عرف به أفراد موجة الهجرة الثانية والتي ضمت عناصر يهودية متأثرة بالأفكار الاشتراكية المحرفة التي أدت إلى خداع وتضليل الشباب اليهودي في روسيا وشرق أوربا [عبد الله القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨م، مرجع سابق، ص ٢١].

[1] - عبد الله عبد السلام القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨م، مرجع سابق، ص ٢٠-٢٣

[2] - طلال محمد خلف: قيم اليهود في القصص القرآني ودروها في توجيه فكرهم التربوي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٩٩٩م، ص٦٥

وعلى ضوء ما سبق فإن هناك مدارس ذات نزعة صهيونية أبرزها قبل العام ١٩١٤م، وهي في مستوى التعليم الثانوي، وهي:

- مدرسة بنات حيفا سنة ١٨٩٤م.
- مدرسة تخموني الثانوية (تل أبيب) سنة ١٩٠٦م.
- مدرسة بازاليل (القدس) سنة ١٩٠٦م.
- مدرسة بيت سيفرزيلي (حيفا) سنة ١٩١٤م (١).

وقـــد شهدت السنة ١٩١٤م تدخل المنظمة الصهيونية العالمية لأول مرة في العملية التعليمية الصهيونية بشكل مباشر، ومع بدء الحرب العالمية الأولى تلقت المـــدارس الصهيونية الدعم المالي من المنظمة الصهيونية الأمريكية Zionist Organization of America وهـــذا أدى إلـــى انـــتقال العديد من المدارس لمجلـــس التعليم الصهيوني (الفايدهاخنوخ) وبالتالي زيادة عدد المدارس العبرية التي تبنت الخط الصهيوني في التعليم، وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى في العـــام ١٩١٨م حتى ارتفع عدد المدارس الصهيونية إلى ٤٠ مدرسة (٢). ومن المؤسسات التعليمية الكبيرة أنشأت جمعية عزرا الألمانية، معهد العلوم التطبيقية [التخنيون]● الذي وضع حجر الأساس له في ١ جمادى الأول ١٣٣٠هـ/ ١٨ نيسان ١٩١٢م، وقد كان التدريس فيه باللغة العبرية (١).

---

١ - عـــبد الله عـــبد السلام القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨م، مرجع سابق، ص ٢٤

٢ - عـــبد الله عـــبد السلام القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨م، مرجع سابق، ص ٢٦ نقلاً عن G. of P.D. of E.: Note on Education 1929: P.4.

● **التخنـــيون**: TECHNION أكبر معاهد العلوم الهندسية والتكنولوجية في إسرائيل، أسســـه الصهاينة عام ١٩١٢م في حيفا، وأولاه وايزمان اهتمامه الحثيث كجزء من خطته لبـــناء دولـــة صـــهيونية فـــي فلســـطين تفـــرض سيطرتها بواسطة القوة والتقدم العلمي

وفي نهاية الحديث عن التعليم اليهودي في فلسطين في العهد العثماني، نعرض إحصائية أوردها "القطشان" (٢) في دراسته الحديثة نقلاً عن [الفايد لئومي] توضح عدد المدارس الخاصة بالجالية اليهودية في فلسطين حتى العام ١٩١٢م وهي كالتالي:

جدول رقم (٢٥)

المدارس الخاصة بالجالية اليهودية في فلسطين حتى العام ١٩١٢م

الرقم	تصنيف المدارس	عدد المدارس	عدد التلاميذ
١	المدارس الدينية التقليدية	٤٠	٣٥٠٠
٢	المدارس اليهودية الأجنبية	٢٦	٤١٥٠
٣	المدارس الصهيونية	٣٣	١٣٥٠
٤	رياض الأطفال ومدارس خاصة متفرقة	١٤	١٥٠٠
المجموع		١١٣	١٠٥٠٠

ومن خلال هذا الجدول والعرض السابق لمراحل التعليم اليهودي في فلسطين، نلاحظ أن التعليم التقليدي قد تراجع أمام التعليم الصهيوني

والتكنولوجي على المنطقة العربية [عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، مرجع سابق، ج١، ص٧٠٥].

[1] - زهير غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، مرجع سابق، ص ٢٩١

[2] - عبد الله عبد السلام القطشان: تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨م، مرجع سابق، ص ٢٥ نقلاً عن Va,al Leumi: Memorandum, Submitted to the Commission of Inquiry into Jewish Education in Palestine Jerusalem 1945: P.5

الحديث، ومرجع ذلك إلى أن أهداف التعليم وفلسفته قد تغيرت حيث إنها راعت في نهاية القرن التاسع مبادئ الحركة الصهيونية، القائمة على العنصرية والكراهية للمجتمعات البشرية من أجل تحقيق هدفها في إقامة وطن قومي على أرض فلسطين. ويؤكد ذلك "خلف" حيث يرى أن "التربية اليهودية لعبت الدور الأشد خطورة في تأسيس الكيان الصهيوني، وساهمت بشكل فاعل في بناء الدولة اليهودية، وتماسكها لأنها اهتمت ببناء الإنسان اليهودي وفق القيم اليهودية"([1]). وعلى الرغم من ذلك فقد حافظت المدارس الدينية التقليدية على وجودها واستمرارها بقوة، بمعنى أنه أتيحت حرية التعليم لليهود سواء الديني التقليدي أو الحديث أو الصهيوني.

ونلاحظ من هذا الجدول أن عدد المدارس اليهودية كبير بالمقارنة مع الطوائف المسيحية التي لم تتعد الواحدة منها ٩٠ مدرسة، ويلاحظ كذلك الاهتمام الكبير في التعليم اليهودي لرياض الأطفال. وهذا كله يدل على أن اليهود أخذوا حقهم وحريتهم في التعليم كباقي الطوائف والجاليات الأجنبية بمعنى أن الدولة العثمانية كدولة خلافة لم تمارس التمييز حسب النوع أو الجنس أو الدين.

---

[1] - طلال محمد خلف: قيم اليهود في القصص القرآني ودروها في توجيه فكرهم التربوي،مرجع سابق، ص٦٧

النتائج والتوصيات

النتائج:

في ضوء ما سبق، خلصت الدراسة إلى العديد من النتائج، يمكن إجمال أبرزها فيما يلي:

١. أن الدولة العثمانية اهتمت بالعلم والعلماء من منطلق أنها دولة خلافة تلزمها بذلك الشريعة الإسلامية. [ص ٢٠، ٢١]

٢. أن الدولة العثمانية كباقي دول العالم تعرضت لمراحل قوة وضعف في الناحية التعليمية، ولا ننكر وجود حالة الضعف الذي كان السبب في قيام حركة الإصلاح وتطوير التعليم، والمهم هنا أن التعليم في العهد العثماني لم يتراجع عن عهد المماليك، بل تقدم وتطور، ولكن تم تشويه صورة التعليم في فلسطين في العهد العثماني عن قصد، وهو يهدف لإظهار الدولة العثمانية كدولة جهل وتخلف لا تشجع التعليم ولا تقيم المدارس. وقد جاءت تلك الاتهامات على ألسنة المسئولين والكتاب الإنجليز بعد انسحاب العثمانيين من فلسطين ووقوعها تحت الانتداب البريطاني ؛ وذلك من أجل إظهار الدولة العثمانية على أنها دولة مستعمرة غير حضارية. [ص ٣]

٣. أثبتت هذه الدراسة أن تلك الاتهامات غير صحيحة، وأن الفلسطينيين مارسوا حقهم الكامل في التعليم في العهد العثماني، فقد بلغ عدد المدارس الحكومية في متصرفية القدس ولوائي عكا ونابلس

٤١٣ مدرسة عدا الكتاتيب والزوايا والربط والخوانق، فقلما تجد قرية بدون مدرسة في العهد العثماني. [ص ١٢١]

٤. كان للظروف الاقتصادية الأثر الكبير على التعليم في فلسطين في العهد العثماني، فعندما انهارت الأوقاف في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، انهار التعليم وأغلقت العديد من المدارس، واستمر الوضع حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر، عندما بدأت حركة الإصلاحات في الدولة العثمانية سنة ١٨٢٦م. [ص ٥٦، ٥٧]

٥. الظروف العسكرية كانت سبباً رئيسياً في حركة الإصلاح والتطور الذي حدث في التعليم حيث كانت ردة فعل على الهزائم العسكرية التي منيت بها الدولة العثمانية.[ص٦٧]

٦. في العام ١٨٤٥م صدر قانون بإلزامية التعليم ومجانيته لجميع رعايا الدولة العثمانية دون تمييز بسبب العقيدة أو الجنس. [ص ٦٨]

٧. أعطي تعليم البنات حقه، مع وجود بعض الصعوبات والتي تمثلت في قلة عدد المدرسات، بالإضافة إلى عدم الرغبة لدى الأهالي في إرسال بناتهم إلى المدارس، لكن الدولة العثمانية فتحت المدارس للبنات، وكان في متصرفية القدس على سبيل المثال سنة ١٩١٠ م (٥٦) مدرسة حكومة خاصة بالبنات. [ص ٩٧]

٨. كان هناك سلم تعليمي في الدولة العثمانية يتبع نظارة المعارف العمومية، ومدة الدراسة ١٢ سنة موزعة كالتالي:

٣ ابتدائي + ٣ رشدي + ٢ إعدادي لوائي + ٤ إعدادي ولاية.

وكانت هناك مناهج دراسية متنوعة لكل مرحلة، وهناك إدارة للتعليم،

وفلسفة واضحة، والتعليم كان متوافراً في القرى كالمدن، بل إن أعداد المدارس في القرى فاقت أعداد المدارس في المدن.[ص ٧٤]

٩. من خلال قوانين الإصلاح التي أصدرتها الدولة العثمانية، فتح الباب أمام الأجانب في جميع ولايات الدولة العثمانية- ولاسيما فلسطين، وكان هذا سبباً في تغلغل التعليم الأجنبي عن طريق الإرساليات التبشيرية. وهذه الإرساليات أصبحت أدوات للمطامع السياسية، وتسببت فى انقسام الأمة، وتباعدت مساحة الخلاف بين أبناء البلد الواحد؛ لأنها حاولت نشر الديانة المسيحية بمذاهبها الغربية (كاثوليك - بروتستانت) وبذلك فإنها أضرت دينياً ووطنياً وثقافياً بالتعليم العربي الإسلامي في مجتمعنا الفلسطيني؛ لأن المدارس الأجنبية لم تكن خاضعة لمراقبة وزارة المعارف العثمانية. لذلك فإن الدولة العثمانية لم تكن راضية عن النشاط التعليمي الأجنبي والإرساليات التبشيرية لدرجة أنها لم تعترف بالمدارس الروسية إلا في عام ١٩٠٢م. [ص ١٢٤-١٢٨]

١٠. أن أكثر المسيحيين العرب هم أرثوذكس، وقد تميزت المدارس الأرثوذكسية (الروسية) في فلسطين عن باقي المدارس الأجنبية بشدة إقبال المواطنين عليها، والسبب في ذلك مجانية التعليم في جميع المدارس، وبسبب استخدامها اللغة العربية في التعليم. وقد بلغ عدد المدارس المسيحية في فلسطين في العهد العثماني ٢٥٠ مدرسة. [ص ١٤٦]

١١. أن الإرساليات والبعثات الأجنبية سعت بالدرجة الأولى إلى ترسيخ دعائمها وإثبات وجودها ضمن إطار الصراع بين دولها الكبرى، ولكنها أسهمت بدرجة معينه فى خدمة النهضة الأدبية، خاصة ولاسيما أنها أدخلت المطابع ، وأسست الصحف، وأنشأت المدارس والمعاهد، وأدخلت مناهج متعددة ، ونشرت العديد من المؤلفات وعلمت العديد من اللغات، وساعدت البعض في الدراسات العليا. [ص ١٥٧]

١٢. أن التعليم اليهودي في فلسطين ارتبط بالعامل الديني، وأن اليهود قد استفادوا كغيرهم من الطوائف الأجنبية من التنظيمات العثمانية. وقد مارسوا حياتهم التعليمية بحرية، وبخاصة أنهم في بداية فترة التنظيمات لم يفصحوا عن أطماع سياسية في فلسطين.[ص ١٦٣]

١٣. لقد حصل اليهود على دعم مادي ومعنوي ومساعدات كبيرة لتطوير تعليمهم على يد منظمات عالمية أوروبية مثل: الأليانس الإسرائيلي العالي في فرنسا، والجمعية اليهودية الإنجليزية، وجمعية الهليسفرين الألمانية اليهودية، والمنظمة الصهيونية الأمريكية. [ص ١٦٣-١٧٠]

١٤. كان التعليم اليهودي دينياً في بدايته، وتطور إلى التعليم الحديث متأثراً بالدول الأجنبية التي تدعمه، ثم أصبح تعليماً صهيونياً بعد ذلك، واهتموا بتعليم البنات، ووجدت لهم مؤسسات تعليمية من الحضانة والمدارس حتى الجامعة والمعاهد التكنولوجية. [ص ١٦٠]

١٥. التعليم اليهودي (الصهيوني) كان أخطر أنواع التعليم ؛ لأنه تشبع بالأفكار والقيم الصهيونية وفق قرارات الحركة الصهيونية التي اتخذت في مؤتمرها الأول في بازل بسويسرا ١٨٩٧ م، حيث قامت فلسفة التعليم الصهيوني على تشكيل الشخصية الإسرائيلية حسب المشاعر الدينية وعقيدة الانطواء لدى اليهود، وتعميق فلسفة الاضطهاد والقومية اليهودية ومقوماتها وربطها بالتعصب الديني والعدوانية. [ص ١٦٨]

١٦. أن التربية اليهودية لعبت الدور الأشد خطورة في تأسيس الكيان الصهيوني حيث راعت مبادئ الحركة الصهيونية القائمة على العنصرية والكراهية للمجتمعات البشرية من أجل تحقيق هدفها في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. [ص ١٧٠]

١٧. أن التعليم اليهودي في فلسطين كان خاصاً باليهود، ولم تستفد منه أية جالية أخرى. بعكس التعليم المسيحي الذي استفاد منه الفلسطينيون حيث التحقوا بالمدارس المسيحية وتعلموا فيها. [ص ١٦٥]

١٨. بلغ مجموع المدارس الرسمية في فلسطين حتى نهاية العهد العثماني لجميع الطوائف ٧٧٦ مدرسة، وهي كالتالي: ٤١٣ مدرسة عربية إسلامية، ٢٥٠ مدرسة مسيحية، ١١٣ مدرسة يهودية، هذا بالإضافة إلى العديد من المؤسسات التعليمية كالكتاتيب والزوايا والربط والخوانق للمسلمين. وهذه الإحصائيات تشير بوضوح إلى أن الدولة العثمانية سمحت لجميع هذه الطوائف بممارسة حقها في التعليم، بغض النظر عن الضغوط الدولية. وذلك يعتبر مؤشراً إيجابياً من قبل الدولة العثمانية كدولة خلافة، حيث سمحت لليهود والنصارى بإقامة هذه الأعداد الكبيرة من المدارس في فلسطين وغيرها من الولايات. [ص ١٢، ١٥٠، ١٦٩]

التوصيات:

وفي ضوء النتائج السابقة، يوصي الباحث بما يلي:

١. إعادة النظر في كل ما كتب عن الدولة العثمانية ولاسيما المقررات المنهجية لطلاب المدارس.

٢. الاهتمام بأسلوب التعليم الديني وأسلمة العلوم الاجتماعية والإنسانية، وهذا يتطلب صياغة الجغرافيا والتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والسياسة وعلم الاقتصاد صياغة إسلامية حتى يمكن التغلب على علمانية التعليم.

٣. البحث عن المؤسسات التعليمية التي كانت سائدة في فلسطين في العهد العثماني كالكتاتيب والزوايا والربط والخوانق، ومعرفة أعدادها، ومناهجها، وتطورها، ودورها في المجتمع الفلسطيني.

٤. دراسة دور العُلماء في فلسطين في العهد العثماني وأعدادهم وأماكن وجودهم .

٥. دراسة التعليم الأجنبي في فلسطين في العهد العثماني لكل طائفة على حدة، ومعرفة أهدافه، ومناهجه، وتحليلها، ودراسة تأثيرها على المجتمع الفلسطيني.

٦. دراسة التعليم الصهيوني في فلسطين في العهد العثماني، وأثره في قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

٧. دراسة دور الأوقاف الإسلامية في تمويل التعليم في فلسطين في العهد العثماني وأثرها في تطوره.

المراجع

قائمة المراجع

أولاً: الكتب

١. القرآن الكريم.

٢. إبراهيم سكيك: **غزة عبر التاريخ**، ج ٣ ، غزة، ١٩٨٠م.

٣. إحسان الأغا: **البحث التربوي: عناصره- مناهجه- أدواته**، غزة، مطبعة المقداد، ١٩٩٧م.

٤. إحسان النمر: **تاريخ جبل نابلس والبلقاء**، ط ٢ ، ٤ أجزاء، نابلس، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٥م.

٥. إحسان عباس: **فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين**، عمان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م.

٦. أحمد الخالدي: **رحلات في ديار الشام**

٧. أحمد سعد: **التطور الاقتصادي في فلسطين**، حيفا، دار الاتحاد للطباعة والنشر، ١٩٨٥م.

٨. أحمد صدقي شقيرات: **تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن ١٨٦٤ - ١٩١٨م**، الأردن، آلاء للطباعة والتصميم، ١٩٩٢م.

٩. أسعد منصور: **تاريخ الناصرة**، الناصرة، دار الهلال، ١٩٢٣م.

١٠. أميل توما: **تاريخ مسيرة الشعوب العربية الحديث**، عكا، دار الأسوار، ١٩٨٥م.

١١. أنور الجندي: **تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام- السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية**، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٢. السيد ياسين، وعلي الدين هلال: الاستعمار الصهيوني في فلسطين [١٨٨٢-١٩٤٨م]، القاهرة، دار نافع للطباعة والنشر، ١٩٧٥م.
١٣. الكزاندر شولش: تحولات جذرية في فلسطين [١٨٥٦-١٨٨٢م]، ط ٢ ، نقله عن الألمانية كامل جميل العسلي، عمان، دار الهدى، ١٩٩٠م.
١٤. ب.م: فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها [١٩١٤-١٩٢٠م]
١٥. باميلا آن سميث: فلسطين والفلسطينيون، ترجمة إلهام بشارة الخوري، دمشق، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ١٩٩١م.
١٦. بشير موسى نافع: الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٩م.
١٧. بيان نويهض الحوت: فلسطين: القضية- الشعب- والحضارة، بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، ١٩٩١م.
١٨. تامار غوجانسكي: تطور الرأسمالية في فلسطين، ترجمة حنا إبراهيم، حيف، مطبعة الاتحاد التعاونية، ١٩١٧م.
١٩. جمال عبد الهادي محمد مسعود، وآخرون: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ [الدولة العثمانية ١٢٩٩- ١٩٢٤م]، ط ٢، ج ١ ، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.
٢٠. جورج أنطونيوس: يقظة العرب- تاريخ حركة القوميين العرب، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت -نيويورك، دار العلم للملايين بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٢م.
٢١. حسان حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش [١٩٠٨-١٩٠٩م]، ط ٢ ، بيروت، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر، ١٩٩٣م.
٢٢. رفيق شاكر النتشة: السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين، ط ٨، فلسطين، الخليل، دار المستقبل، ١٩٩٧م.

٢٣. زهير غنايم غنايم: لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية ١٨٦٤-١٩١٨م، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩م.

٢٤. زيـــاد أبو غنيمة: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، الأردن، ط ٢، دار الفرقان، ١٩٨٦م.

٢٥. ســـاطع الحصـــري: الـــبلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٦٠م.

٢٦. ســـاطع الحصـــري: حولية الثقافية العربية الثانية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥١م.

٢٧. ســـعد مرســـي أحمـــد، سعيد إسماعيل علي: تاريخ التربية والتعليم، عين شمس، ١٩٨٠م.

٢٨. ســـعيد أحمـــد بـــرجاوي: الإمـــبراطورية العثمانـــية-تاريخها السياسي والعسكري، الأهلية للنشر، ب.ت.

٢٩. ســـليم عـــرفات المبـــيض: غزة وقطاعها- دراسة خلود المكان وحضارة الســـكان مـــن العصر الحجري الحديث حتى الحرب العالمية الأولى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

٣٠. ســـمير سمعان: المؤامرات الصهيونية لتجهيل عرب فلسطين، سوريا، دار البيرق، ١٩٨٧م.

٣١. ســـيد محمـــد السيد: دراسات في التاريخ العثماني، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م.

٣٢. صلاح العاوور: مناهج البحث التاريخي، رفح، مكتبة إيهاب، ١٩٩٧م.

٣٣. عادل مناع: أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني [١٨٠٠-١٩١٨م]، ط ٣ ، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧م.

٣٤. عادل مناع: تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني [١٧٠٠-١٩١٨م] قراءة جديدة، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٩م.

٣٥. عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، القدس، مطبعة العارف، ١٩٨٦م.
٣٦. عارف العارف: تاريخ غزة، القدس، مطبعة دار الأيام السورية، ١٩٤٣م.
٣٧. عبد الجليل عبد المهدي: "المؤسسات التعليمية والثقافية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي"، في التربية العربية الإسلامية، المؤسسات والممارسات، مؤسسة آل البيت، عمان، المجمع، ج ٢ ، ١٩٨٩م.
٣٨. عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية، ط ٣ ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.
٣٩. عبد الرءوف سنو: النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية ١٨٧٧ -١٨٨١م [بلاد الشام- الحجاز- كردستان- ألبانيا]، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
٤٠. عبد الرحمن ياغي: حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة، ط ٢ ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٨١م.
٤١. عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٩٢م.
٤٢. عبد العزيز محمد عوض: مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ١٨٣١- ١٩١٤م، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مكتبة المحتسب، ١٩٨٣م.
٤٣. عبد الغني عماد: السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر، ١٩٩٣م.
٤٤. عبد الكريم رافق: العرب والعثمانيون [١٥١٦-١٩١٦م]، دمشق، مكتبة أطلس، ١٩٧٤م.
٤٥. عبد الكريم رافق: بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث، دمشق، ١٩٨٥م.

٤٦. عبد الكريم رافق: **بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت [١٥١٦-١٧٩٨م].**

٤٧. عــبد الله القطشـــان: **التعليم العربي الحكومي إبان الحكم التركي والانتداب البريطاني ١٥١٦ - ١٩٤٨م**، عمان، منشورات دار الكرمل، صامد، ١٩٨٧م.

٤٨. عــثمان مصــطفى الطباع: **إتحاف الأعزة في تاريخ غزة**، تحقيق ودراسة عبد اللطيف زكي أبو هاشم، غزة، مكتبة اليازجي، ١٩٩٩م.

٤٩. علي حسون: **تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية**، ط ٣ ، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م.

٥٠. علي سالم النباهين: **تاريخ الفكر التربوي من العصور القديمة إلي العصور الحديثة**، غزة، مطبعة منصور، ١٩٩٦م.

٥١. علـــي ســـلطان: **تـــاريخ الدولة العثمانية**، ليبيا، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، ١٩٩١

٥٢. عمـــر عـــبد العزيـــز عمر: **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.

٥٣. عمـــر محاميد: **صفحات من تاريخ مدارس الجمعية الروسية في فلسطين بيـــن أعوام ١٨٨٢-١٩١٤م**، فلسطين، الطيبة، مركز إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م.

٥٤. عمـــر محامـــيد: **فلســـطين فـــي أدب الرحالة الروس**، فلسطين، أم الفحم، المركز العربي للدراسات الروسية، ١٩٩٣م.

٥٥. فـــؤاد علي العاجز: **تطور التعليم العام في قطاع غزة [١٨٨٦-٢٠٠٠م]**، غزة، مطبعة المقداد، ط٢، ٢٠٠٠م.

٥٦. فهمـــي الشـــناوي: **مصـــرع الخلافة العثمانية**، القاهرة، المختار الإسلامي للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

٥٧. قيس العزاوي: الدولة العثمانية- قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، مركز دراسات الإسلام والعالم، فلوريدا، ١٩٩٤.
٥٨. كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلي العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.
٥٩. كامل السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠-١٩٦٠م، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م.
٦٠. كامل العسلي: "الأوقاف في بيت المقدس من أواخر القرن السادس حتى أوائل القرن الثاني عشر للهجرة"، في التربية العربية الإسلامية، المؤسسات والممارسات، مؤسسة آل البيت، عمان، المجمع، ج ٣، ١٩٨٩م.
٦١. كامل جميل العسلي: أجدادنا في ثرى بيت المقدس، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٠م.
٦٢. كامل جميل العسلي: معاهد العلم في بيت المقدس، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨١م.
٦٣. لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيف البستاني، موسكو دار التقدم، ب.ت.
٦٤. ماهر الشريف: تاريخ فلسطين الاقتصادي- الاجتماعي، بيروت، دار ابن خلدون، ١٩٨٥م.
٦٥. مجدي عبد المجيد الصافوري: سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية، القاهرة، دار الصحوة للنشر، ١٩٩٠م.
٦٦. مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، الأردن، مكتبة المحتسب، ١٩٧٣م.
٦٧. محمد الهادي المطوي: أحمد فارس الشدياق [١٨٠١ - ١٨٨٧م] حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٩م.

٦٨. محمد بهجت، ورفيق التميمي: ولاية بيروت-القسم الجنوبي، بيروت، مطبعة الإقبال، ١٩١٧م.
٦٩. محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ط ٦ ، رقم ١ ، القاهرة، دار الشروق، ، ١٩٩٦م.
٧٠. محمد حسين العمايرة: التربية والتعليم في الأردن منذ العهد العثماني حتى عام ١٩٩٧، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ١٩٩٩م.
٧١. محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة [١٢٩٩-١٩٢٤م]، بيروت، دار المحروسة، ١٩٩٥م.
٧٢. محمد عرابي محمد نخلة: تطور المجتمع في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني [١٩٢٠-١٩٤٨م]، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٢م.
٧٣. محمد عزة دروزة: مذكرات، ٦ مجلدات، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
٧٤. محمد علي ضناوي: مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية، دار الإيمان للطباعة والنشر، طرابلس، لبنان، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٧٥. محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط ٢ ، تحقيق إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ١٩٨٣م.
٧٦. محمد كرد علي: خطط الشام، ط ٣ ، ٦ أجزاء، دمشق، مكتبة النوري، ١٩٨٣م.
٧٧. مصطفى مراد الدباغ: الموجز في تاريخ الدول الإسلامية وعهودها في بلادنا فلسطين، رقم ١ ، دار الطليعة، بيروت، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.
٧٨. مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ١١ جزء، فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، ١٩٩١م.
٧٩. مي إبراهيم صيقلي: حيفا العربية ١٩١٨م-١٩٣٩م التطور الاجتماعي والاقتصادي، ط ٢ ، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٨م.

٨٠. نبيل أيوب بدران: **التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني**، ج ١ ، عهد الانتداب، بيروت، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٩م.

٨١. نوفـــل نعمة الله نوفل: **كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليمي مصـــر وبـــر الشام**، أوجزه جرجي يني، قدم له وحققه وأعد ملاحقه وفهارسه ميشال أبي فاضل وجان نخول، طرابلس، جروس برس، ١٩٩٠م.

٨٢. هـــند أميـــن الـــبديري: **أراضـــي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ**، القاهرة، مطابع الدول العربية، ١٩٩٨م.

٨٣. يلمـــاز أوزتونـــا: **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: عدنان محمود سليمان، استنابول، منشورات فيصل للتمويل، ، ١٩٨٨م.

ثانياً: الرسائل الجامعية

١. أميـــن مســـعود محمود أبو بكر: **"قضاء الخليل ١٨٦٤ - ١٩١٨م"**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، قسم التاريخ، ١٩٩٠م.

٢. حـــنا ســـعيد كلدانـــي: **"المسيحية المعاصرة في الأردن وفلسطين"**، رسالة دكتورة منشورة، مطبعة الصفدي، عمان، ١٩٩٣م.

٣. طـــلال محمد خلف: **"قـــيم اليهود في القصص القرآني ودروها في توجيه فكـــرهم الـــتربوي"**، رســـالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٩٩٩م.

٤. عـــبد الله عبد السلام القطشان: **"تاريخ التعليم اليهودي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨م"**، رســـالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠١م.

٥. محمـــد ســـالم غيـــثان الطراونة: **"قضاء يافا في العهد العثماني ١٨٦٤ - ١٩١٤م"**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧م.

ثالثاً: الدوريات

١. أحمد الربايعة: "الصناعة في فلسطين في العصور الحديثة، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام- فلسطين"، مج ٢ ، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٣م.

٢. أحمد عبد الرحيم مصطفى: "حفاظ العثمانيين على التراث الإسلامي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع ٣١ ، جامعة الكويت، م ٨ ، ١٩٨٨م.

٣. زهير غنايم عبد اللطيف: "التعليم في مدينة الناصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٥٠-١٩٢٠م"، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الفلسطينية[التعليم الفلسطيني، تاريخاً - واقعاً - وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣-١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧م.

٤. سليم المبيض: "رواد المعارف في غزة ١٨٥٠-١٩١٧م"، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الفلسطينية [التعليم الفلسطيني، تاريخاً - واقعاً - وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣-١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧م.

٥. كامل العسلي: "مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس"، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي، بغداد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦. كوثر الأمير: "واقع التعليم في مدارس فلسطين، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات الفلسطينية[التعليم الفلسطيني، تاريخاً - واقعاً - وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣-١٥/١٢/١٩٩٦، ١٩٩٧م.

٧. مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م"، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.

٨. محسن يوسف: "مقدمة في تاريخ التعليم في فلسطين منذ الفتح العربي الإسلامي حتى الاحتلال البريطاني"، المؤتمر الدولي الثاني للدراسات

الفلسطينية[التعليم الفلسطيني، تاريخاً - واقعاً - وضرورات المستقبل]، بيرزيت، المنعقد في الفترة من ١٣-١٩٩٦/١٢/١٥، ١٩٩٧م.

٩. محمد حسين العمايرة: "**رؤية جديدة لأوضاع التعليم في فلسطين خلال العهد العثماني**"، مجلة صامد الاقتصادي، السنة التاسعة عشر، ع ١٠٩ ، دار الكرمل للنشر، عمان ، أيلول ١٩٩٧م.

١٠. محمد شريف أحمد: "**مؤسسة الأوقاف في العراق ودورها التاريخي المتعدد الأبعاد**، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي، بغداد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١١. مروان البحيري: "**الصادرات الزراعية لمتصرفية القدس الشريف [١٨٨٥-١٩١٤م]**"، مجلة صامد الاقتصادي، ع ٢٢، تشرين الثاني، ١٩٨٠م.

١٢. هاشم ياغي: "**فلسطين في كتب الجغرافيين العرب**"، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام -فلسطين، مج ٢ ، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٣م.

رابعاً: الموسوعات والمعاجم

١. روجر أوين: "**تاريخ فلسطين الاقتصادي في القرن التاسع عشر [١٨٠٠-١٩١٨م]** "، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج ١ ، بيروت، ١٩٩٠م.

٢. سهيل زكار: "**فلسطين في عهد المماليك- من أواسط القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلى مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**"، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج ٢ ، بيروت، ١٩٩٠م.

٣. سهيل زكار: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، دمشق، دار الكتاب العربي، ج ١ ، ١٩٩٧م.

٤. عبد الكريم رافق: "فلسطين في عهد العثمانيين: (١) من مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي إلى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، (٢) من مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي إلى العام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م"، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج ٢ ، بيروت، ١٩٩٠م.

٥. عبد الوهاب الكيالي، وآخرون: موسوعة السياسة، فلسطين، كفر قرع، دار الهدى للنشر والتوزيع، ب.ت.

٦. كامل العسلي: التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث"، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج ٣ ، بيروت، ١٩٩٠م.

٧. كلوس كريزر، وآخرون: معجم العالم الإسلامي، ط ٢ ، ترجمة ج. كتورة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.

٨. محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة

٩. محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٩٨٧م.

١٠. مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦

// ABSTRACT
ABSTRACT

This dissertation has searched in an important circle of the history of the Palestinian Arabic education which is "Education in Palestine in the Ottoman era 1516-1917", where the researcher has found a distinctive differences among researchers around this subject; some of them decided pre-research judgement on the Ottoman country and education in its area describing it with ignorance and backwardness, where others saw the opposite. So this study aims to recognize the real conditions of education in Palestine in the Ottoman Era, to recognize the factors that affected education and what are the stages of education, besides, It aims to discover the goals and size of the foreign education in Palestine and the ottoman country stand from it .

The researcher has reached that education in Palestine during the Ottoman Era was free and compulsory, the females took their chance as well as males, it was a good education, there was an educational scale, and the period of schooling was 12 years-divided into stages. There were various curricula according to the stage, good administration, and clear philosophy. Education spread in towns and countryside.

The researcher mentions school numbers that exist in that period and he proves that the statistics were much more than statistics mentioned in previous studies, which is a good evidence of good, strong and wide-spread education. Foreign education (Jewish

and Christian) was existed and the researcher deals with it in details.

Though the Ottoman country permitted the establishment of hundreds of such foreign schools, it was not satisfied of them because they spread in difficult circumstances.

The researcher distinguishes between Jewish Education and Christian Education, where the Palestinian people got benefit from the Christian schools and studied at them, where as the Jewish schools were only for the Jews.

The researcher concludes that education existed for the all, according to desire, ability and ambition. This is why the researcher believes that the Ottoman Era was scientifically rich and recommends more studies about scientists of that period, about foreign education of each faction and its various aims and about Zionist Education. Though it will be a hard work, it will give positive results for the history of education.

المحتويات